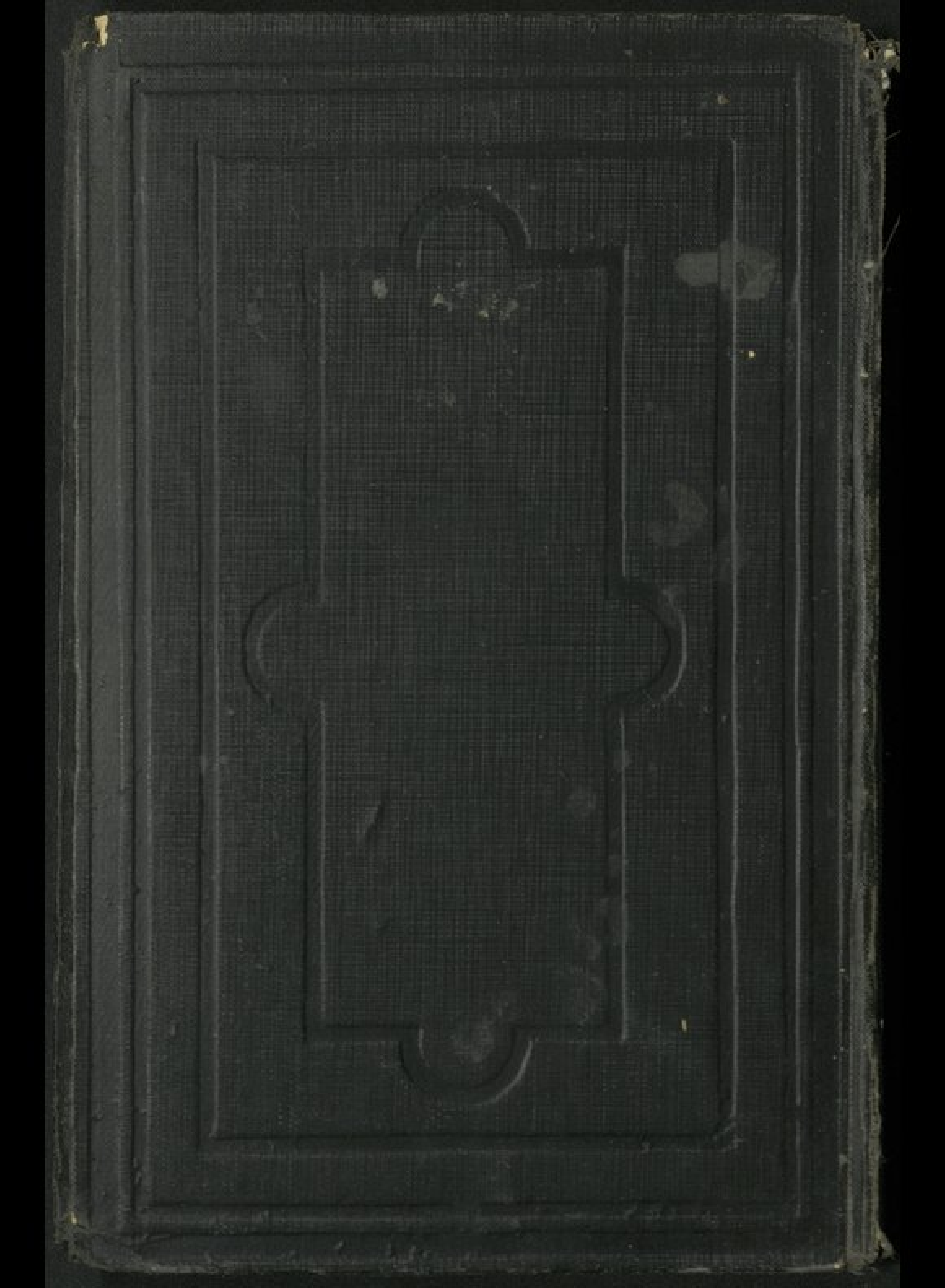
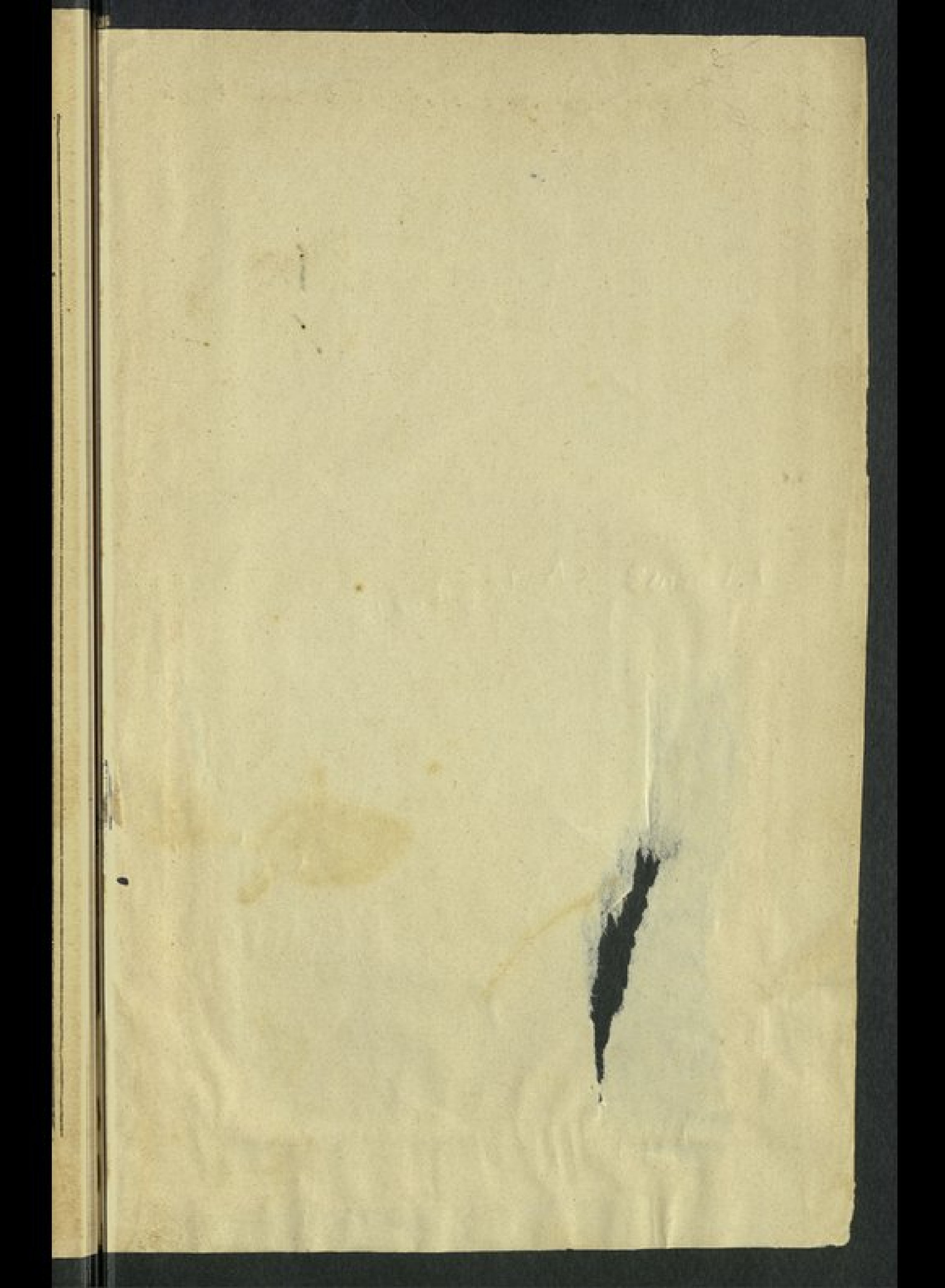
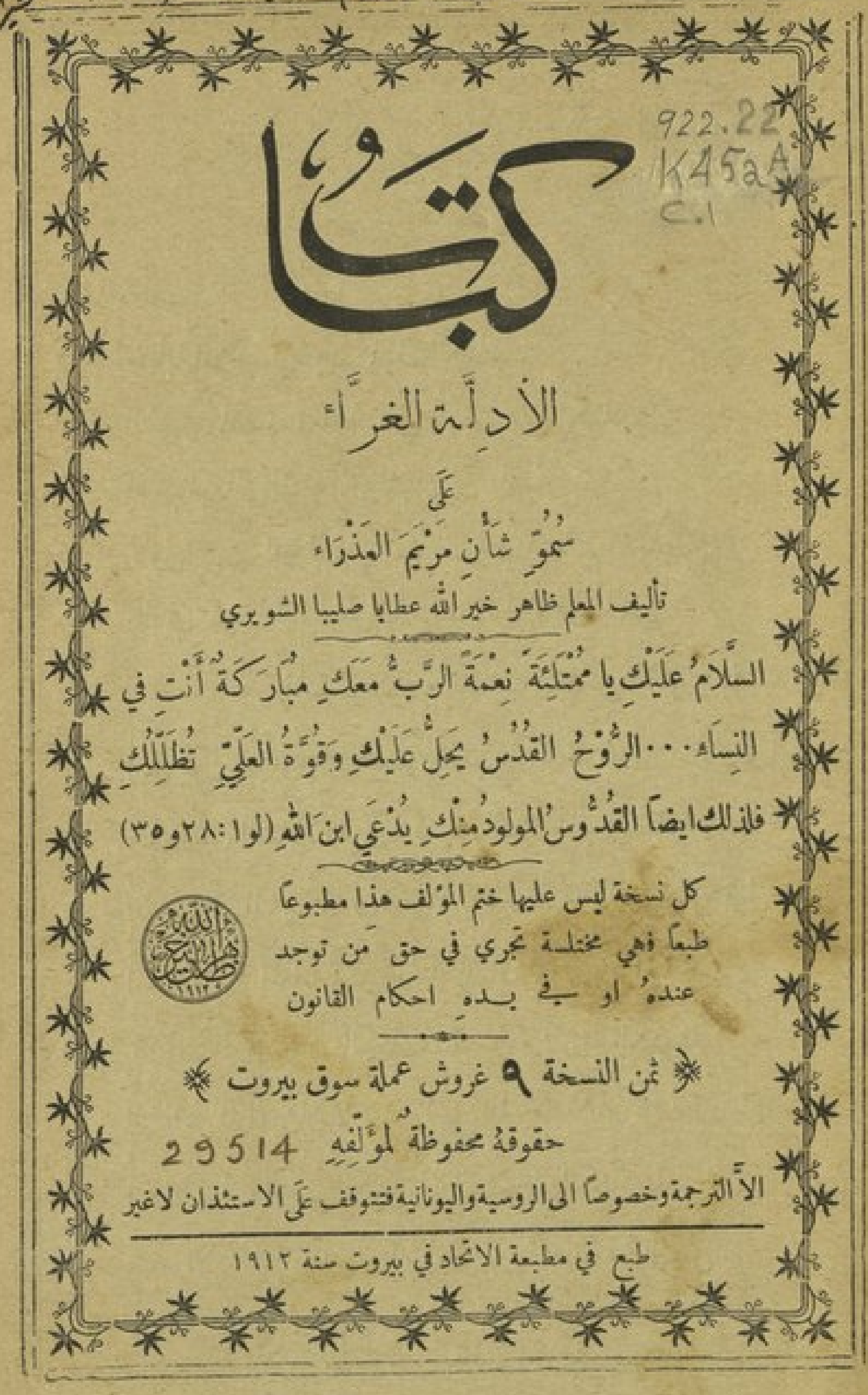




تحفة العلامة الاستاذ جرجس افندي همام هدية من عمه المؤلف ظاهر خيرالله



كتاب

الأدلة الغراء

على

سمو شأن مريم العذراء

تأليف المعلم ظاهر خيرالله عطايا صليبا الشويري

السَّلامُ عليكِ يا مُمتَلِئةً نعمةً الربُّ معكِ مباركةٌ أنتِ في النساء... الروحُ القدُسُ يحلُّ عليكِ وقوةُ العليّ تظللكِ فلذلك ايضاً القدُّوسُ المولودُ منكِ يُدعى ابن الله (لو ١: ٢٨ و٣٥)

ثمن النسخة ٩ غروش عملة سوق بيروت

طبع في مطبعة الاتحاد في بيروت سنة ١٩١٢

فهرس كتاب الادلة الغراء

صفحة مطلب

٠٠٢ خطبة المؤلف في سبب تأليف الكتاب

٠٠٣ القضايا المقصودة بالذات في تأليف هذا الكتاب

الاسباب التي تقتاد البروتستان الى التهوُّرات

٠٠٤ الاول جهل البروتستاني حدَّ نفسهِ في التعاليم الدينيَّة

٤ الثاني عدم الخشية من الله وعدم الحياء من الناس

٠٠٥ احدى التحريفات في ترجمة الكتاب المقدَّس الاميركانية البيروتية في قول السيد وحينما تصلّون لا تكرروا الكلام باطلاً كالامم الى آخرهِ

٠٠٨ مقابلة بين الصلاة الارثوذكسية والصلاة البروتستانية

٠١٠ التحريفة الثانيـــة في الترجمة الاميركانية البيروتية في قول بولس الرسول · ألعلنَّا ليس لنا سلطان ان نجول بامرأة أخت

٠١١ تلاعب البروتستان بالكتاب المقدس وبتاريخ الكنيسة

٠١٣ النصح للمطالعين ان لا يعتمدوا علَى الترجمة الاميركانية في تعليم العقائد والاسرار والرتب الكهنوتية والترتيبات الكنائسية

٠١٣ احد الادلَّة علَى عدم حياء دُعاة البروتستانية من الناس

٠١٣ اوصاف تاريخ موسهيم

صفحة مطلب

٠١٣ كلام القس هنري جسب في مدح تاريخ موسهيم

٠١٤ الماع الى فظائع موسهيم في حق آباء الكنيسة وسائر الاكليروس

٠١٤ طعن موسهيم الفظيع في الكنيسة الارثوذكسية القسطنطينية

٠١٥ تكذيب موسهيم في طعنهِ في الكنيسة الارثوذكسية القسطنطينية

٠١٨ تشنيع البروتستان على اليونان والعرب بسبب تدقيقهم في العلوم .

٠١٩ تقدّم اوربا بالشرائع من الاطلاع على نسخة من شريعة جوستنيانوس

٠٢٥ علوم اليونان والرومانيين الادبية واشعارهم في نظر العرب

٠٣٠ حالة اوربا بعد احتلال الامم الخشنية فيها

٠٣٢ طعن موسهيم في اليونان خاصة

٠٣٣ مجادلة بين اليسوعيين والبروتستان وطلب كلٍّ من الجانبين شهادة الكنيسة الارثوذكسية

٠٣٤ افتراء موسهيم على الكنيسة الارثوذكسية

٠٣٥ مناقضة موسهيم نفسهُ بنفسهِ في تعليم الاستحالة

٠٣٥ ذكر مؤلف نظام التعليم البروتستاني تعليم الكتب الدينية الارثوذكسية

٠٣٧ افتراء مؤلف نظام التعليم البروتستاني على الكنيسة الارثوذكسية

٠٣٩ اعتراف موسهيم ان لوثير منشيء البدعة البروتستانية كان يعتقد بالاستحالة حتى مات

٠٣٩ مناقضة ما في كتاب النهج القويم مزاعم البروتستان ضد الكنيستين الشرقية والغربية بما قرّره من شكوى الوثنيين على المسيحيين

صفحة مطلب

٠٤١ ادلّة عَلَى ان الطقوس في الكنيسة من عهد الرُسُل
٠٤٣ افتراء البروتستان علينا بان كل طقوسنا مأخوذة عن الوثنيين
٠٤٦ رجاء حارٌ الى البروتستان ان لا يتهموا موسى انهُ اخذ عن الوثنيين
٠٤٧ رجاء حارٌ الى البروتستان ان لا يشنّعوا عَلَى نوح وابراهيم بالطقوس
٠٤٨ الاقرار من الفرقتين المتجادلتين للكنيسة الارثوذكسية بحفظ التعليم سليماً
٠٤٨ البروتستاني لا يرجع عن مكابرته
٠٤٩ مقابلة بين معابد الارثوذكسيين وعواصم ممالكهم وآداب شعوبهم ومعابد البروتستان وعواصم ممالكهم وآداب شعوبهم
٠٥٠ ايراد بورتر حادثة اخرى تكذّب مزاعم البروتستان
٠٥٢ دليل عَلَى وجود الصُوَر والتماثيل في الكنيسة من اول اجيالها
٠٥٢ تصرُّف مؤلّفي البروتستان بالاخبار
٠٥٣ كلام الدكتور بورتر في قسطنطين الكبير
٠٥٤ كشف الغطاء عما في كلام بورتر في حقّ قسطنطين
٠٥٥ اتخاذ قسطنطين الصليب رايةً لهُ
٠٥٥ تحقيق رؤية قسطنطين الصليب في الجوّ لامعاً
٠٥٧ زعم بورتر في قسطنطين انهُ صار رئيس كهنة في الديانة الوثنية
٠٥٨ ذكر حوادث وقعت لرجال الله العظام كنوح وابراهيم
٠٥٩ حادثة نعمان السرياني
٠٦٠ طعن بورتر قسطنطين بفساد الايمان

صفحة مطلب

٠٦١ سبب تأخير قسطنطين الاعتماد الى آخر حياتهِ
٠٦٣ بعض الاماكن اقدس مما سواهُ والعبادة فيهِ اكثر قبولاً
٠٦٥ ادلة تؤكد ظهور الصليب لقسطنطين
٦٩ مناقضة بورتر نفسهُ بنفسهِ في كلامهِ في حقّ قسطنطين
٧٢ تقلب بورتر من كونهِ مؤلفاً الى واعظٍ الى بروتستانيٍّ من العامة
٧٢ الزعم بان البدعة البروتستانية هي اصلاح الكنيسة ودحضهُ
٧٤ ملخص خبر حياة قسطنطين من كلام بورتر
٧٨ من اهمّ اعمال قسطنطين بناه القسطنطينية
٧٩ ذكر ما لم يذكره بورتر مما بناهُ قسطنطين من الكنائس
٨٠ ترتيب قسطنطين سياسة المملكة وضبطها
٨١ وصف بورتر قسطنطين وقدحهُ فيهِ
٨٢ نهاية حياة قسطنطين
٨٣ مدح بورتر قسطنطين مراراً وتكراراً بعد قدحهِ فيهِ
٨٦ حادثة كرسبس ابن قسطنطين وتحامل بورتر علَى قسطنطين
٨٨ تفنيد مزاعم بورتر في قسطنطين
٩٠ محاكمة كرسبس سرًا وما فيها من الحكمة السياسيَّة
٩١ قتل قسطنطين ابن ليسنيوس
٩٢ قيام ابشالوم ضد ابيهِ داوود حتى كاد يهلكهُ
١٠٢ خبر سنحاريب الملك الاشوري وقتلهِ من اثنين من ابنائهِ

صفحة مطلب

١٠٧ قول بورتر ان قسطنطين قتل امرأتهُ فوستا باغراء أُمهِ هيلانة

١٠٧ بيان تطوُّح بورتر في كلامهِ وتفنيد افتراءاتهِ

١١٢ ترجمة القديسة هيلانة والدة قسطنطين الكبير

١١٢ وطن القديسة هيلانة

١١٥ وجدان القديسة هيلانة خشبة الصليب

١١٨ ترجمة فوستا امرأة قسطنطين

١١٩ ابناء فوستا واطوارهم

١٢٠ صفات قسطنطيوس

١٢١ يوليانوس وصفاتهُ

١٢٣ قول بورتر فكفانا دليلاً عَلَى ان قسطنطين كان قاسياً صارماً حتى عَلَى آلهِ وعترتهِ

١٢٤ بيان تهور بورتر ومناقضتهِ نفسهُ بنفسهِ

١٢٨ اعتراض بان بورتر جرى على نهج الكتاب المقدَّس وردُّهُ

١٢٩ ترجمة قسطنطين وهيلانة نقلاً عن السواعية الكبرى

١٣١ اعتراض بروتستاني على عمل الكنيسة تذكارات واحتفالات للقديسين

١٣١ بيان جهل البروتستاني في اعتراضهِ

١٣٣ تظاهر البروتستاني بالغيرة على مجد المسيح

١٣٤ غيرة البروتستاني تؤُول الى ما يتنزَّهُ عنهُ المسيح

١٣٥ اقوال المسيح ان من يمجّد خاصتهُ يمجدهُ ومن يبغضهم يبغضهُ

صفحة مطلب

١٣٦ تذكار اليهود مردخاي واستير بعيد احتفاليّ

١٣٦ اعتراض بروتستاني آخر في تحقير رؤية قسطنطين الصليب وتحقير عناية أمه هيلانة في وجدان خشبة الصليب وتحقير خشبة الصليب

١٣٨ تفنيد مزاعم البروتستاني في نبذ مختصرة

١٣٩ النبذة الاولى · في ادّعاء البروتستان ان الخلاص بالايمان فقط

١٣٩ البروتستان يبنون ايمانهم علَى آية مبتورة او علَى معنىً منحرف

١٤٢ النبذة الثانية · في مساواة البروتستاني قسطنطين في رؤيتهِ الصليب في الجوّ لامعاً باليهود الذين رأوهُ على الجلجلة · وردّهِ

١٤٢ النبذة الثالثة · في عدم اعتبار البروتستان الصليب اصلاً اي لا هيئةً ولا مادّةً

١٤٣ دحض ضلال البروتستان هذا باربعة مطالب

١٤٣ المطلب الاول · في ان الصليب علامة خاصة ليسوع المسيح

١٤٥ المطلب الثاني · في ان جميع آثار السيد يسوع المسيح مقدّسة

١٤٨ المطلب الثالث · اواني الكنائس مقدسة · والحلل الكهنوتية مقدسة وآثار الرسل والانبياء والقديسين والشهداء كلها مقدسة

١٥٠ المطلب الرابع · في انهُ قد تصدر عن آثار الانبياء والرسل والقديسين والشهداء عجائب وأشفية امراض واخراج شياطين

١٥١ دحض زعم البروتستان ان فعل العجائب انقطع

١٥١ النبذة الرابعة · في تجهيل البروتستان بعدم اعتبار خشبة الصليب

صفحة مطلب

١٥٣ النبذة الخامسة في تزييف زعم البروتستاني بان ما يخالف التعاليم البروتستانية انما هو اوهام ووساوس

١٥٤ النبذة السادسة · في دحض قول البروتستاني ان التعاليم التي تحفظ بالتقليد انما هي من وضع الناس · وفيها اعتبارات ووجوه

١٥٦ الوجه الاول ان يكون التقليد لا يخالف الكتاب المقدس

١٥٧ الوجه الثاني ان يكون التقليد مماً يقتضيهِ الكتاب

١٥٧ الوجه الثالث ان يكون التقليد معروفاً في الكنيسة منذ اجيالها الاولى

١٥٨ الوجه الرابع في حَمَلَة التقليد وحفظتهِ في العهد الجديد

١٥٩ الوجه الخامس في المقابلة بين التقليد والكتاب المقدس

١٦٠ مرقس ولوقا كتبا بشارتيهما عن تقليد

١٦١ الوجه السادس · ان المؤمنين مأمورون بحفظ التقليد والمحافظة عليهِ

١٦٢ الوجه السابع التقليد اساس الكتاب وسُور الكتاب

١٦٢ النبذة السابعة · ورود التقليد في اسفار العهد الجديد

١٦٦ تتمة في ما يدفع البروتستان الى رفض التقليد

١٦٨ سبب اطالتنا الكلام مع كتبة البروتستان

١٦٩ النصح للمؤمنين ان يكونوا على اشدّ الحذر من كتب البروتستان واقوالهم

١٧٠ السبب الثالث من الاسباب التي تقتاد البروتستان الى التهوُّر فرارهم من الطريق الضيق الى الطريق الواسع

١٧٣ ما يظهر لمن يقرأ تاليفات البروتستان الدينية بتدبُّرٍ

صفحة مطلب

١٧٣ السبب الرابع سوء تصرفهم في طريقة الاستدلال من الكتاب

القضية الاولى

من القضايا السبع المقصودة بالذات في هذا الكتاب

١٧٥ يقول البروتستان انهُ بعد ان وَلَدت مريم العذراء يسوع المسيح عرفها يوسف المعرفة الزوجيَّة لان الانجيليّ يقول ولم يعرفها حتى وَلَدَتْ ابنها البكر ودعا اسمهُ يسوع

١٧٥ دحض زعم البروتستان هذا وبيان جهلهم وتهوُّرهم فيهِ

١٧٩ ترجمة مريم العذراء وترجمة يوسف الخطيب

١٨٣ النظر في قولهِ ولم يعرفها حتى وَلَدَتْ ابنها البكر بحسب اللغة والنحو

١٨٤ امثلة بسيطة من ذلك لفهم العامَّة

١٨٥ امثلة من الكتاب مثل قولهِ ولم يعرفها

القضية الثانية

١٨٧ يقول البروتستان ان مريم العذراء بعد ان وَلَدَتْ يسوع المسيح وَلَدَتْ من يوسف اربعة ابناء هم يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا

١٨٧ استشهاد البروتستان لزعمهم هذا بآيات مقطوعة مبتورة

١٨٨ نهاية البروتستان في اصرارهم عَلَى مدَّعاهم هذا

١٨٨ ايضاح المعاني الصوابية من الآيات التي يستشهد بها البروتستان

١٩٠ لا ولد لمريم العذراء غير يسوع المسيح

صفحة مطلب

١٩٣ ليس ليوسف الخطيب ولدٌ اصلاً لا من مريم العذراء ولا من غيرها

١٩٤ تفنيد مزاعم البروتستان في الاستدلالات عَلَى ان ليسوع المسيح اخوة من أُمهِ مريم العذراء

١٩٧ ما يلزم البروتستان ان اصرُّوا على دعواهم

١٩٩ الآيات المنفردة في معناها في ذكر الاخوة

٢٠٣ ورود كلمة الاخوة في الكتاب بمعانٍ عديدة مختلفة

القضية الثالثة

٢٠٤ يقول البروتستان انَّ مريم بعد ان وَلدَتْ يسوع لم تبقَ عذراء وبعد ان عاشت مع يوسف العيشة الزوجيَّة لم تبقَ بتولاً ومن ثمَّ لا يصحُّ ولا بوجهٍ اصلاً ان يقال لها العذراء ولا الدائمة البتوليَّة

٢٠٥ بيان جهالتهم ووجوهِ خطائهم في ذلك كلّهِ

٢٠٦ اعتراف أهمّ الفرق البروتستانية اي الانكليكان بالتقليد

٢٠٧ امثلة من الكتاب في خرق ناموس الطبيعة

٢٠٨ خروج السيد من القبر المختوم ودخوله عَلَى تلاميذهِ والابواب مغلقة

٢٠٩ نبوة العهد القديم على دوام عذريةَّ مريم العذراء

٢٠٩ خروج الرسل من السجن وعود الابواب مقفلة

٢٠٩ روغان البروتستاني في البحث بشأْن الثيوبة والبكارة

صفحة مطلب

القضية الرابعة

٢١٢ ينكر البروتستان ان يقال لمريم العذراء والدة الالهِ

٢١٢ تسميات كَتَبَةِ اسفار العهد الجديد المختلفة لمريم العذراء وتسمية الاباء اياها والدة الالهِ

٢١٣ نسطور ومقصده ابتداء وانتهاؤه الى الابتداع الفظيع

٢١٤ كلام جَسَب نقلاً في نسطور

٢١٦ ملاحظات لنا على المنقولات السابقة

٢١٧ مختصر ترجمة آريوس

٢١٩ حاشية جَسَب الصبيانية الجهلية التهوُّرية وتفنيدها

٢٢٢ العبارات المستعملة لايضاح المعاني الاعتقادية

القضية الخامسة

٢٢٢ يقول البروتستان ان لا شفاعة لمريم العذراء لدى ابنها الرب يسوع المسيح ولا يستجيب لها في شيء بل يردُّها بعنفٍ

٢٢٢ النقل في ذلك عن احد ايمتهم

٢٢٣ مبحث في ان السيد لهُ المجد لم يردَّ طلب والدتهِ في قانا الجليل

٢٢٥ تلمحُ انها كانت عليها اشرف السلام تنوي ان يفعل ما فعلهُ

٢٢٧ بيان انهُ لهُ المجد اجاب طلبها باكثر مما طلبت

٢٢٨ نظر في انهُ لماذا كتب الانجيلي هذه العبارة

صفحة مطلب

٢٢٨ الاستدلال على انها (عليها اشرف السلام) كانت تعرف ما سيفعلهُ السيد لهُ المجد قبل ان يفعلهُ

٢٢٩ قولهُ لها مالي ولكِ يا امرأة

٢٢٩ ورود هذه العبارة في الكتاب في ١٢ موضعاً

تفاسيرها في مواضعها (٢٣٠ — ٢٤٤)

٢٤٤ اثبات قبول شفاعتها عليها اشرف السلام وشفاعة سائر القديسين

٢٤٥ خطاءُ البروتستان في فهم قول الرسول « يوجد الهٌ واحدٌ ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح

٢٤٦ بيان مراد الرسول في هذه العبارة وتحقيق معناها على حدتها

٢٤٧ تحقيق معناها مرتبطة مع غيرها من الكتاب

٢٤٧ تمويهات وتطوُّحات بروتستانية في انكار تعليم الشفاعة

القضية السادسة

٢٤٨ ينكر البروتستان الخبر المتواتر في الكنيسة ان مريم العذراء بعد ان ماتت ودفنت بثلاثة ايام اقامها ابنها الرب يسوع المسيح من الموت ورفعها بجسدها الطاهر اليهِ وانها ظهرت للتلاميذ وكلَّمتهم

٢٤٨ هذا الخبر مقبول بالتواتر كقبول اسفار العهد الجديد بالتواتر

٢٤٩ البروتستان انما يقبلون اسفار العهد الجديد بخبر التواتر

٢٤٩ نصُّ الخبر نقلاً عن كتاب السواعي الكبير

صفحة مطلب

٢٥٠ تبادل النظر مع البروتستان في شأن هذا الخبر

٢٥٠ اثبات قبول البروتستان اخباراً كثيرة من تاريخ الكنيسة

٢٥٣ انكار البروتستان مجيء بطرس الرسول الى رومية

٢٥٥ تبرؤ البروتستان كل واحد من الآخر في الاعتقادات

٢٥٦ انكار البروتستان انتقال الرُسُل بالسحاب الى امام مريم العذراء

٢٥٦ بيان خطائهم في ذلك

٢٥٦ انكار البروتستان اعادة السيد الحياة لأُمّهِ وبيان خطائهم في ذلك

٢٥٧ انكار البروتستان رفع السيد المسيح والدتهُ اليهِ بالجسد وتخطئتهم

٢٥٧ انكار البروتستان مخاطبتها الرسل عليها السلام بعد قيامها من الموت

٢٥٧ بيان خطائهم في ذلك

٢٥٨ مشابهة كلامها الى التلاميذ لكلام ابنها السيد

٢٥٩ منحهُ سبحانهُ وتعالى احياناً ما هو من سلطانهِ الخاص للملائكة

القضية السابعة

٢٦٠ في انكار البروتستان ما تقدّمهُ الكنيسة من التكريم والمديح لمريم العذراء عليها اشرف السلام واجمالهِ في اربع فِقَر

٢٦١ الفقرة الاولى . قولهم ان ذلك بالنظر اليها عبثٌ لانها لا تعلم بهِ لان الميّت لا يعلم ما يكون بعدهُ

٢٦٢ دحض قولهم هذا بنص الكتاب ان الله الهُ احياء وليس اله اموات

٢٦٢ معرفة راحيل بقتل اطفال بيت لحم وحزنها عليهم

صفحة مطلب

٢٦٢ موسى يشكو اليهود الى الآب
٢٦٣ رسالة ايليا الى يهورام بعد ارتفاعهِ بسبع سنوات
٢٦٤ مثل الغنيّ ولعازر
٢٦٥ الاموات يعرفون ما كانوا يعرفونهُ وما مضى لهم في حياة هذه الدنيا
٢٦٥ الاموات تزداد معرفتهم بعد الموت كثيراً عما كانت قبل الموت
٢٦٦ ان الاموات يعرفون ما يكون بعدهم من اقوال واحوال وافعال الاحياء
٢٦٦ الغنيُّ عرف ابراهيم وابراهيم عرف الغنيَّ بدون ان يكون بينهما تعارف في هذه الدنيا
٢٦٦ ابراهيم عرف كيف عاش الغنيّ ولعازر وعرف انهُ جاء بعد موسى والانبياء وان لهم مكتوبات محفوظة
٢٦٦ طنطنة البروتستان الباطلة بان هذا المثل يمنع تعليم الشفاعة
٢٦٧ مجازفة مفسّر الانجيل البروتستاني في تفسير هذا المثل
٢٦٨ مغالطة بروتستانية بتسمية مخاطبة الغني لابراهيم صلاةً
٢٦٩ تطوُّحات بروتستانية بشأن الغنيّ وكلامهِ لابراهيم ودحضها
٢٧٠ تعريف الصلاة في التعليم الارثوذكسي
٢٧١ تعريف الصلاة في التعليم البروتستاني
٢٧١ مخاطبة الغني ابراهيم ليست صلاةً
٢٧٢ نقول للبروتستاني المرء مأخوذ باقرارهِ
٢٧٣ تطوُّحات بروتستانية بشأن احوال الاموات وبيان بطلانها

صفحة مطلب

النظر في مثل الغني ولعازر من حيث الشفاعة

٢٧٤ في كلٍّ من طلبات الغني الثلاث من ابراهيم معنى ظاهر ومعنى باطن

٢٧٥ الطلبة الاولى وجوابها وما فيهما

٢٧٧ تخصيص الغني طلب تبريد لسانهِ

٢٧٨ الطلبة الثانية وجوابها وما فيهما

٢٧٩ الطلبة الثالثة وجوابهما وما فيهما

٢٧٩ لم يطلب الغني من ابراهيم ان يشفع فيهِ

٢٨٠ اذا لم يكن الغني طلب رحمة الله ولا طلب من ابراهيم ان يشفع فيهِ فيكف يكون صلَّى لهُ

٢٨٠ نحن لا نطلب الشفاعة من الهالكين ولا للهالكين حتى اننا لا نصلي عَلَى الذين يموتون عَلَى غير الايمان القويم

٢٨١ المسيح علَّم ان الهالكين يستغيثون بالابرار الا يفهم منهُ ان الغير الهالكين ايضاً يستغيثون بالابرار

٢٨١ من اين تعلم الغني الاشغاثة بابراهيم وان ابراهيم يقدر ان يغيث

٢٨٢ رُبَّ بروتستاني يقول كيف يعلم القديسون ما يكون بعد موتهم

٢٨٣ الجواب عن ذلك

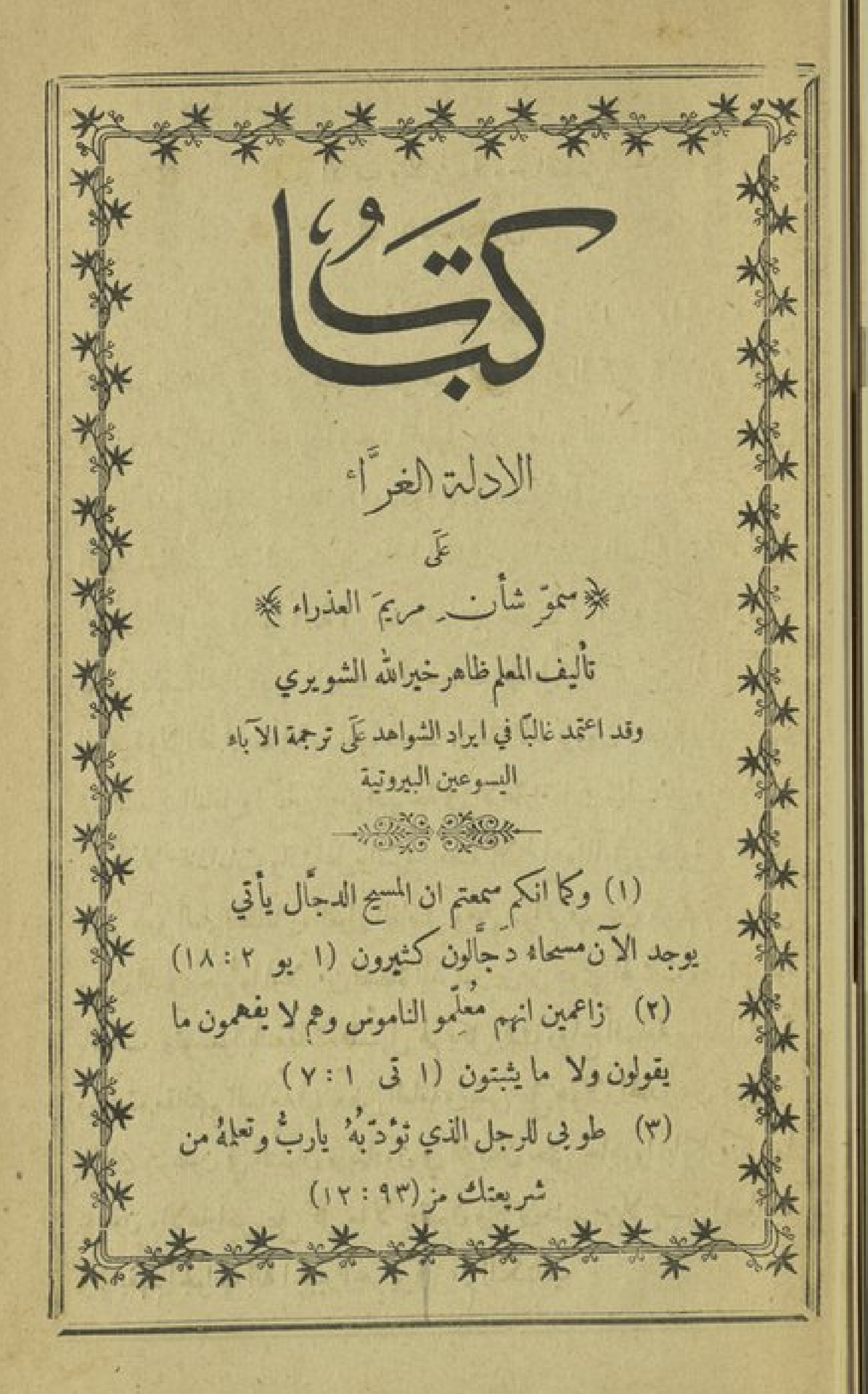
٢٨٤ الفقرة الثانية قول البروتستان ان مريم العذراء لا تعلم بكل ما يُقدَّم لها من المدائح لانها محصورة في مكان واحد كسائر المخلوقات

٢٨٥ الجواب عن ذلك

صفحة مطلب

٢٨٦ الملائكة محدودون و يفرحون بخاطئ واحد يتوب (١٥: ٧و١٠)
٢٨٦ الفقرة الثالثة · قول البروتستان ان ما تقدّمهُ من المدائح لمريم العذراء خارج عن حدّ الادب الدينيّ
٢٨٦ بيان خطائهم في ذلك
٢٨٧ حادثة يواب والمرأة التقوعية وداود النبيّ والملك
حادثة يوحنا المعمدان وهي على قسمين
٢٩١ القسم الاول ارسال يوحنا المعمدان اثنين من تلاميذهِ الى السيد المسيح
٢٩٣ اختلاف المفسّرين والشرّاح في شأن يوحنا المعمدان
٢٩٣ رأي المؤلّف في ذلك
٢٩٥ القسم الثاني في اقوال السيد المسيح في يوحنا المعمدان
٢٩٦ بماذا هو نبيّ وبماذا هو افضل من نبيّ
٢٩٨ ما هو وجه عظمة يوحنا
٢٩٩ من هو الاصغر في ملكوت السماوات
٣٠١ رُسل المسيح افضل من انبياء العهد القديم ومريم العذراء افضل جداً من الرُسُل
٣٠٢ ادلّة على سموّ شأن مريم العذراء عمَّن سواها من المخلوقات
٣٠٢ مقابلة بين تبشير جبرائيل الملاك زخرياً وتبشيرهِ مريم العذراء
٣٠٤ تمتاز مريم العذراء عن زخرياً بعشرة وجوهٍ

وفيهِ ايضاً فوائد أُخر كثيرة تاريخية وادبية لم ندرجها في هذا الجدول اكتفاء بما ادرجناهُ من المطالب الدينية



كتاب

الادلة الغرّاء

على

سموّ شأن مريم العذراء

تأليف المعلم ظاهر خيرالله الشويري

وقد اعتمد غالباً في ايراد الشواهد على ترجمة الآباء اليسوعيين البيروتية

(١) وكما انكم سمعتم ان المسيح الدجّال يأتي يوجد الآن مسحاء دجّالون كثيرون (١ يو ٢ : ١٨)

(٢) زاعمين انهم معلّمو الناموس وهم لا يفهمون ما يقولون ولا ما يثبتون (١ تي ١ : ٧)

(٣) طوبى للرجل الذي تؤدّبهُ يارب وتعلّمهُ من شريعتك مز (٩٣ : ١٢)

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

اعلم أيها المطالع اللبيب انهُ لاسباب متعددة الانواع والجهات ليس هنا محل للكلام في شيء منها قد قلَّ فينا نحن ابناء الكنيسة الارثوذكسية في سورية العلم وكثر بيننا وحولنا الجهل وفي هذه الفترة التعيسة جاء الى بلادنا هذه دعاة البروتستانية فوجدوا جمهورنا ساذجاً يدين ويتعبد بحسب الايمان والتعبد الارثوذكسيين متسلماً ذلك من السلف الصالح واثقاً انهُ على الايمان الصحيح مطمئناً انهُ في حظيرة المسيح خاضعاً في آدابه للوصايا الابوية عائشاً بالبساطة التقوية لايعرف المماحكات الجدلية ولا تعرض لهُ الشكوك الوهمية ولا التخيلات الابتداعية فبسط الدعاة المذكورون ألسنتهم واقلامهم في الشعب الغافل واكثروا من البهرجة في الاعتراضات والمسائل واصطادوا بعضاً بالاستخدامات والمشاغل واسروا بعضاً بالاطماع والمآمل وخيلوا لآخرين انهم ذوو العلم الطائل والقول الفاصل ومن سواهم فهو بين مستهتر وجاهل وكان الذين جاؤوا اولاً من الدعاة المذكورين من ذوي الهيئات وقد تطولوا بالهبات وتوسعوا بالنفقات فتسهل لهم بكل ذلك رواج السلعة وبذر البدعة وسرت مقالتهم السامة في بعض العامة ومضى على هولاء المخدوعين حين من الزمان يتوغلون في التيهان ويتمادون في الزيغان حتى جاهروا بانكار كل ما يجهلون والاعتراض على كل ما لا يفقهون وادعى منهم من لا يحسن الخطاب ولا يفهم الجواب انهُ الخبير النحرير في علم الكتاب

وكثرت استهانتهم برجال الله الانبياء والقديسين والآباء والكهنة والروءساء بما يقولونهُ ويكتبونهُ في حقهم جميعاً مما عاقبتهُ عليهم ندم وسماعه على المسيحيين انزعاج وألم والى الله المشتكي من زمان صروفهُ تثبط الهمم وتحبس القلم

وقد سمعنا من بعضهم كلاماً في حق المباركة في النساء مريم العذراء يمزق الآذان ويبعد النوم عن الاجفان فرأينا ان ننهض على وجه الخصوص الى دحض مزاعمهم في مس شأنها السني وحط مقامها العلي وخدش طهرها البهي ونقولاتهم في ذلك ترجع الى القضايا السبع الآتية وهي

(١) انها بعد ان ولدت المخلص عرفها يوسف المعرفة الزوجية

(٢) انها بعد ان ولدت المخلص ولدت من يوسف اربعة ابناء هم يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا

(٣) انهُ بناء على ذلك لا يصحُّ ان يقال لها الدائمة البتولية

(٤) انهُ لا يجوز ان يقال لها والدة الاله

(٥) انهُ لا شفاعة لها بل ان ابنها السيد المسيح يردُّ طلبها ردًّا عنيفاً

(٦) انهم ينكرون اقامة السيد ابنها اياها في اليوم الثالث بعد موتها وظهورها للتلاميذ ومخاطبتها اياهم

(٧) ان ما تقدمهُ الكنيسة لها من الاكرام والمديح والتمجيد كل ذلك مكروهٌ وممقوت ومدان عليه لدى ابنها المخلص بانهُ من قبيل أخذ ما هو حقٌّ خاصٌّ لهُ واعطاء ذلك الى امرأة . وسنبط الكلام على هذه القضايا في ما يأتي

اما الاسباب التي تقتاد البروتستان الى هذه التهورات فهي كثيرة

واخصها الامور الآتية وهي

(١) جهل البروتستاني حدّ نفسهِ في التعاليم الدينيَّة حتى تجده وان كان علمه لا يبلغ ان يقرأ قراءة صحيحة يعتقد في نفسهِ انه اعلم الناس في الدين وادقهم فهماً واصحهم رأياً ولذلك يطلق لنفسهِ العنان في التخيلات والجزم في الاعتقادات زارياً على كل انسان سواه في المفهومات وتحرير المعاني واغرب ما في ذلك انه قد يكون في الصباح جاهلاً كل علم قاصراً عن كل فهم فاذا امسى بروتستانياً اعتقد في نفسهِ كمال العلم والفهم وارتأى انه اهل ان يعلّم الناس على الاطلاق ويفهمهم دقائق الحقائق ولذلك نجد كل بروتستاني على اختلافهم علماً وفهماً ومقاماً وحالاً وان كشفت له محل شبهتهِ وخطائهِ فيما اعتقده مخالفاً للتعليم القويم تعليم الكنيسة الارثوذكسية باجلى من الصبح بياناً واشرق من الشمس برهاناً لا يتنبه الى صحة ما تريهِ ولا ينزع عما هو فيهِ

(٢) عدم خشيتهم من الله وعدم حيائهم من الناس كما ستراه من تلاعبهم بالكتاب المقدس ومن طعنهم الفظيع في افاضل الناس

فمن تلاعبهم في الكتاب المقدس عدا التمويهات البهرجية والتأويلات الغريبة في تفسير نصوصهِ اولاً حذفهم منه اسفاراً برمتها مقبولة في الكنيسة من القرون الاولى وتعرف بالاسفار المقروأة وهي سفر طوبيا وسفر يهوديت وسفر حكمة سليمان وسفر حكمة ابن سيراخ وسفر المكابيين الاول وسفر المكابيين الثاني وثانياً تحريفهم آيات عديدة نقتصر منها هنا على ذكر آيتين اذ ليس هذا موضع استقصائها

الآية الاولى قول الترجمة البروتستانيَّة البيروتيَّة من مت ٦: ٧ وحينما تصلُّون لا تكرروا الكلام باطلاً كالامم فانهم يظنون انهُ بكثرة كلامهم يستجاب لهم اه تحريفاً لقول السيِّد له المجد واذا صلَّيتم فلا تكثروا الكلام مثل الوثنيين فانهم يظنون انهُ بكثرة كلامهم يستجاب لهم اه فشوهوا نظم الآية حتى صارت الى ما ترى من الاضطراب وعدم صحة التعليل

واما غرضهم من هذا الصنيع الذميم الاثيم فهو ان يخدعوا السذَّج من شعبنا بان السيد له المجد قد نهى عمَّا نفعلهُ في فروض الصلوات من تكرار بعض التسابيح والتماجيد مرتين او ثلاثاً ومن قولنا احياناً فيها يارب ارحم ثلاث مرات او اثنتي عشرة مرةً او اربعين مرةً حتى يصوروا لاولئك السذج ان فعلنا ذلك اثم لانهُ مخالف لامر السيد

ولكنهم ذهلوا او تذاهلوا او جهلوا او تجاهلوا عن انهم لم يعيبوا علينا فعلنا في الصلوات خشوعاً وضراعةً بما نكررهُ من التمجيد الامر الذي لم يذوقوه ولم يعرفوه من تلذُّذ المسيحيين به وطمأنينة قلوبهم اليهِ الا بعد أن عابوا عَلَى السيِّد لهُ المجد فعلهُ بنطقه بالطوبى تسع مرات متوالية في بدء تعليمهِ مت ٥: ٣-١١ ومن تكرارهِ الصلاة بعينها حيث يقول ومضى يصلّي ثالثةً قائلاً كلامهُ الاوَّل (انظر مت ٢٦: ٣٩-٤٤) وانظر ايضاً مر ١٤: ٣٥-٣٩

ولم يعب البروتستان صنيع السيد وصنيعنا فقط بل قد عابوا صنيع الملائكة في السماوات امام الله جلَّ جلالهُ يسبحونهُ ويمجدونهُ سرمداً لان اشعياء يقول في ص ٦: ١-٣ رأيتَ السيِّدَ جالساً عَلَى كرسيٍّ عالٍ ورفيعٍ واذياله تملاء الهيكل من فوقهِ السرافون قائمون ستَّة اجنحة ستَّة اجنحةٍ لكل واحد باثنين

يستر وجههُ وباثنين يستر رجليهِ وباثنين يطير وكان هذا ينادي ذاك ويقول قُدُّوس قدُّوس قدُّوس رب الجنود الارض كلها مملوءَة من مجدهِ اه

ويوحنا في رو٤: ١—٨ يقول بعد هذا نظرت واذا باب مفتوح في السماء والصوت الاول الذي سمعتهُ كبوق يتكلم معي قائلاً اصعد الى هنا فاريك ما لا بدَّ ان يصير بعد هذا وللوقت صرت في الروح واذا عرش موضوع في السماء وعلَى العرش جالس وكان الجالس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش في المنظر شبه الزمرد وحول العرش اربعة وعشرون عرشاً ورأيت علَى العروش اربعةً وعشرين شيخاً جالسين متسربلين بثياب بيض وعلَى رؤوسهم اكاليل من ذهب ومن العرش يخرج بروق ورعود واصوات وامام العرش سبعة مصابيح نار متقدة هي سبعة ارواح الله وقدام العرش بحر زجاج شبه البلور وفي وسط العرش وحول العرش اربعة حيوانات مملوءَة عيوناً من قدام ومن وراء والحيوان الاول شبه أسد والحيوان الثاني شبه عجل والحيوان الثالث لهُ وجهٌ مثل وجه انسان والحيوان الرابع شبه نسر طائر والاربعة الحيوانات لكل واحد منها ستة اجنحة حولها ومن داخل مملوءَة عيوناً ولا تزال نهاراً وليلاً قائلةً قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ الرب الاله القادر علَى كل شيء الذي كان والكائن والذي يأتي اه (هذا الشاهد منقول عن الترجمة البروتستانية البيروتية)

واشعيا كان قبل الميلاد بمدة ٧٦٠ سنة ويوحنا كتب رؤياه في نحو سنة ١٠٠ بعد الميلاد وهكذا يكون الكتاب بنصٍّ علَى ان ملائكة الله جلَّ جلالهُ الواقفين لديهِ لم يكفوا نهاراً وليلاً ممجدين الله بقولهم قدوس قدوس قدوس مدة نحو ٨٦٠ سنة وان الله عزَّ اسمهُ يقبل ذلك ويتمجد بهِ

عَلَى انك لو نظرت كل ما تحت الشمس من بيوت التعبُّد لا تجد منها ما هو اقرب شبهاً بما رآهُ يوحنا من مظهر مجد الله تبارك وتعالى في السماء من الكنائس الارثوذكسيَّة في اوقات الصلوات الجمهوريَّة والاحتفاليَّة وليس للبروتستان مناص من الاعتراف بهذا الامر الاَّ اذا ادَّعوا ان يوحنا بما انهُ ارثوذكسي كتب في كل شيء بحسب الارثوذكسيَّة وان هذه المناظر التي ذكرها من جمال مظهر مجد الرب كلها مستحدثات مأخوذة عن الوثنيَّة كعادتهم

والحاصل ان البروتستان اما ان يكونوا لم يفهموا معنى كلام السيد فهماً مستقيماً فحسبوا ان النهي وارد عَلَى صدر الآية ووضعوا لا تكرروا موضع لا تكثروا فكانت النتيجة انهم اعلنوا ليس لنا فقط بل للعالم اجمع مقدار علمهم بالكتاب وامسوا مع السيّد لهُ المجد ومع ملائكتهِ على طرفي نقيض ولم يصيبونا بشيء الاَّ بتأسُّفنا عليهم في الدنيا والآخرة والاَّ فانهم بحسب صنعهم هذا سواء قيل لا تكرروا او لا تكثروا يمتنع عليهم التوفيق بين هذه العبارة وبين قول السيّد ايضاً لتلاميذهِ انهُ ينبغي ان يصلوا كل حين ولا يملّوا لو ١٨ : ١ لان الصلاة كل حين بدون مللٍ لا يمكن ان تخلو من التكرار والاكثار في الكلام والى مثل هذا ينتهي كل تهوُّر وان شئت فقل كل تعليم مخالف للحق

واما الآية فيجب ان تفهم بحسب القاعدة العلميَّة وهي ان المفهوم المقيد بقيد اذا سُلِّطَ عليهِ امرٌ من نهي او نفي او استفهام فانما يتسلط ذلك الامر عَلَى ذلك المفهوم مقيَّداً بذلك القيد لا مطلقاً فاذا قال السيّد لعبدهِ لا تتكلَّم كاذباً لا يكون قد نهاهُ عن التكلُّم مطلقاً وانما نهاهُ عن ان يتكلَّم

كاذباً لا غير وحينئذٍ سواءٌ كانت العبارة لاتكرروا الكلام باطلاً اولاتكثروا الكلام باطلاً لا يكون النهي عن تكرار الكلام مطلقاً ولا عن تكثير الكلام مطلقاً وانما هو عن التكرار او التكثير باطلاً اي بدون تيقُّظ النفس واستحضار العقل والقلب بالخشوع والورع الواجبين وبالاجمال بدون اعتقاد المصلّي انهُ اذ ذاك ماثل بحضرة الله جلَّ جلالهُ يخاطبهُ

ومن المعلوم ان الصلاة تكون اما افراديَّة واما جمهوريَّة ونحن هنا نسأل البروتستان اننا فيما نحن فيهِ من حالة الانحطاط التي لا يحسن بنا ان نبسط الكلام في شيء من اسبابها ولكننا نرجو اصلاحها باقرب الاوقات بل اننا نراها تحسَّن يوماً فيوماً وشيعتهم في حالتهم الغنيَّة وفي بهجة جدَّتهم اين يرون مصداق الصلاة الباطلة أَفي صلاتنا ام في صلاتهم . اما في الصلاة الافراديَّة اذ يكون الارثوذكسيّ متيقّظاً بكمال الخشوع منتصباً متجهاً الى الشرق الجهة التي تنتظر مجيء مخلصنا منها لقولهِ (كما ان البرق يخرج من المشارق ويظهر الى المغارب هكذا يكون مجيء ابن الانسان مت ٢٤ : ٢٧) يرسم اولاً الصليب عَلَى نفسهِ فيستحضر التعليم بالثالوث الاقدس ويتذكَّر تجسُّد المخلّص والآمهُ وموتهُ وقيامتهُ ويتلو بكمال الورَع صلاةً مشتملة عَلَى تمجيدهِ تعالى وطلب ما يحتاجهُ العبد المؤمن الفقير من ربهِ الرحيم الغني الكريم وكل ذلك بالعبارات اللائقة ضمن دائرة الايمان الارثوذكسي السليم من شوائب الاعتلال والاختلال . ويكون البروتستاني واقفاً او قاعداً او متكئاً او نائماً كما يشاءُ متجهاً كيف شاءَ وهو يقول مايشاءُ مما يصحُّ ومما لايصحُّ حتى انهُ قد يكون بعض ما يقولهُ لغواً او هذراً او

تجديفاً وهومستغرق في تنسيق حركاته وتنميق عباراته لا يضبط ما يقول ولا يدرك معاني عبارته الى ماذا تؤول وهذا في من يصلّي من البروتستان صلاة افرادية وقليل ما هم

واما في الصلاة الجمهورية اذ يكون جمهور الارثوذكسيين في المتعبّد الذي هو شبيه بما رآه صاحب الرؤيا ص٤ في مظهر مجد الله سبحانهُ وتعالى والجميع محتفلون واقفون بكمال الخشوع متجهون الى الشرق مصغون الى ما يقرأ ويرتّل في فرض العبادة مرتباً من الآباء الافاضل الابرار على وفق الايمان الصحيح والتعليم القويم تسبيحاً وتمجيداً لعزته تعالى ومديحاً لقديسيهِ الذين قال الرب انهُ ممجَّدٌ فيهم يو ١٧: ١٠ وفي خلال ذلك نطلب غفران خطايانا ونجاتنا من تجارب الشرير وسلامتنا وسلامة العالم اجمع من المصائب والجوائح واستزادة رضى الله عنّا واستنزال بركاتهِ علينا وعلى اعمالنا واموالنا وزيادتنا من مواهبهِ السامية

ويكون جماعة البروتستان في مجتمعاتهم التي لا يتعيّن لها شكل ولا هيئة ولا جهة ولا يضبطها وصف وهم بين قاعد مرسل رجليه او مثنٍ احداهما على الاخرى ومتكئٍ ومحدودبٍ ومقعنسسٍ ومغمض العينين ومفتوحهما ومنحني العنق يميناً او شمالاً ومستقيمهِ والجميع باجسام شاحبة والوانٍ باسرة مما لا يرى الناظر في محافل العالم اجمع على اختلاف اشكالها واحوالها ولا في مراسح الممثلين ما يراهُ في جماعة واحدة بروتستانية وبينهم خطيب يتقبّض تارة ويشرئبُّ اخرى ويخالف في اصواتهِ كما يخالف النافخ في آلاتـهِ حتى اذا استرسل في الكلام واخذتهُ سورة المقام يلكم المنبر واحدةً وصدرهُ اثنتين

ورأسهُ ثلاثاً و يصيح لا ليجفل الناس عن المسيح ولكن ليهدي الى الدين الصحيح يتفتل كالراقص و يتلون كالممثل و يتلفت كالعصفور الحذِر من الصقور وهو بجملته مستغرق بتنميق العبارات وزخرفة الكلام يقول ما بما يكون في عالم الحس و بما لا يكون الا في عالم الاوهام وهذا ما نراهُ منهم هنا وهم اولاد امس عندنا واقل من القليل بيننا وقد تلوّنوا وتطوروا منذ اتوا الى الان هذه المدة اليسيرة الواناً واطواراً وتمزقوا هم ومشايعوهم قِدَداً والذي نسمعهُ عنهم في بلادهم مما يقومون به و يفعلونهُ في محال الاجتماعات وفي الشوارع والاسواق والساحات والازقة اكثر واسخف . او ما كان اولى بالبروتستان ان يكتموا داءهم ولا يكشفوا غطاءهم . واننا لنود ان لا يدعونا بعد الى بسط الكلام في هذا المقام

واما ان كانوا يفهمون كلام السيد فهماً مستقيماً وقد حرفوه عمداً فيكون حينئذٍ صنيعهم اقبح وافظع وكل ذلك ابين من ان يبين

والآية الثانية قول الترجمة البروتسانية في ١ كو ٩ : ٥ العلنا ليس لنا سلطان ان نجول بأُختٍ زوجةٍ كباقي الرُسُل واخوة الرب وصفا اه والصحيح فيها هكذا (العلنا ليس لنا سلطان ان نجول بامرأة أُخت الى آخرهِ) وذلك ان الرسل كانوا يستصحبون معهم في تجوُّلهم نساءً موْمنات ليخدمنهم ليتفرغوا هم للمناداة وتعليم الايمان بيسوع المسيح فكلمة اخت مستعملة هنا بمعنى موْمنة كما استعملت كلمة اخوة بمعنى موْمنين في مواضع عديدة واما على القول البروتستاني فيكون كل واحد منهم كان يستصحب امرأةً زوجةً لهُ ولكن المعروف المعرفة الاكيدة عند المسيحيين ان تلاميذ

المسيح لم يتَّخذ احدٌ منهم زوجةً بعد التلمذة

(وهنا فليتأمَّل العاقل الفرق بين الروح المسيحي والروح الجسديّ)

واعلم ان البروتستان يجعلون في الشواهد من ترجمتهم البيروتية كلاً من العبارتين هذه عَلَى تحريفها اي قول بولس · ألعلَّنا ليس لنا سلطان ان نجول باخت زوجة الخ ١ كو ٩ :٥ وقول بطرس · تسلم عليكم التي في بابل المختارة معكم ومرقس ابني ١ بط ٥ : ١٣ شاهداً للاخرى ليثبتوا بذلك ان الرسل كانوا يجولون بزوجات معهم ويقرّرون في كتبهم التاريخيَّة والتفسيريَّة ان بطرس كتب رسالتيهِ في بابل مدينة العراق وان زوجتهُ كانت معهُ وفي صنيعهم هذا الجهالات بل الجسارات الآتية وهي (١) انهُ ليس في الكتاب المقدَّس نص ولا اشارة ان بطرس ذهب الى بابل العراق وهم كما يزعمون انهم كتابيون لا يقولون ولا يقبلون الاَّ بما في الكتاب (٢) ان التاريخ الكنائسي في الكنيستين الشرقية والغربيَّة متفق عَلَى ان بطرس صرف ايامهُ الاخيرة في رومية والبروتستان ينكرون ذلك (٣) انهم ينصُّون عَلَى ان بطرس بقي حياً بعد بولس وانهُ كتب رسالتيهِ بعد استشهاد بولس ايضاحاً لما في رسالات بولس والتاريخ الكنائسي في الكنيستين الشرقية والغربيَّة ينصُّ عَلَى ان الرسولين استشهدا في رومية في سنةٍ واحدةٍ في حكم نيرون فتراهم يتلاعبون بالكتاب وتفسيرهِ و بالتاريخ الكنائسيّ بحسب اهوائهم لاثبات مزاعمهم واخصها هنا انهُ كان لكلّ رسولٍ زوجة تكون معهُ حيث يذهب وان بطرس لم يجيء الى رومية اصلاً عَلَى ان الترجمة اليسوعيَّة البيروتيَّة تجعل المختارة نعتاً للكنيسة وعبارتها هكذا (الكنيسة المختارة التي في

بابل) وهنا نقول عَلَى تسليم ان المراد بالمختارة امرأة بطرس عَلَى التعيين وانها كانت في بابل العراق لا يلزم من ذلك اصلاً ان بطرس كان في بابل بل يلزم منهُ انهُ لم يكن في بابل وان امرأتهُ كتبت اليهِ او ارسلت اليهِ كلاماً من بابل وفي جملة ذلك تسلم عَلَى الكنائس لقولهِ (التي في بابل) فلو كان هو ومرقس ايضاً في بابل لما كان وجهٌ لتخصيصها بالذكر دونهما بل كان يقول نحن جميعاً في بابل فتأمَّل

على انا لا نعلم ما الذي منع البروتستان الى صباح هذا اليوم من ان يدَّعوا ان مرقس ابنٌ حقيقيٌ طبيعيٌ لبطرس و يستندون في ذلك الى قولهِ مرقس ابني ١ بط ٥ : ١٣ ليكون لهم شاهدٌ آخر مثل الشاهدين السابقين بان الرسل كانوا متزوجين و كانوا يستصحبون نساءهم واولادهم معهم حيث يذهبون وتجتمع لهم العائلة في بابل

واقرب ما يقال في هذهِ الفَعلَة انها ان كانت منهم عن عدم معرفة فهم في جهل اكثر مما نعرفه فيهم وان كانت عن عمد فهم في تقحمٍ عَلَى الله وجرأة عَلَى التلاعب في كتابهِ اكثر مما نحسبهُ فيهم • وبعد فلا فخر لهم بالتلاعب في اقوال اللهِ اذ انهم مسبوقون الى ذلك فان الحيَّة قالت لحوَّاء أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنَّة تك ٣ : ١ وهو تلاعب بقول الله لآدم من جميع شجر الجنَّة تأكل اكلاً واما شجرة معرفة الخير والشرّ فلا تأكل منها تك ٢ : ١٦ و١٧ وكذلك المجرّب قال للمخلّص انهُ مكتوب انهُ يوصي ملائكتهُ بك فعلى ايديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك مت ٤ : ٦ وهو تلاعب بقول النبيّ والملك لانه يوصي ملائكتهُ

بك لكي يحفظوك في كلّ طرقك على الايدي يحملونك لئلاّ تصدم بحجر رجلك مز ٩١ : ١١ و ١٢

وليست مزيتهم على سابقهم باكثر من انهُ تستّر بالحية مرّةً ونظاهر بالثقة بقوة كلام الله اخرى وهم اتوا فعلتهم جهاراً و بدون اختشاء

وبما ان في الترجمة البروتستانية البيروتية كثيراً من التلاعب والتحريف كما تقدم لنا ذكر شيءٍ من ذلك ننصح لاخوتنا ابناء الكنيسة الارثوذكسية ان لا يعتمدوا عليها في تعاليم العقائد والاسرار والرُتب الكهنوتية والترتيبات الكنائسية

واما عدم حيائهم من الناس فيدلُّ عليه المجلَّد الضخم المحشوُّ من المطاعن والمثالب والمجازفات والاجحافات في حق اباء الكنيسة وقدّيسيها ومعلّميها وكهنتها ورؤسائها والمناضلين فيها عن الحقّ والمحامين عن التعليم القويم الكتاب المسمى منهم تاريخ الكنيسة لموسهيم الذي يقول الخواجا هنري جسب الاميركاني رئيس البروتستان في مدينة بيروت في مقدمته له ‘‘ فاذ رأينا ان اللغة العربيّة في غاية الافتقار الى كتاب مستوفي في هذا الموضوع فشرعنا في الفحص والبحث بين الكتب الكثيرة العدد المختصّة بتاريخ الكنيسة لنجد كتاباً متضمّناً كل ما يلزم من خبر صحيح وبحث مدقّق وتعليم قويم وعبارة واضحة وروح خالٍ من التعصّب والترفّض المذهبيّ وموافقاً للدرس في المدارس اللاهوتية مع موافقته لمطالعة الخاص والعام فلم نجد بين الكتب الكثيرة الانكليزية والجرمانية اوفق للغاية من كل الاوجه من كتاب موسهيم هذا الموجود في ثلاث مجلّدات كبرى مع حواشي مستطيلة في لغات مختلفة واشارات الى ميئات من الكتب الرومانية والبروتستانية التي راجعها ودرسها

باعتناء لا مزيد عليه هذا المؤلف الشهير الخالي من التعصب والمنصف والمعتدل في الكلام والافكار اه هذا كلامهُ بحروفهِ ٠ ولكن هذا المؤلف الذي اثنى عليهِ الخواجا جَسَب هذا الثناء البالغ قد عنون ١٢ عدداً من اعداد كتابهِ المذكور بقولهِ (فساد الاكليروس) في صفحة ٢٣٥ و ٢٨٢ و ٣١٢ و ٣٥٠ و ٣٧٧ و ٤٢٠ و ٤٥٧ و ٤٧٨ و ٥٠٩ منهُ وعنون ٧ اعدادٍ بقولهِ (رذائل الاكليروس) في صفحة ٩٥ و ١٣٨ و ١٩٣ و ٢٥٧ و ٣٥٠ و ٤٧٨ و ٤٩٣ على ان الخواجا جَسَب هو نفسهُ يعدُّ نفسهُ في الاكليروس لانهُ يكتب اسمهُ القس هنري جَسَب

واما ما خصَّ بهِ موسهيم وجَسَب في الكتاب المذكور الكنيسة الارثوذكسيةً من المعايب والمثالب فنذكر منهُ ما يأتي وهو

عدد (٣) في صفحة ٥٦٠ منهُ فقال ان الكنيسة التي رأسها البطريرك القسطنطينيّ قسمت منذ القديم الى اربع ولايات القسطنطينيةً والاسكندرية والانطاكيةً والاورشليميةً وعلَى كلّ منها اسقف من الرتبة الاولى يدعى بطريركاً يكرمهُ جميع الاساقفة والرهبان كابٍ غير ان رئيس كل البطاركة والحبر الاعظم لجميع الكنيسة هو بطريرك القسطنطينيةً الذي ينتخب البطاركة الآخرين في يومنا هذا ويعينهم او يسميهم للانتخاب ويثبت انتخابهم ولا يجترئون علَى عمل شيء مهمّ بدون اذنهِ فهولاء الرجال الذين يرغبون في الخير مع انهم متقلدون فخر البطاركة لا يقدرون علَى امر عظيم لضعفهم وقلة مداخيل الكنائس التي يسوسونها

وعدد (٨) من صفحة ٥٦٢ فقال ومن ذلك الوقت وقع معظم اليونان

تحت سلطة ظروف غير موافقة وتلاشي بطرق مختلفة كل العلوم الانسانيَّة والالهيَّة · اذ ليس لهم مدارس ولا وسائط بها تحسن عقولهم وتتنوَّر بالمعارف العلميَّة والدينيَّة · والعلم الزهيد الذي كان عند بعض معلميهم اما انهم جاؤوا بهِ من سيسيليا وايطاليا الى حيث كانوا يترددون احياناً كثيرة وحيث بقي الى الآن نوع من حب العلم او انهم اخذوهُ من كتابات القدماء ومن مجموع لاهوت ماري توما اكوناس المترجم عندهم الى اليونانيَّة ولهذا لا ترى الشعب فقط يعيشون بالتراخي والفجور بل المدعوون رعاةً ايضاً ومما يتأسف انهم يزيدون شقاوتهم بمنازعاتهم وخصوماتهم وتكاد كل ديانتهم تقوم بالطقوس التي هي في الغالب لا تجدي نفعاً الاَّ انهم احرص عَلَى حفظها من ان يحاموا عَلَى التعاليم التي يعتقدونها اه

قولهُ ان اليونان اخذوا من مجموع لاهوت توما اكونيا الخ يستبعد تصديقهُ لان توما اكونيا من اهل القرن الثالث عشر وقد كان الخلاف بين الكنيستين الشرقية والغربيَّة بلغ غايتهُ وتم الانفصال بينهما في القرن الحادي عشر و بعد ذلك يمتنع ان تأخذ احداهما من تعاليم الاخرى الخاصَّة · فيكون ما تتفقان فيه قبل والآن مما هو في كلتيهما هو من الاصل لا من قبيل اخذ احداهما عن الاخرى ولكن موسهيم يجهل حال الكنيسة الشرقية كما اعترف هو في صفحة ٦٤٣ بقولهِ ربما حدث اشياء كثيرة بين الروم والمسيحيين الشرقيين الآخرين لم تكن مهمة جدًّا ولا عديمة الاعتبار ولكن حوادث تلك الاماكن لا نُخبَر عنها الاَّ نادراً واندر من ذلك التخبير بالحق الخ

ولما كان كلام موسهيم هذا طعناً فظيعاً وافتراء محضاً وقلباً للحقيقة صريحاً

في حقّ الكنيسة اليونانية وبالتالي في حقّ الكنيسة الارثوذكسيّة المقدّسة اجمالاً وسواء كان قد كتبهُ عن جهل تامّ او عن تحامل فاحش قد يطبع أثراً في عقول وقلوب بعض الذين يقرأُونهُ بثقةٍ او يسمعون عنهُ باعتبار ممّن لا اطّلاع لهم على تاريخ اوربّا في القرون المتوسّطة ولا على تاريخ الكنيسة الصادق رأينا ان نبيّن زيغانهُ ونظهر بطلانهُ ونردّ عليهِ بهتانهُ من كلام من هو اوسع جدًّا منهُ علماً في تاريخ اوربّا العمومي وخصوصاً في تاريخها في القرون الوسطي وابلغ تحقيقاً وتدقيقاً واصحّ نقلاً وتوثقاً في تاريخ الكنيسة وهو روبرتسون الانكليزيّ الشهير بالتبحُّر والتعمُّق والاستقصاء والممتاز باعتدال الافكار وبتحرير التقرير وذلك من تأليفهِ مقدّمة تاريخ شرلكان المترجم الى العربيّة في ايام المغفور لهُ محمّد علي باشا في مصر والمطبوع في مطبعة بولاق وسننقل ما نأخذهُ منهُ بحروفهِ ونعيّن صفحاتهِ تسهيلاً لمن يريد المراجعة وانما اقتصرنا في دحض افتراء موسهيم عَلَى كلام روبرتسون الانكليزي البروتستاني دون ان ننقل شيئاً عن غيرهِ من المؤرّخين الارثوذكسيّين واللاتينيّين ليكون ذلك اختصاراً عَلَى المراجعين واعتباراً للطالعين المتطلعين واصغاراً لصنيع المؤرّخين المتسرّعين واقوى وقعاً واشدّ قمعاً للمغرورين المتشيّعين قال في صفحة ٧٦ الى صفحة ٧٨

وبمجرّد ما عرف اهل جمعيّة اوربا قيمة المنافع الناشئة عن التجارة والانتظام العامّ وأَمن كل انسان عَلَى نفسهِ شرعت عقولهم في ايقاظ قواهم الخاملة وقدح زند افكارهم التي كانت نارها مخبوءة وسلكت مسلكاً جديداً فبذل الناس جهدهم في اشغال عظيمة وتفتيشات مهمّة

لم تسبق لهم بها معرفة بل ولا خطرت ببالهم قبل ذلك اصلاً ففي اواخر القرن الحادي عشر خرجت عقولهم من لجج الغفلة الغزيرة التي مكثت منغمسة فيها زماناً طويلاً وتفرغوا بكليتهم الى اشياء جديدة

ولكن تفرّغ اهالي اوربا اولاً للعلوم الادبيّة والفلسفية كان بطريق رديئة جداً غير مستقيمة وكان سلوك الامم في ذلك كسلوك الآحاد رديئاً وذلك انهم في مبدء امرهم تمكّنت منهم القُوى التخيُّليّة قبل ان تتمرّن قواهم العقليّة وتتدرّب عَلَى قواعد العلوم النظرية فكانوا يشتغلون بالشعر قبل الفلسفة وكان استشعارهم شديداً وتاثرهم قوياً بحيث كانوا يحسنون وصف الاشياء وتخطيطها على وجه بليغ بديع وان لم يكن عندهم من العلوم العقليّة التي هي علم الميزان الاشيء يسير فكانوا ينسجون عَلَى منوال اوميروس وهزيودوس (شاعران) قبل ان يتشبثوا بحكمة تاليس وسقراط (من الفلاسفة) ولكن لسوء حظ الآداب لم يسلكوا المسالك التي تقتضيها الطبيعة بل صرفوا همّتهم بالكليّة والجزئيّة الى ما فوق الطبيعيات حتى توغّلوا فيها وفي العلوم النظريّة الصعبة المسائل فبمجرّد استيطانهم في البلاد التي فتحوها انتقلوا الى دين النصرانيّة ولكن لم يتلقّوهُ كما هو ولم يسلكوا عَلَى منهاج قواعدهِ بحيث يبقونها عَلَى اصلها وحالها وذلك ان عدة من الواثقين بانفسهم مزجوا هذا الدين السهل الكثير الفائدة بتدقيقات فلسفيّة تبيّن في زعمهم باطن الدين ورموزهُ السرّية وتحلّ مشكلات خارجة عن طوق العقل البشري فصارت هذه التدقيقات الفلسفيّة جزءاً من دين النصرانيّة بل صارت كأنها الجزء الاهم فبمجرّد ما تشوّفت النفوس للترقي الى درجة التفكّر والتعقّل كان اول اطّلاعهم عَلَى هذه الاشياء فاشتغلوا بها

وصارت مطمح نظرهم * واول ثمرة نتجت عن تدقيق العقول حين اخذها في التقوية ثانياً في اوربا هي علم الالهيات التي كانت تقرأ في المدارس وكانت مشحونة بالاطناب في المناقشات وبذكر الفروق بين امور دقيقة لا طاقة للعقول البشرية على الجولان فيها

وما كانت هذه الحالة وحدها سبباً في اضلال عقول هولاء الناس وسلوكهم سبيل الغيّ حين اخذوا ثانياً في ممارستهم وتمرنهم على هذه الامور التي كانوا قد تركوها مدّة احقاب بل ثمَّ اسباب أُخر وذلك ان اغلب من اعانوا عَلَى احياء العلوم الادبية في القرن الثاني عشر والثالث عشر واهتمّوا باعادة معالمها كانوا قد اكتسبوا المعارف والاصول الفلسفية اما من اليونان الذين كانوا بمملكة الروم بالقسطنطينية واما من عرب اسبانيا وافريقية ومن المعلوم ان علوم هاتين الامتين (اليونان والعرب) كانت قد فسدت بسبب افراطهم في التدقيق فان اليونان كانوا قد جعلوا علم الالهيات مذهباً مشتملاً عَلَى قواعد نظرية تحتاج لغاية الفكر والتدقيق وعَلَى مباحث خلافية لا يقف الانسان لها عَلَى حدٍ ولا حقيقة واما العرب فقد افسدوا علوم الفلسفة بالتدقيقات الفاسدة التي احاطوها بها اه وهكذا الى آخر مبحثهِ

(ولا تستغربنَّ ايها المطالع اللبيب ان ما يشنع بهِ هذا المؤلف على علوم اليونان والعرب من التدقيق والتحقيق والتوسع والتعمق هو غاية ما تمدح بهِ العلوم وتفتخر بهِ الامم وتمتاز بهِ العقول وتتفاوت بهِ المدارك لانهُ بروتستانيّ وانما يوافق البروتستانية من العلوم الفلسفية والادبية سطوحها وقشورها واما تحقيقاتها وتدقيقاتها فتضر عَلَى البروتستانية كما يضر صفاء

النور على سواد الديجور ومن ثم لا يراها البروتستان الا كما يرى ضعاف الابصار سطوع شمس النهار في اليوم الذي لا غيم فيه ولا غبار . وكيف كان فله الشكر على انه لم يصرح باسم باسيليوس وغريغوريوس ويوحنا فم الذهب وسائر الآباء ومعلمي الكنيسة العظام مع هولاء الذين شنع عليهم في التحقيق والتدقيق والتوسع والتعمق كما شنع عليهم موسهيم

وقال في صفحة ٧٠ الى ٧١ وهناك سبب آخر ساعد في منحة الناس بعض معارف صحيحة اوسع دائرة من غيرها تتعلق بالاقضية الشرعية واحكام الدولة وهو الاطلاع على الحقوق الرومانية وذلك ان من جملة المصائب التي جاءت عقيب انتشار الامم الخشنين وتخريبهم للبلاد حادثة مهولة وهي ابطال الحقوق الرومانية واندثارها وكان المقصود الاعظم من تلك الحقوق ادخال اهل الدنيا باسرهم تحت حكم الامة الرومانية وكانت قوانين هذه الامة المدنية منابذة بالكلية لاخلاق امم الشمال الحربيين وعقائدهم لما ان تلك القوانين كانت موسسة على قواعد لا تليق بالامم الخشنة وانما هي تلائم لحالة تمدنية لا تخطر ببال مثل هولاء الطوائف الخشنة فلذلك صار الفقه الروماني في جميع الاماكن التي نزلت بها الامم الخشنة نسياً منسياً ومكث على ذلك عدة قرون وهو محجوب بالقوانين الخشنة العجيبة التي لا معنى لها وكانت لا تستحق ما اطلقه عليها اهل اوربا من اسم قوانين وفي نحو منتصف القرن الثاني عشر عثر اتفاقاً في ايطاليا على كتاب من كتب قوانين جوستنيانوس فتقدمت حالت الجمعية السياسية حينئذ بعض تقدمات عظيمة جداً والتجاريب التي حصلت في القرون العديدة وسعت

عقول الناس في شأن هذه التقدُّمات فصاروا يتعجَّبون جدًّا حيث اطَّلعوا
عَلَى هذا المذهب القانوني الذي عجزت اسلافهم عن ترتيب مثلهِ ومع
انهُ لم يكن عندهم من المعارف ما يكفي في كسبهم من العلوم القديمة
الميل الى الفلسفة الحقيقيَّة والعلوم النظرية ولم يكن لهم طاقة عَلَى
ادراك حلاوة تأليف الآداب وبلاغتها ومعرفة معانيها كانت لهم
معارف كافية في ان يحكموا بفضل هذا المذهب القانونيّ الذي كان
محتويًا عَلَى جميع الاحكام اللازمة لوقائع الناس عَلَى اختلاف احوالهم
واعمارهم مع العدل والاصابة والتدقيق واما اولو المعرفة بالعلوم الادبيَّة
فانهم بذلوا هممهم مع الغيرة والاجتهاد في مطالعة هذا العلم الجديد
وبعد ظهور هذا الكتاب القانوني بسنوات قلائل ترتَّب في اغلب
ممالك اورُبا مدرّسون للقانون التمدُّني وامروا بقراءتهِ في المحافل العامة اه

وقال (في صفحة ٢٩٣ ايضاحاً واثباتاً لما تقدَّم في هذه الفقرة) من
العجيب ان العلوم والقوانين الرومانيَّة صارت تمارس في سائر بلاد
اورُبا مع السرعة الغريبة وذلك انهُ في مدينة املقي (سنة ١١٣٧)
عثر عَلَى نسخة من شريعة البندكث التي جمعها الملك جوستنيان وبعد
ذلك بقليل من السنوات فتح المعلّم ايرنربوس في بولونيا مدرسة
لتعليم الحقوق المدنيَّة وفي اثناء هذا القرن صارت هذه الحقوق المدنيَّة
يتعلمها الناس في عدَّة مدائن من مدن فرانسا وصارت من جملة
العلوم السكولاستيكيَّة (اي التي تقرأ في المدارس) ومن (سنة ١١٤٧)
اخذ المعلم واكريوس في تدريس الشرائع المدنيَّة بمدينة اوكزوفورد

(وفي سنة ١١٥٠) ظهر فقيهان من ميلان كتبا قوانين التزامية عَلَى نسق الشرائع الرومانية وفي هذه السنة صحّح المؤلف كراتيان قانون الشرائع القسيسية واضاف اليها زيادات كثيرة واقدم قوانين الشرائع القسيسية هو القانون الذي كان يعمل بموجبهِ في المحاكم والمجالس الشرعية وهو القانون الذي رتب في المجالس القسيسية التي انعقدت في مدينة القدس وهذا القانون جمع (سنة ١٠٩٩) كما يستفاد ذلك من خطبة كتابهِ وكان سبب ذلك انهُ حصلت عدة مقتضيات احوال خصوصية دعت الناس الى جمع هذا القانون وجعلهِ في كتب مخصوصة فلما انتصر النصارى في الحروب الصليبية استوطنوا في تلك البلاد الاجنبية فتكوَّنت من جميع ملل اوربّا بهذهِ البلاد قبيلة جديدة فاتفقوا عَلَى انهُ من اللازم الضروري ان ترتَّب الشرائع والعوائد التي تنتظم بها بينهم المصالح المدنية وادارة المحاكم والدعاوي الشرعية ولكن لم يكن يوجد وقتئذٍ شيء مسطر من العوائد بل ولم يكن هناك احد في بلاد اوربّا بتمامها شرع في ترتيب شرائع معينة فاوَّل من شرع في هذا الشأن هو المعلّم غالتويل الذي كان وقتئذٍ رئيس المحاكم في مملكة انكلترة فألّف قانونهُ (سنة ١١٨١) وبعد ذلك ظهر في ايقوسيا (هي التي يقال لها اليوم اسكوتلندة) قانون جديد ينسب الى داوود الاوَّل وكان هذا القانون عَلَى نسق تأليف غالتويل كلمة بكلمة بحيث لا يفيد ازيد منهُ وذكر في هذا القانون المنسوب الى داوود المذكور ان بطرس دوفنتين الذي هو اوَّل من شرع في

مملكة فرانسا في عمل قانون من هذا القبيل أَلَّف قانوناً جامعاً لعوائد بلاد ورمندواس في ايام حكم الملك سنت لويز واولهُ (من سنة ١٢٢٦) وفي هذا الزمن كان يوجد المؤلف بومنوار الذي ضمَّن كتابهُ عوائد بلاد البويزيس ثم نشرت قوانين الملك سنت لويز بامرهِ وكانت مبيَّنة بياناً شافياً للعوائد التي كانت في بلاد الجفالك الملوكيَّة فبمجرَّد ما عرف الناس اهميَّة تسطير الشرائع والعوائد وتقييدها بالكتابة لما انها تنفعهم وتعينهم في كلّ حال صارت عادة جميع الناس تحرير كل عادة حدثت وتسطير كل شريعة ظهرت ثم ان كرلوس السابع ملك فرانسا امر (سنة ١٤٥٣) بجمع الشرائع التي اوجبتها العادة في كلّ اقليم من اقاليم فرانسا كما ذكر ذلك المؤلِف وبلي والمؤلِف وبلاريت في تاريخ فرانسا وجدَّد هذا الامر من تولى بعدهُ وهو الملك لويز الحادي عشر ولكن لم يكن تتميم هذا المشروع المهمّ العظيم الفائدة عَلَى ما ينبغي ولو تمّ ما امر بهِ هذان الملكان العاقلان لكانت الشرائع الفرنساويَّة القديمة منقَّحة ومهذَّبة اكثر مما هي عليهِ الآن وهناك عادة كانت جارية في القرون الوسطى تدلُّ دلالةً واضحة عَلَى ان القضاة لمَّا لم يكن عندهم وقتئذٍ من القوانين التي بموجبها يقضون احكامهم ويفصلون الدعاوي الاَّ عوائد ليست مكتوبة كانوا غالباً يتحيَّرون في امرهم عند ترتيب الاسباب والاصول التي ينون عليها احكامهم فكانوا في كل امر مريب او مشكل يجمعون عدة رجال من الشيوخ المرمين ويعرضون عليهم الدعوى ويسأَلونهم عمَّا

جرت بهِ العادة في مثل هذا الامر وكانت هذه العادة تسمّى بحث الجم الغفير ذكرهُ دوكنج ولا يخفى ان النتائج التي ترتبت عَلَى تجديد الشرائع الرومانية كلها موضحة في روح الشرائع للمؤلف مونتسكيو وفي تاريخ انكلترَّة للمؤلف هوم وقد استفدنا فوائد كثيرة من عباراتهما واي انسان يتبع مثل هذين المؤلفين في تأليفهِ وينسج عَلَى منوالهما من غير ان يستفيد وينجح ولكن نقول ان معرفة الشرائع الرومانية لم تكن مفقودة بالكلية في القرون الوسطى يبلاد اوربا كما يظنهُ اغلب الناس وليس من موضوعنا ان نبحث عن هذا الامر الذي قد جمع اعجب وقائعهِ المؤلف دوناتو انتونيا دستي

ولا شك انهُ كان هناك علاقة اكيدة في عدَّة من بلاد اوربا بين الشرائع المدنيَّة العموميَّة والشرائع البلديَّة او الارضيَّة الخصوصيَّة ومع انهُ في انكلترَّة كان يظنّ ان القوانين التي اوجبتها العادة مخالفة بالكليَّة للقوانين الرومانية وكان من يمارس في انكلترة القوانين التي اوجبتها العادة يفتخر بوجود الفرق بينهما نقول ان تلك القوانين الانكليزية مشتملة عَلَى كثير من اصول القوانين المدنيـة الرومانية وقواعدها كما يوجد ذلك موضحاً في كتب بعض المؤلفين العارفين اه

قلت فانت ترى كيف ان مؤرخنا هذا نعت اهل اوربا اجمالاً بالجهل البالغ وفساد الشرائع المدنيَّة الى نحو منتصف القرن الثاني عشر اذ عثر اتفاقاً في ايطاليا عَلَى كتاب قوانين جوستنيانوس ومنهُ استمدوا النور واصلحوا شرائع ممالكهم. وجوستنيانوس هذا هو احد قياصرة

القسطنطينية جلس عَلَى الكرسيّ سنة ٥٢٧ ميلادية وقد قال صاحب كتاب قطف الزهور في تاريخ الدهور في ترجمته واشتهر هذا الملك في اشتغاله بمساعدة تريبونيان الفقيه عَلَى استخلاص السنن والشرائع الرومانية الكثيرة المجموعة من اجيال عديدة في سنّ قوانين وشرائع مدنيةً تعرف بالقانون الجوستنياني فكان ذلك من اعظم اعمال ذلك العصر وهو الآن قاعدة واساس الاحكام المدنيةً الحاضرة

وقال في صفحة ٢٩٧ الى صفحة ٢٩٩ اعلم ان المقصود من ابحاثنا لا يستلزم ان نذكر هنا تاريخ تقدُّمات العلوم في ذلك العصر وما قدمناهُ من الوقائع والمحوظات يكفي في بيان مدخليةً تقدُّمات هذه العلوم في تحسين اخلاق الجمعيةً وحالتها · وفي مدّة ما كانت شمس العلوم كاسفة بالكليةً في غرب اوربّا كانت مضيئة بمدينة القسطنطينية وغيرها من بلاد الامبراطوريةً اليونانيةً الاَّ ان اليونان بسبب دقة عقولهم تفرغوا بكليتهم الى المناقشات في الامور الالهيةً وحذا حذوهم اللاتينيون في ذلك وسائر اهالي اوربّا اكتسبوا من اليونان معظم معارفهم وعلومهم وكان اليونانيون ايضاً منشأً لعدّة من المباحث المشكلة التي اختلف فيها الحكماء والفلاسفة ولم تزل الى الآن شاغلة لبالهم ومطمحاً لانظارهم وافكارهم (انظر ما قالهُ اوناس سلوبوس وما ذكر في تاريخ آداب فرانسا) وبعد ان ترتّبت دولة الخلفاء في بلاد المشرق بقليل من الزمن ظهر من بينهم عدة ملوك اقاموا شعائر العلوم ورغبوا الناس في ممارستها ولكن لمَّا التفت العرب

الى علوم اليونانيين والرومانيين الادبيةً القديمة وجدوها غير حماسيةً لان اليونانيين والرومانيين اهل ظرف ورقة ذوق بخلاف العرب فان عقولهم وتصوُّراتهم حماسيةً تميل بطبعها الى الحماس والتصورات العويصة البليغة فكان لا يعجبهم شعراء مدينة اثينا ومدينة رومة ومؤرّخوهما ولكن كانوا يعترفون بنجابة حكمائها او فلاسفتها فكانت اصول علم الميزان عند اليونانيين والرومانيين آكد وامكن من القواعد الادبيةً والتخيُّليةً وذلك لان من المعلوم ان تأثير الحقيقة في العقول واحد لا يتفاوت تقريباً بخلاف التصوُّرات الظريفة او الرقيقة او الحماسيةً فانها تختلف باختلاف الاقطار ولذلك اهمل العرب ما أَلَّفهُ اوميروس من الاشعار والآداب وترجموا الى لغتهم تأليف اشهر فلاسفة اليونان فلماً اتبعوا هولاء الفلاسفة وسلكوا عَلَى نسق قواعدهم واستكشافاتهم تفرغوا بالكليةً للعلوم الهندسيةً والفلكيةً والطبيةً وعلم المنطق وعلم ما وراء الطبيعيات وهي الالهيات فحصل لهم تقدُّم كبير في العلوم الهندسيةً والفلكيةً والطبيةً ووقفوا منها عَلَى فائدة جليلة فاعانهم ذلك كثيراً عَلَى الترقي والصعود الى درجة العلوّ والكمال التي وصلوا اليها من وقتئذٍ واما في العلمين الآخرين وهما علم المنطق وعلم الالهيات فقد اتخذوا ارسطاليس منهاجاً لهم فاقتفوا اثرهُ وزادوا من عند انفسهم اموراً دقيقة على التدقيقات والمناقشات التي امتاز بها هذا الفلسفيّ حتى فسد هذان العلمان بالكليةً وصارا لا مفهوم لهما وقد حصلت شهرة كبيرة للمدارس التي جددها العرب في بلاد المشرق

لممارسة العلوم والفنون وتبعهم في الميل الى العلوم والآداب العرب الذين فتحوا بلاد اسياً واسبانيا وفتحت في تلك البلاد مدارس لم تكن في الشهرة دون مدارس بلاد المشرق بكثير ومن اشتهر في العلوم من جميع الامم مدة القرن الثاني عشر والثالث عشر كان اغلبهم قد تعلَّم من العرب كما استشهد لذلك المؤلف بروكير بشواهد كثيرة في تاريخهِ وبالجملة فمضت عدة قرون وجميع العلماء المشهورين يكتسبون معارفهم من بلاد العرب التي كانت مدارس يتعلَّم فيها الخاص والعام واول معرفة الناس في القرون الوسطى بفلسفة ارسطاطاليس كانت بواسطة معرفة تراجم مؤلَّفاتهِ باللغة العربيَّة حيث كان مترجموا العرب معتبرين وقتئذٍ كأنهم اعظم مرشد وانجب دليل في معرفة مذهب ارسطاطاليس ذكرهُ كوترنك في تأليفهِ وكذلك موراطوري وعن العرب اخذ العلماء العارفون بعلم الكلام السكولاستيكيّ اي الذي يقرأ في المدارس قواعدهم واصولهم الفلسفيَّة التي نشأ عنها تأخير تقدُّم الفلسفة الحقيقيَّة الصحيحة اه

قلت وقد سبق لنا قريباً بيان ان التحقيقات والتدقيقات في العلوم الفلسفيَّة والادبيَّة ممَّا يضرُّ جدًّا في البروتستانية اذ ان ذلك يكشف ظلامها ويمحق اوهامها وينكّس اعلامها وانما يوافق البروتستانيةَ من هذه العلوم قشورها التي ترفع صاحبها شيئاً عن درجة العامَّة السذَّج ولا توصلهُ الى مقام الخاصَّة من العلماء الذين يدركون الدقائق ويحصون الحقائق وهذا المبدأُ من الطعن والتشنيع علَى العلماء المتبحرين في

العلوم الفلسفية والادبية ليس في تأليف موسهيم وروبرتسون هذه فقط بل في تآليف جميع ايمة البروتستان . ومن ثم لا نعجب من تشنيع روبرتسون هنا عَلَى اليونان والعرب بما هو غاية الفضل والفخر في التحقيق والتدقيق في العلوم الفلسفية والادبية

وقال في صفحة ٣٠٦ وصفحة ٣٠٧ يمكن ان يقال ان بلاد ايطاليا كان لها بعض تجارات مع مدن الامبراطورية اليونانية من ايام الامبراطور كرلوس مانوس (هو شرلمان) وكانت هذه البلاد الايطالية تجلب محصولات المشرق النفيسة الثمينة كما ذكره موراطوري وفي القرن العاشر فتحت ابواب التجارة بين اهل البندقية وبين الاسكندرية بمصر وبين هذه الثغور المذكورة ومدينتي املفي وبيزه ذكره موراطوري ايضاً وقد بينا في صحيفة (٣٩) من هذا الجزء كيف كان للمحاربة الصليبية مدخل في تجارات بلاد ايطاليا وازدياد ثروتها لا سيما تجاراتها مع البلاد المشرقية فان اهالي ايطاليا كانوا يجلبون من البلاد المشرقية محصولات الهند بل رتبوا في بلادهم منفقتورات وورشاً بديعة الصنع وقد وصف المؤلف موراطوري عدة من هذه الورش في مباحثه عَلَى فنون القرون الوسطي ومن وقتئذٍ حصل للايطاليين تقدم كبير في هذه الورش لا سيما في ورش الحرير التي مكثت زمناً طويلاً وهي خاصة بالاقاليم المشرقية في آسيا وكانت اقمشة الحرير في مدينة رومة القديمة غالية جداً حتى انهُ لم يكن هناك الا اناس قليلون ممن لهم اقتدار عَلَى شرائها وفي زمن الملك اوريليان سنة (٢٧٠ ميلادية)

كان رطل الحرير برطل من الذهب · وفي القرن السادس انشأ الملك جوستونيان في بلاد اليونان فنَّ تربية دود الحرير وبهذا استعمل الحرير اكثر مما كان عليهِ وان كان لم يزل غالياً ومعتبراً من انواع ملابس الرفاهية وعلامات العظم المخصوصة بالاكابر والاعيان ولا يلبس الاَّ في المواسم والمحافل العامَّة وفي (سنة ١١٣٠) ارسل روجير الاوَّل ملك جزيرة سيسليا الى مدينة اثينا واحضر منها عدَّة صنائعيَّة من صنَّاع الحرير واسكنهم بمدينة بالرمة وقوَّى هذا الملك صناعة الحرير في مملكتهِ ومنها انتقلت الى اجزاء ايطاليا الاخرى ذكر ذلك المؤَلِّف جيانيون في تاريخ نابلي فانتشرت اقمشة الحرير من وقتئذٍ حتى انهُ في اثناء القرن الرابع عشر كنت ترى في محفل من محافل مدينة جنويزه نحو الف من اهلها لابسين ثياب الحرير اه

قلت ما نقلناهُ قبل كان في تقدُّم اليونان وسائر بلاد المشرق عَلَى ايطاليا وسائر بلاد اوربَّا غرباً وشمالاً في المعارف والعلوم وهذا في تقدم اليونان عَلَى ايطاليا وسائر اوربَّا في الصناعة والتجارة والتمدن كما ترى · اما اذا شئت ان تعرف مبلغ حال اوربَّا حينئذٍ من الهمجيَّة فاقرأ ما ننقلهُ الآن عن المؤَلِّف نفسهِ

قال في صفحة ٢٧١ الى صفحة ٢٧٣· ولكن حيث ان مقصد المؤَلِّف مونتسكيو في هذا الشان لم يوصلهُ الى البحث عَلَى وجهِ التفصيل عن جميع الاحوال التي تخصُّ المحاربات الشرعيَّة نذكر لك هنا بعض وقائع خصوصيَّة لازمة لتوضيح ما ذكرناهُ في هذا الغرض ونمثّل لك

ذلك بمسألة فقهيةٍ مشكلة قد حكم فيها بالمحاربة الشرعيةٍ وذلك انهُ حصلت منازعة في القرن العاشر في شأن ميراث لان الحقوق الميراثية وقتئذٍ كانت غير معلومة في اوربَّا وان كانت الآن معلومة فيها عند الخاص والعام فقال بعض المؤرّخين كان من المشكل معرفة هذه المسألة وهي هل اولاد الابن كاولاد الصلب بحيث يرثون كاعمامهم سواءً بسواءٍ في صورة ما اذا مات ابوهم وكان جدُّهم موجوداً فعقدت مشورة لحلّ هذه المسألة وانحطَّ رأى الجمهور فيها عَلَى تفويض هذا الامر للقاضي ولكن استحسن الايمبراطور غير ذلك فامر ان يحكم في هذه المسألة بالمحاربة بين شخصين نائبين عن كلٍّ من الفريقين فاتفق ان الشخص الذي كان يحارب نيابة عن اولاد الميت انتصر عَلَى صاحبهِ لحكم من وقتئذٍ ان الاولاد يقاسمون اعمامهم في التركة انتهى ذكرهُ المؤلف ويتيكند كوربان

وان اردت كلاماً اجمع واشمل واكثر فائدة في معرفة مجمل احوال اوربَّا في تلك الازمان فارجع الى قولهِ في صفحة ٣٠ فهذا ما وقع في اوربَّا من القرن السابع الى الحادي عشر وقد ساق سلسلة تعاسات اوربَّا حينئذٍ حتى قال في اول صفحة ٣١ الى صفحة ٣٣ ما نصهُ

ويمكن ان يضاف الى هذه الافاعيل المشؤومة التي نتجت من منع الحكم الالتزامي نتائج انحلال نظام الحكم البشري وذلك لان جميع الامم ما دامت لم تتمتع بمملكة منتظمة يأمن فيها الانسان عَلَى نفسهِ فانهُ لا يمكن لها ان تشتغل بالعلوم والفنون وتظهر ذوقها وتحسّن اخلاقها لان زمن الفتن والظلم والنهب الذي ذكرتهُ آنفاً لا يمكن ان يكون معيناً عَلَى تتميم العلوم

والتأنس والتعيُّش والاجتماع البشري ولم يمض قرن من مدة سكنى هذه الامم الخشنيَّة في البلاد المفتوحة الا ورسوم المعارف والآداب التي انشأها الرومانيون في اوربا دارسة منسيَّة لا ذكر لها عندهم فاهملوا او فقدوا علوم الفصاحة التي هي آلة للزينة غير منفكَّة عنها و كذلك هجروا عدة فنون تكون سبباً في انتظام المعيشة وصلاحها و كانوا في هذه الازمنة المشؤومة لا يعرفون اسماء علوم الادب ولا اسماء الفلسفة واذا كانوا يشتغلون ببعض هذه الآداب فانما كانوا يستعملونها في الاشياء الحقيرة لا فيما شأنها ان تستعمل فيهِ وكان اعيانهم المتقلّدون بالوظائف المهمَّة أُميين لا يعرفون القِراءة ولا الكِتابة وكذلك كان كثير من القِسّيسين لا يفهمون الخطب التي كانوا ملزومين بتلاوتها عن ظهر القلب دائماً بل كان بعضهم لا يحسن القراءة و كانت روايات الوقائع الماضية منسيَّة عندهم ضائعة لا وجود لها الا في التواريخ المملوءة من الوقائع والحوادث الباطلة والحكايات العاطلة وصارت القوانين التي الَّفتها الملل التي نزلت باقاليم اوربا المختلفة متروكة لا يعمل بها ولا يعتمد عليها واستعاضوا عنها عادات فاسدة مخالفة للعادات القديمة ولما تجرَّدت هذه الامم عن الحريَّة والحميَّة والغيرة وتعذَّرت عندهم ممارسة العلوم وقعوا في ظلمات الجهل ومكثت اوربا مدَّة اربعمائة سنة لا يظهر منها احد من المصنِّفين يكون متأهلاً لان ينتفع بقراءة كتابهِ وحرياً بان يشتهر بفصاحة العبارات وغرابة المعاني فلم يخترعوا في مدَّة هذا التاريخ اختراعاً يكون نافعاً مفيداً للجمعيَّة تشرف بهِ تلك الاعصر وفسد الدين النصراني المعيَّنة قوانينهُ وترتيباتهُ في الكتب المقدَّسة بالتدقيق الذي لا يقبل التغيير

والتبديل وانقلب في هذه القرون المجهولة الحال الى بدع خشنيةً ولما دخلت
الملل الخشنية في الدين النصراني لم تغير مشربها في العبادة وانما غيرت
معبودها فكانت تبحث عمَّا يرضي الاله الحق سبحانهُ وتعالى بوسائل قليلة
الاختلاف عمَّا كانت تستعملهُ سابقاً لتسكين غضب آلهتها الباطلة التي
كانت تعبدها وعوضاً عن كونها تعمل بعمل اهل الخير والفضيلة الذي
يكون بهِ الانسان محبوباً عند خالقهِ المكمل للنفوس كانت تظنُّ انها وفت
جميع التكاليف حيث دققت في حفظ البدع والاحتفالات الفاسدة *
ودينهم الذي اتبعوهُ واعتادوا العمل بهِ لم يكن كبير شيء لان اعمالهم الدينية
التي كانوا يظنُّون انها تجلب لهم رضى الاله الحق سبحانهُ وتعالى كانت لا
تصدر الاَّ عن الخشنيين الذين تخيلوا مثل هذه الامور واحدثوها وتلك
الامور الفاسدة والعقائد الكاسدة تعدُّ من النقائص في حق الذات العلية
ومن العيوب في من يعمل بها من البشر ثم ان الملك كرلوس مانوس في
فرانسا والفريدوس الاكبر في انكلترة بحثا عن تشتيت ظلام هذا الجهل
وتوصلا الى ان يدخلا بين الرعايا بعضاً من المعارف ولكن منع من تلك
القوة والترتيب موانع عظيمة بسبب اهل ذاك العصر وموت هذين الاميرين
كان سبباً في انغماس هذه الملل في بحار الجهالة اكثر مما كانت عليهِ

ثم ان سكان اوربا كانوا يجهلون في هذه الاعصار المشؤومة ما كانت
تحسن بهِ الاعصار المتمدنة من الفنون بل كان لا وجود عندهم للفضيلة
المميزة عن الامم الخشنية وكانت قوة النفس واحساس مقامها والشجاعة في
المشروعات والتجلد لتنفيذ الامر واقتحام الاخطار واستحقار الموت كل هذه

الفضائل كانت مختصةً بطبيعة الامم التي لم تصل الى درجة التمدُّن ولكن هي نتائج المساواة والاستقلال الذي ازالتهُ محبةَّ القوانين الالتزاميةَّ في سائر الاماكن كما ان محبةَّ الاستيلاء والحكم افسدت ارباب الشرف وثقل الاستعباد سئمت منهُ الامم والاحساسات الشريفة التي كان يستدعيها التساوي محيت بالكليةَّ ولم يبق مانع يمنع القساوة الوحشيةَّ والافتراس وكذلك لم يوجد للشهوات النفسانية الصعبة جداً زمام يمنع فساد حالة الجمعيةَّ البشريةَّ والحالة التي فقد فيها الناس استقلالهم وعظيم اخلاقهم الاصليةَّ قبل ان يصلوا الى درجة التمدُّن التي فيها احساس العدل والشرف وقد اختصَّ تاريخ الازمنة التي نتكلَّم عليها بعدَّة اعمال كثيرة يتعجَّب منها القارىء ويعدُّها من الامور الشنيعة لا توجد في غيرهِ من تواريخ اوربا واذا كشفنا في تاريخ غراغور التورسناني وفي تاريخ المؤلفين الذين في عصرهِ وجدنا فيها شيئاً كثيراً من اوصاف الجبر ونكث العهد والانتقامات المهيجة للنفس مما لا يصدِّق بهِ العقل اه

وقال موسهيم في صفحة ٦٤٣ منهُ من عدد (١) ان روم هذا القرن مثل روم القرن السابق كانوا في حال شقيةَّ عديمي العلم وخالين من وسائط المعرفة الصحيحة بالامور الدينيةَّ ويصحُّ هذا القول على الروم اجمالاً حين نتكلَّم عنهم كجمهور لان من هو جاهل بهذا المقدار حتى ينكر امكانيةَّ وجود اشخاص نبلاء حاذقين عالمين غير خالين من التمدُّن وليسوا غرقى في الخرافات والرذائل والعهارة بين جمهور عظيم من الشعوب فسافر احياناً كثيرة البعض منهم الى سيسيليا وفينيسيا ورومية وانكلترا وهولنده وجرمانيا وكثيرون

منهم نجحوا في التجارة والبعض ارتقوا اعلى الرتب في الباب العالي اه

وفي صفحة ٦٤٤ منهُ عدد (٣) قال غير ان كثيرين يشتكون ولا احد يشتكي اكثر من ذوي الاصلاح (حاشية من الناقل . اعلم انهُ يريد بذوي الاصلاح البروتستان لانهُ منهم وهذا كتسمية الاعمى بالبصير) من ان تملق سفراء فرنسا في بلاد الترك من اليسوعيين وسفسطتهم وذهبهم اثرت حديثاً كثيراً في اساقفة الروم لجهلهم وفقرهم حتى انهم ضلوا عن ديانة آبائهم في انواع كثيرة وخاصةً في تعليم الافخارستيا ومن جملة اضاليل اللاتينيين انهم اعتنقوا تعليم الاستحالة المبهم وهذا تمَّ بنوع خاصٍ في مجمع اورشليم الشهير الذي عقدهُ دوسيثوس سنة ١٦٧٢ وهذه التهمة كاذبة كانت او صادقة تقدَّمت اولاً في مجادلة بين الباباويين وذوي الاصلاح في فرنسا فذوو الاصلاح ورأسهم يوحنا كلود العالم البليغ صرَّحوا ان معتقدات كثيرة من معتقدات الرومانيين ولا سيما المعتقد الذي يثبت ان الخبز والخمر في الافخارستيا يستحيلان الى جسد المسيح ودمهِ استحالة يبقى فيها منظر الخبز والخمر الخارجيّ كانت مجهولة بالكلية في الزمان القديم ولم يكن لها وجود بين اللاتينيين انفسهم قبل القرن التاسع وبعكس ذلك اللاتينيون فاحتجَّ انطوني ارنود ورُفقاؤهُ في هذه الدعوى ان المعتقد الروماني بخصوص العشاء الرباني هو معتقد المسيحيين في جميع الاجيال وكل مذاهب المسيحيين في الشرق قبلتهُ ولا سيَّما الروم فاقتضت هذه المجادلة بيّنات وشهادات فاجتهد سفراء فرنسا في القسطنطينيَّة واليسوعيون من الجهة الواحدة وسفراء الفلمنكيين والانكليز من الجهة الاخرى في ان

يجمعوا افكار الروم لجهة حزب كلٍ منهم وكان الرومانيون اكثر في عدد شهاداتهم ورصانتها · غير ان اولي الاصلاح احتجوا ان هذه الشهادات لا تعتبر لكونها مشتراة من الروم المتضورين اي المائتين من الجوع بالدراهم او انها صادرة من اناس يجهلون الامر او مخدوعين ومعرقلين بشرك التهديد· وكل من هو مختبر امور الروم ومعتزل الهوى يحكم على ظني في بتّ هذه المجادلة ان جانباً عظيماً من كنيسة الروم لبثت اجيالاً عديدة اقوالهم مبهمة في الاستحالة ولكن الرومانيين اوضحوها في الازمنة المتأخرة

وهذه ملاحظاتنا على هذا العدد وهي

(اولاً) قوله ان الكنيسة الارثوذكسية اعتنقت تعليم الاستحالة من اضاليل اللاتينيين وقد تمَّ ذلك بنوع خاص في مجمع اورشليم الشهير الذي عقده دوسيثوس سنة ١٦٧٢ اه وفيه انه هو نفسه قال في صفحة ٤٦٣ منه انه في المجمع اللاتراني سنة ١٢١٥ مسيحية نشر انوسنت الثالث الحبر الاعظم المنتفخ من تلقاء نفسه بدون ان يستشير احداً سبعين تحديداً ولما كان الاختلاف باقياً الى ذلك الوقت على كيفية وجود جسد المسيح ودمه في الافخارستيا ولم يحدد تحديداً عاماً يجب ان يعتقد به ويعلم في هذا الموضوع فنطق انوسنت بذاك الرأي الذي هو الآن عامٌ في الكنيسة الرومانية ان يكون الرأي الحقيقي الوحيد ووضع له اصطلاح الاستحالة الذي لم يكن معروفاً قبلئذٍ اه وفي صفحة ١٢٨ من المجلد الاول من الكتاب البروتستاني المسمى نظام التعليم في علم اللاهوت القويم) قال في شأن انقسام الكنيسة القديمة الى قسمين عظيمين الكنيسة الشرقية او اليونانية

والكنيسة الغربيَّة او اللاتينيَّة وهذا الانقسام ابتدأ في القرن السابع وانتهى (اي بلغ غايته لا إِنَّهُ زال) في القرن الحادي عشر اه واذ ذاك فاي مؤلف ذي عقل سليم وحياء يقول انه بعد ان بلغ الخلاف غايته وتمَّ الانفصال نقبل الكنيسة الارثوذكسيَّة تعليماً جوهرياً كهذا لم يكن عندها اصلاً من الكنيسة الغربيَّة ·

اعلم ان في كلام موسهيم نفسِهِ ما يبين بطلان دعواه وهو قوله ان الاختلاف في كيفية وجود جسد المسيح ودمهِ في الافخارستيا كان باقياً الى ذلك الوقت لم يحدَّد تحديداً عاماً اه اذ هو نصٌّ بان الاعتقاد بوجود جسد المسيح ودمهِ في الخبز والخمر المقدَّسين كان مقرراً قبل ذلك وانما كان الاختلاف في التعبير عنه وان انوسنت اصطلح من عند نفسهِ ان يعبّر عن ذلك بالاستحالة فيكون انكار البروتستاني منحصراً في وضع هذه اللفظة للتعبير عن ذلك الاعتقاد وحينئذٍ يقال له اعتقدانت نفس الاعتقاد وعبّر عنه بما شئت من لفظٍ لائقٍ ولكنك لا تعتقد بذلك اصلاً بل تقول ان الخبز والخمر بعد التقديس يبقيان كما كانا قبل التقديس ثمَّ تناقض قولك بفعلك اذ تمنع منهُ الكثيرين ممن هم مثلك اعتقاداً وتمنع ايضاً ان يتصرَّف بما يبقى من الخبز والخمر بعد الاشتراك كما يتصرف في الخبز والخمر الاعتياديين

ومما يدلُّ ان البروتستان يتسهلون و يجترئون على اتهام غيرهم بالاخلال بالتعاليم الدينية ولا يهابون دحض مزاعمهم ان مؤلف كتابهم (نظام التعليم بعد ان اعترف بان الخلاف بين الكنيستين الشرقيَّة والغربيَّة انتهى الى غايته في القرن الحادي عشر كما ذكرنا آنفاً قال وراء ذلك

وقد لقبت الكنيسة الشرقية نفسها على سبيل الافتخار بالارثوذكسية وذلك لان قوانين الايمان المسكونية الاصلية التي تحدد تعاليم التثليث واقنوم المسيح نشأت في الشرق قبل الانفصال بين الكنيستين الغربية والشرقية وفي اللغة اليونانية ومن ثم كانت على الخصوص ميراث تلك الكنيسة (اي الكنيسة الشرقية) التي لا تزال تكتفي بتكرار تلك القواعد القديمة حرفياً واقتصرت على التمسك بقوانين الايمان والاحكام التعليمية للمجامع السبعة المسكونية الاولى والذي احدثته من كتب عقائد الدين والتعليم المسيحي قليل واهمها ما يأتي

(١) كتاب عقائد الارثوذكسية للكنيسة اليونانية الجامعة الرسولية الفه بطرس موغيلاس متروبوليت مدينة كيفا في روسية سنة ١٦٤٣ وصدقه كل البطاركة الشرقيين

(٢) احكام سنودوس اورشليم او عقائد الدين لدوسيثيوس سنة ١٦٧٢ وهي تعليم جوهر ما تعلمه احكام مجمع ترنت (اي المجمع الذي قال موسهيم ان البابا عقده سنة ١٢١٥ ووضع فيه سبعين تحديداً ومن جملة ذلك لفظة الاستحالة كما تقدم) في شأن النسبة بين الاسفار المقدسة والتقليد وكذلك بين الاعمال الصالحة والايمان والاسرار وذبيحة القداس وعبادة القديسين اه

(٣) كتاب التعاليم المسيحية الروسية التي اثبتها السينودوس المقدس ولاسيما التعليم المسمى (كاتيكزم) المطول لفيلاريت متروبوليت موسكو من سنة ١٨٢٠ الى سنة ١٨٦٧ الذي سلم به باجماع كل بطاركة المشرق

ومنذ سنة ١٨٣٩ شاع استعماله في مدارس روسيا وكنائسها وهو اقرب الى التعليم الانجيلي بشأن سلطان الكتاب المقدس في امور الايمان المسيحي والحياة المسيحية اكثر من كل ما نشأ من التعليم في الكنيسة الشرقية . وترجم الى العربية واسمه (كاتيشيس) وهو المعوَّل عليه عند الروم الاثوذكسيين في الشرق اه

قلت وفي كلامهِ . اولاً انه افترى عَلَى الكنيسة الارثوذكسية انها تعبد القديسين وهي انما تكرم القديسين ولا تعبدهم وهذا نص فيلاريتوس في الكلام عَلَى الوصيَّة الاولى من الوصايا العشر

س . ان كانت الوصيَّة الاولى تأمر بعبادة الله وحده فكيف اذن يتفق مع الوصيَّة اكرام الملائكة والناس القديسين

ج ان اكرامهم القويم متوافق مع الوصيَّة من كل الوجوه . لاننا نحن نكرّم بهم نعمة الله الساكنة والفعالة فيهم فنلتمس بهم معونةً من الله اه

وهذا ايضاً كلام بلاطون مطران موسكو قبل فيلاريتوس وهو ايضاً قد ترجم الى العربية منذ سنوات قليلة بهمة وعمل قدس الاب الخوري يوحنا حزبون قال في الكلام على الوصيَّة الثانية . فان اعظم اكرام نقدر ان نقدّمه للقديسين انما هو الاجتهاد بان نقتدي بهم في سيرتهم وان يكون اتكالنا عَلَى الله وحده الذي عليه قد اتكلوا هم ايضاً فيكون بلا عذر ويستوجب العذاب كل من يقدّم للقديسين اكراماً معادلاً لاكرام الله

وثانياً انه بعد اعترافه بان قوانين الايمان الاصلية انما حفظت في الكنيسة الارثوذكسية وبعد ان اعترف بان الانفصال انتهى الى غايته في

القرن الحادي عشر لم يخجل من ان يقول ان سينودس اورشليم اتخذ سنة ١٦٧٢ تعاليم مجمع ترنت الذي هو مجمع روماني

وقد ظهر من كلام موسهيم الذي مرَّ ومن كلام هذا اللاهوتي البروتستاني هنا ان تلك العقائد معلومة ومحفوظة في الكنيستين من القدم. وعلى افتراض ان الكنيسة الارثوذكسية اخذت لفظة الاستحالة من كلام الكنيسة الغربية كما ان الكنيسة الغربية اخذت وتأخذ كثيراً من كلام الكنيسة الشرقية فليس اللفظ بعقيدة وانما هو للتعبير عن العقيدة. واذ ذاك فاذا اعتقد البروتستاني بوجود جسد المسيح ودمه في الخبز والخمر المقدَّسين وعبر عن ذلك بلفظ آخر لائق نقبل منه ذلك ونرجو ان الله يقبلهُ منه

وقد اعترف اللاهوتي البروتستاني لكتاب فيلاريثوس بالمزيَّة كما رأيت ونحن ننقل له منه اخصَّ الفقر في شأن هذا قال س ما هو التناول ج هو سرٌّ به يذوق المؤمن تحت شكل الخبز والخمر جسد المسيح ودمهُ لحياة ابدية ثم قال بعد ذلك لماذا هذا الامر هو جوهريٌّ ج لان في هذه الدقيقة يصير انتقال او استحالة اما الخبز فالى حقيقة جسد المسيح ذاته واما الخمر فالى حقيقة دم المسيح ذاته ثم قال س كيف يجب ان نفهم كلمة استحالة ج كتاب شرح ايمان البطاركة الشرقيين يعلم بلفظة استحالة ان الطريقة التي بها يستحيل الخبز والخمر الى جسد ودم الرب لا تفسر بالكلية

على ان التعبير عن هذه العقيدة لا ينحصر في الكنيسة الارثوذكسية بلفظ الاستحالة بل تعبر عنه بلفظ الانتقال ايضاً كما رأيت واذ ذاك فلو

لم يكن للفظ الاستحالة قدمية لما استعملتها وكانت اقتصرت عَلَى كلمة الانتقال ويلزم من ذلك ان قول البروتستان ان الكنيسة الارثوذكسية اخذت لفظة الاستحالة من تعليم الكنيسة الغربية لا صحة لهُ

ومما يدهش منه ان موسهيم يتهم الكنيستين الشرقية والغربية باختراع الاعتقاد بوجود جسد المسيح ودمه في سرّ الشكر وهو يعترف ان منشيء البروتستانية لوتير كان يعتقد هذا الاعتقاد نفسهُ ومن ذلك قوله في صفحة ٥٧٨

والسبب الاصليّ في انشقاق اللوتريين عن السويسريين معتقد زونكل في عشاء الرب فحين كان لوتيروس يعتقد ان جسد المسيح ودمهُ حقيقةً في العشاء الاقدس بنوع لا يعبر عنهُ ومقدَّمان في الخبز والخمر اللذين في ذلك السرّ كان زونكل يعتقد خلاف ذلك ان الخبز والخمر انما هما اشارة ورمز عن جسد المسيح ودمهِ غير الحاضرين اه

ولسنا نعلم ولا نقدر ان نعلم كم يكون استياء وسخط وغضب البروتستان اجمالاً عَلَى وجهِ العموم والمستر موسهيم والمستر هنري جسب مترجم تاريخهِ الى العربية وطابعهِ ومؤلف كتاب نظام التعليم في تعليم اللاهوت (البروتستاني) القويم ومؤلف كتاب ريحانة النفوس (البروتستانية) ومترجميهِ وناشريهِ نفرداً وعَلَى وجهِ الخصوص عَلَى المستر هارفي بورتر البروتستاني استاذ التاريخ في المدرسة الكليَّة البروتستانية في بيروت لمناقضتهِ زعمهم هذا وبيانهِ افتراءهم عَلَى الكنيستين الشرقية والغربية سواء كان ذلك منهم تهوُّراً عن جهلٍ او عمداً عن معرفةٍ بما ذكرهُ في صفحة ٥٤٢ من تأليفهِ

(النهج القويم في التاريخ القديم طبعة سنة ١٨٨٤ في بيروت حيث قال ما نصهُ بحروفهِ :

وما زال المسيحيون يتكاثرون ويزيدون اعتباراً الى ملك تراجانوس الذي كان على جانب عظيم من الفطنة والدراية وشدة البأس والمحافظة على سنن المملكة سواء كانت سياسية او دينيّة ومعاقبة من يخالفها بصرامةٍ . وكان من جملة هذه السنن منع الاجتماعات السريّة لايّ غايةٍ كانت ولما كان المسيحيون مضطهدين ومعيرّين وممقوتين من الناس لأنهم نهوا عن عبادة الاوثان وقرّفوا تابعيها التزموا ان يخلوا بانفسهم عند اجتماعاتهم للعبادة ويختفوا حذراً من هجوم الاعداء عليهم فوقعوا تحت طائلة التأديب لمخالفتهم السنّة المذكورة فقاصهم تراجانوس وتهدّدهم بالقتل اذا لم يرعووا عن ذلك بعد نصحهِ اياهم . وحدث ان بلنيوس الشهير في العلم والتأليف تعيّن والياً على بيثينية وبنطس من اعمال اسيا الصغرى سنة ١١٠ ب٠م وكان حليماً عادلاً يميل الى الرحمة فلما شُكِيَ اليهِ عَلى المسيحين انهم يجتمعون سراً خلافاً للسنّة لممارسة عبادة فاسدةٍ واستعمال طقوس قبيحة كذبح الاطفال وما اشبه ذلك عمد الى البحث المدقّق عن هذا الامر قبل اصدار الحكم بشأنهِ فوجد ان اجتماعهم كان صحيحاً ولكن دعوى استعمالهم القبائح ليست الا محض افتراء واذ كان بلنيوس مرتاباً في امرهم كتب الى الامبراطور يستشيرهُ بذلك ولا تزال رسالتهُ مع جواب الامبراطور باقية الى الآن اما فحوى الرسالة فهو هذا : ان قوماً من المسيحيين اعتادوا أن يجتمعوا سراً قبل الفجر ويرنموا ترنيمة او مزموراً للمسيح الههم ثم يتحالفون ويتعاهدون

عَلَى الامتناع عن السرقة والزنى وفعل المنكر ونكث العهود ثم بعد أن يأكلوا طعاماً بسيطاً ينصرفون اه · ولربما اشار بالاكل البسيط هنا الى العشاء الرَّباني

" فلنا من هذه الرسالة التي كتبها رجل وثني عديم المحاباة بعد التنقير والتدقيق برهان قاطع وحجة راهنة عَلَى ان مسيحيي ذلك الزمان كانوا منصبين عَلَى العيشة المسيحية تابعين شريعة الانجيل الطاهرة،، فاجابه تراجانس بما مآلهُ ان لا يقبل الوشاية ولا الدعوى عَلَى المسيحيين ما لم يثبتها المدعي تحت امضائهِ وان لا يفتش عن المسيحيين ليقاصهم بل متى استحضر احدهم فليستنطقهُ فان اقرَّ بكونهِ مسيحياً فلا بُدَّ من قصاصه حتى يكرم آلهة رومية · انتهى النقل عن بورتر

ونحن بعد ان نصرّح باننا لا نعلم كم تصرَّف هذا المؤلف البروتستاني الامام في شيعتهِ في هذا الخبر من حذف وإغفال ومسخ لم يزل لنا فيهِ الادلة الآتية وهي

(١) ان هذه الحادثة جرت سنة مئة وعشر مسيحية وذلك بعد وفاة الرسول يوحنا الانجيلي بثماني سنوات لأن يوحنا كتب انجيله سنة ١٠٠ ب·م فلا تُقدَّر وفاته قبل سنة ١٠١ وهذه الحادثة جرت سنة ١١٠ فيكون بينها ٨ سنوات

(٢) ان هذه الحادثة جرت في مكان إقامة يوحنا الانجيلي وتبشيرهِ وتعليمهِ لأنهُ كان يقيم في اسيا الصغرى وبطمس · وبلنيوس الوالي هذا كان والياً عَلَى اسيا الصغرى وبطمس

(٣) ان المؤلف البروتستاني الدكتور بورتر قد شهد بان بانيوس هذا كان شهيراً في العلم والحلم والعدل والميل الى الرحمة ويلزم من ذلك ان اولئك المشتكين لا يجترئون ان يرفعوا اليه الشكوى الا على التحقيق والتأكيد تهيباً لعلمهِ وعدله ومن ثم يكون هذا الخبر مستحقاً الاعتبار التام حتى تُبنى عليه الادلّة

(٤) ان هذه الحادثة جرت مع تلاميذ يوحنا الانجيلي ومنهم وفيهم اذ ذاك يوستينس وبوليكاربوس اللذان عاشا الى سنة ١٦٦ ب٠م كما ذكر ذلك المؤلف في صفحة ٥٤٤ بقوله ان مرقس اوريليوس كان شديد التمسك بفلسفة الرواقيين كما ذكر وحسب المسيحيين ذوي اوهام ردية متصلفين عنيدين لانهم رفضوا عبادة الالهة التي جعلها اوريليوس من الواجبات السياسية ومن رفضها يحسب خائناً وكثرت في ايامه المصائب والحروب والاوبئة وما شاكل فنسب ذلك الى غضب الالهة لان عبادتهم قد أُهملت واصدر الاوامر بتقديم عبادة خصوصية استعطافاً لهم ولا ريب ان المسيحيين ابوا تقديمها فوقعوا تحت قصاص الشريعة الامبراطورية فقتل منهم كثيرون لهذا السبب وفي ذلك الزمان هلك يوستينس الشهير بمصنفاتهِ الكثيرة وبوليكاربوس الشيخ الموقر اسقف ازمير وتلميذ يوحنا الرسول الذي لما وقف امام الوالي اراد ان ينقذهُ فتوسل اليه ان ينكر المسيح ويحيا فاجابه بوليكاربوس قائلاً انني قد خدمت المسيح ستاً وثمانين سنة ولم يفعل بي الا خيراً فكيف يليق بي الان ان انكرهُ وهو ملكي ومخلصي اه فاسلمه الوالي الى الموت فربطوه الى الوتد واحرقوه وهو يسبح

الله وبمجده اذ انه منحهُ اكليل شهيد وكانت وفاته سنة ١٦٦ ب ٠ م انتهى النقل عن الدكتور بورتر

وبعد ان ننبه المطالعين الى النظر في لياقة قولهِ « هلك يوستينوس وبوليكاربوس بدلاً من ان يقول استشهدا او اميتا نقول فيكون بوليكاربوس قد بقي متتلمذاً ليوحنا الى ان بلغ ٢٦ سنة من عمره

(٥) ان الشكوى عَلَى المسيحيين كانت بانهم يمارسون عبادة فاسدة ويستعملون طقوساً قبيحة ويذبحون اطفالاً وفي ذلك الادلة الاتية وهي

اولاً ان الوثنيين قالوا عن المسيحيين انهم يمارسون عبادة فاسدة وهذا ما يقوله البروتستان علينا الان الاَّ انهوان تساوى الوثنيون والبروتستان في الافتراء لا يتساوون في الاعتبار لان للوثنيين انتظاماً في تعبدهم وحداً في عقائدهم وليس للبروتستان انتظام في تعبدهم ولا حدٌّ في عقائدهم كما تبين ذلك صريحاً اكيداً مما نقلناه قبل من كلام موسهيم وهو احد ايمتهم وتصديق جسب اياه بترجمتهِ وطبعه ونشره مقرّاً بصدقه بسكوته وداعياً الجميع الى معرفته ليكونوا عَلَى شاكلتهِ

وثانياً ان الوثنيين قالوا عَلَى المسيحيين انهم يستعملون طقوساً قبيحة وهو صريح بانهُ كان اذ ذاك عند المسيحيين طقوس وهذه الطقوس لا يقال انها مماثلة لطقوس الوثنيين ولا مأخوذة عنهم اذ لو كانت كذلك لما وصفوها بانها قبيحة فقول البروتستان الآن وعَلَى الخصوص شنيدر في تاليفه ريحانة النفوس (البروتستانية) بان كل ما عندنا الآن من الطقوس مأخوذ عن الوثنيين صورة وغاية افتراء محض مقترن بعدم الخوف من الله وعدم الحياء

من الناس وعدم التورُّع في الدين ويقاسم شنيدر في ذلك شق الابلة ايمة البروتستان في بيروت الذين ترجموا كتابهُ الى العربية وطبعوهُ ونشروهُ شراباً ساماً وشرًّا عاماً وليس ذو عقل سليم يقول او يتصوَّر ان تلك الطقوس وُضعت في تلك السنوات الثماني بين وفاة يوحنا الرسول ورفع الشكوى الى بلنيوس الوالي ويلزم من ذلك انها كانت في ايام يوحنا الانجيلي ويلزم منه ان الطقوس في الكنيسة هي من ايام الرسل ويلزم منهُ ان البروتستان في قولهم ان الطقوس وُضعت بعد القرن الثالث اي في القرن الرابع والخامس وما بعدها الى الآن لا يقولون صدقاً ولا يحترمون حقاً

وهذا فضلاً عمَّا يزري علينا البروتستان في طقوسنا ويعيبونها ويعيبوننا بها وليس عند البروتستان طقوس فهم ليسوا اخوة المسيحيين الذين كان عندهم طقوس في تاريخ ١١٠ مسيحية وانما هم اخوة الوثنيين في شيء لا في كلّ شيء اي في الطعن علينا بطقوسنا مع الفرق بين الوثنيين والبروتستان وهو ان الوثنيين لا يدَّعون علينا ان طقوسنا مأخوذة من طقوسهم بدلالة وصفهم اياها بالقبح ولو كانت في نفسها او لو رأوا هم انها مأخوذة من طقوسهم لما وصفوها بالقبح واما البروتستان ففضلاً عن انهم يقولون ويعلمون ان طقوسنا مأخوذة من طقوس الوثنيين يقولون ايضاً ويعلمون انهُ لا حاجة الى الطقوس اصلاً بل هي مفسدة للعبادة والدين معاً

ولسنا نعلم ما الذي يحجب عن اذهان البروتستان وعقولهم وابصارهم ان يقولوا ان طقوسنا مأخوذة من طقوس اليهود مع انهم يعلمون ان

الديانة المسيحية مبنية عَلَى الديانة اليهودية وان السيد المسيح له المجد ولد بين اليهود وعاش بين اليهود وتعبد بعبادة اليهود واتم شعائر اليهود بدلالة ختانه واتيانهِ الى الهيكل مراراً وتعليمهِ فيه وان رسلهُ كانوا من اليهود واستمرّوا بعد صعوده يصلّون في الهيكل مع اليهود (انظر ١ ع ٤ : ١ — ٢٦ و٥ : ١٧ — ٢٥ و١٥ : ٢١ و١٧ : ٢ و١٨ : ١٨ — ٢٠ و٢١ : ١٧ — ٢٤) ولا شكَّ ان بعضهم يعلمون ان المسيحيين لم يبنوا لانفسهم معبداً خاصاً الا بعد سنة سبعين من التاريخ المسيحي اي بعد خراب هيكل اليهود في اورشليم و يعلمون ان المسيحيين اخذوا الاسفار المقدَّسة من اليهود واخذوا ايضاً كثيراً من الترتيبات والتهذيبات الدينية من اليهود وهم يرون كل يوم الى اليوم اليهود امام عيونهم وكثيراً من الامور الدينيَّة مشتركاً بيننا وبين اليهود كاسم الكاهن واسم المعبد اي الكنيس والكنيسة واسم الفصح واتشاح الكاهن برداء خاص في وقت القيام بفروض العبادة كالكاهن اليهودي . و بعد كل هذا نعيد كلامنا ونقول اننا لا نعلم ما الذي حجب عن ابصارهم ان يقولوا ان طقوسنا مأخوذة من طقوس اليهود ولا ما الذي اقتادهم الى ان يقولوا انها مأخوذة من طقوس الوثنيين

وثالثاً ان الوثنيين قالوا عَلَى المسيحيين انهم في اجتماعاتهم وممارسة عباداتهم وطقوسهم يذبحون اطفالاً وهو كما لا يخفى نصٌّ بان المسيحيين كانوا يعلمون بالاستحالة و يعتقدون بها والاَّ فكيف خصَّهم الوثنيون بهذا الفعل البعيد عن الفكر ولم يقولوا عليهم غيرهُ مما يتبادر الى الذهن في مثل هذه الوشايات كالاجتماع سرًّا للزنى مثلاً او للمؤامرة في اضرار الناس اومضادَّة

السياسة ونحو ذلك وهو أيضاً نصٌّ بانهم وهم يعتقدون بالاستحالة كانوا يأكلون ما لا يُرى بالعيون سوى طعام بسيط كما نعتقد نحن اليوم بالاستحالة ولا نرى برأي العين سوى طعام بسيط

فان قيل ان بلنيوس لم يذكر في رسالتهِ انهم كانوا يستعملون الخمر أيضاً ومن ثم لا يكون المراد بقولهِ طعاماً بسيطاً العشاء الرباني. نجيب اولاً انه لم يكن من قصد بلنيوس في رسالتهِ الاستقصاء وانما اخبر امبراطورهُ بما هو المهمّ عندهُ من الاجتماع وغايتهِ بدليل انه لم يذكر التعليم والوعظ ولا صورة التعبُّد ولا عبارات الصلاة مع أنهُ كان لا بُدَّ من كل ذلك في اجتماعهم علَى ان قولهُ طعاماً يشمل الخمر أيضاً كما أنه في مفهومنا اليوم أيضاً ذكر الطعام يشمل الخبز وما يكون معهُ مماً يؤْكَل ويُشرَبُ

هذا ونحن نرضى كلَّ الرضى ونرجو كل الرجا ان يقتصر البروتستان في الطعن والقدح والتقبيح علينا وعلى طقوسنا ولا يدَّعون علَى موسى انهُ اخذ الطقوس التي رتبها عن الوثنيين ولا علَى داوود النبي والملك الذي زاد فيها وفي تنظيمها وتكاليفها و كثر نفقاتها وخدمها حتى جعل الكهنة ٢٤ فرقة (١ اي ٢٤ : ١ — ١٨) وكان الكهنة واللاويون يعدُّون بالالوف

علَى انه سواءٌ كان كلٌّ من موسى وداوود اخذ عن الوثنيين او وضع ما رتبهُ من عند نفسه او بالهام الهيّ فان الله سبحانهُ وتعالى قبلها وتمجد بها والبروتستان لا يقبلونها بل يقبحونها و يعيبونها و يعيبوننا بها

وبقي ان يقال ان معنى الطقس او الطقوس في العبادة انما هو الترتيب

والنظام وليس عند البروتستان طقوس واذ ذاك فنرجو من البروتستان ان يفيدونا كيف تكون العبادة بدون طقوس وماذا تسمى العبادة بدون طقوس وعبارة عن اي شيء تكون العبادة بدون طقوس

او ترى لا يطعن ويقبّح ويشنّع البروتستان عَلَى نوح وابراهيم لان نوح بعد خروجهِ هو واهل بيته من الفلك بنى مذبحاً للربّ واخذ من كلّ البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة واصعد محرقاتٍ عَلَى المذبح (تك ٨ : ٢٠) وابراهيم بنى مذبحاً للرب الذي ظهر لهُ (تك ١٢ : ٧) وانظر ايضاً (تك ١٣ : ٨ و٢٦ : ٢٥) واقلّ ما يُقدَّر ان البروتستان يقولونهُ لنوح وابراهيم ان بناء المذبح ضرب من الطقس وهو بدعة تفسد العبادة والدين لانها غير مذكورة في تقدمة قايين وهابيل (تك ٤ : ٣) فتأمل ايها المطالع اللبيب الى اين والى ماذا يفضي الشرود من الحظيرة والخروج عن الدائرة والتيه عن الجادّة

حتى اذا قيل صنع فلان طعاماً لفلان يُفهم منهُ كلّ ما يقدمهُ الآدب من المآكل والمشارب . وثانياً ان المؤلّف البروتستاني قد فهم واعترف ان ذلك اشارة الى العشاء الرباني وهو لا يكون الاَّ بالخبز والخمر جميعاً ولا وجه لإلقائهِ الشك بقوله « ولربما » لأن اجتماعهم قبل الفجر يعيّن ذلك اذ ليس هو وقت غذاء ولا وقت عشاء

وقد رأيت ايها المطالع مقدار تورُّع وتثبُّت هولاء الناس في مايعتقدون وما يعلّمون وما يفترون بهِ على غيرهم ولا سيما على الكنيسة الارثوذكسية وليس هذا المقام مقام استيفاء الكلام في هذا الشأن فنقتصر منهُ عَلَى هذا القدر

وقولهِ ايضاً (اي قول الدكتور بورتر) في عدد (١٠) من صفحة ٥٤٥ من تأليفهِ (كتاب النهج القويم في التاريخ القديم) اما سفيروس الاول فمال الى المسيحيين واستخدم بعضهم وحدث انه لما مرض مرضاً شديداً دهنوهُ بالزيت المقدَّس فشفي ونسب شفاءهُ الى قوَّةٍ سرّيةٍ في الزيت فاعتبر المسيحيين واستخدمهم و كان معلّم قرقلا ومربيتهُ منهم ولكن اذ رأى ازديادهم ونموَّهم خاف واصدر امراً بمنع دخول الناس في دينهم فاحدث ذلك بعض الاضطهاد ثم هلك سفيروس وعادت الراحة الى مجراها فاخذوا بالتكاثر مدَّة نحو ٣٨ سنة اي من سنة ٢١١ الى سنة ٢٤٩ ب٠ م٠ ما عدا برهة قصيرة في ايام مكسمينوس البربري ورُخِّصَ لهم بتشييد المعابد لانهم كانوا يمارسون العبادة الى ذلك الحين سرّاً في بيوتهم وصاروا ينتخبون قسوسهم واساقفتهم علانية ويمارسون فرائض الدين جهاراً وارتقى بعضهم الى المناصب السامية واكتسبوا رضا الملوك ولاسيما الذين كان اصلهم من آسيا وحصل علماؤهم عَلَى مزيد الاعتبار وقيل سفيرس الثاني اقام تمثال المسيح وتمثال ابراهيم في معبدهِ الخاص مع جملة الآلهة وقيل ان فيلبُّس كان مسيحياً بالباطن اه

نقول ولنا ايضاً في هذا الخبر الملاحظات الآتية وهي

(١) قولهُ وحدث انهُ لما مرض (اي الامبراطور سفيرس) مرضاً شديداً دهنوهُ بالزيت المقدس فشفي ونسب شفاءهُ الى قوَّة سرّيةٍ في الزيت فاعتبر المسيحيين واستخدمهم

ولا نعلم كيف يقرأ البروتستان كلام المستر بورتر هذا ولايخطئونهُ

ويمقتونهُ ويجهّلونهُ ويقولون لهُ بحسب المبدا البروتستاني هذا الزيت هو هو نفسهُ بقوامهِ ولونه وريحه وطعمه سواء صلّي عليه او لم يُصَلَّ عليه فكيف وانت بروتستاني متنوّر واحد الاساتذة العظام في المدرسة الكليَّة الانجيليَّة اي استاذ التاريخ فيها تنقل وتقرّر مثل هذا الخبر الذي هو شاهد صريح ساطع قاطع بصحة تعليم الكنائس التقليدية ليس الارثوذكسية والرومانية فقط بل جميع فرق المسيحيين بان في الاسرار قوة روحية تؤثر في النفس وفي الجسد ايضاً وان استند الى قول يعقوب اخي الرب (امريض احد بنيكم فليدعُ قسوس الكنيسة فيصلّوا عليه ويدهنوهُ بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفي المريض والرب يقيمه وان كان قد فعل خطية تغفر لهُ (يع ٥ : ١٤ و١٥) فلا اقلّ من ان يخطئوهُ في فهمه ويثبتوا خطاءهُ بان البروتستان لا يفعلون ذلك اصلاً وكفى بهذا شاهداً وبرهاناً

(٢) قوله ورخص لهم بتشييد المعابد لانهم كانوا يمارسون العبادة الى ذلك الحين سرّاً في بيوتهم ·

وهنا نقول او ترى لا يحسب البروتستان تشييد المعابد من الاحداثات التي زادها الآباء في الدين وهي عندهم مما يقبّحهُ ويشوّههُ ويفسده وذلك لانه لم يكن للمسيحيين في ايام الرسل معابد خاصة بل كانوا حتى الرسل انفسهم يصلون في الهيكل مع اليهود انظر ١ ع ٣ : ١ حيث يقول وصعد بطرس ويوحنا معاً الى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة · وايضاً ١ ع ٢١ : ٢٦ حيث يقول · حينئذٍ اخذ بولس الرجال في الغد وتطهر معهم ودخل الهيكل مخبراً بكمال ايام التطهير الى ان يقرّب عن كل واحدٍ منهم القربان ·

وقوله ايضاً (اي قول الدكتور بورتر) في عدد (١٠) من صفحة ٥٤٥ من تأليفه (كتاب النهج القويم في التاريخ القديم) اما سفيروس الاول فمال الى المسيحيين واستخدم بعضهم وحدث انه لما مرض مرضاً شديداً دهنوه بالزيت المقدس فشفي ونسب شفاءه الى قوة سرية في الزيت فاعتبر المسيحيين واستخدمهم وكان معلم قرقلاً ومربيته منهم ولكن اذ رأى ازديادهم ونموهم خاف واصدر امراً بمنع دخول الناس في دينهم فاحدث ذلك بعض الاضطهاد ثم هلك سفيروس وعادت الراحة الى مجراها فاخذوا بالتكاثر مدة نحو ٣٨ سنة اي من سنة ٢١١ الى سنة ٢٤٩ ب ٠ م ٠ ما عدا برهة قصيرة في ايام مكسمينوس البربري ورُخِّصَ لهم بتشييد المعابد لانهم كانوا يمارسون العبادة الى ذلك الحين سراً في بيوتهم وصاروا ينتخبون قسوسهم واساقفتهم علانية ويمارسون فرائض الدين جهاراً وارتقى بعضهم الى المناصب السامية واكتسبوا رضا الملوك ولاسيما الذين كان اصلهم من آسيا وحصل علماؤهم عَلَى مزيد الاعتبار وقيل سفيرس الثاني اقام تمثال المسيح وتمثال ابراهيم في معبدهِ الخاص مع جملة الآلهة وقيل ان فيلبُّس كان مسيحياً بالباطن اه

نقول ولنا ايضاً في هذا الخبر الملاحظات الآتية وهي

(١) قوله وحدث انه لما مرض (اي الامبراطور سفيرس) مرضاً شديداً دهنوه بالزيت المقدس فشفي ونسب شفاءه الى قوة سرية في الزيت فاعتبر المسيحيين واستخدمهم

ولا نعلم كيف يقرأ البروتستان كلام المستر بورتر هذا ولا يخطئونه

ويمقتونهُ ويجهلونهُ ويقولون لهُ بحسب المبدا البروتستاني هذا الزيت هو هو نفسهُ بقوامهِ ولونه وريحه وطعمه سواءٌ صلّي عليه او لم يُصَلَّ عليه فكيف وانت بروتستاني متنوّر واحد الاساتذة العظام في المدرسة الكليَّة الانجيليَّة اي استاذ التاريخ فيها تنقل وتقرّر مثل هذا الخبر الذي هو شاهد صريح ساطع قاطع بصحة تعليم الكنائس التقليدية ليس الارثوذكسية والرومانية فقط بل جميع فرق المسيحيين بان في الاسرار قوة روحية توثر في النفس وفي الجسد ايضاً وان استند الى قول يعقوب اخي الرب (امريض احد بينكم فليدعُ قسوس الكنيسة فيصلّوا عليه ويدهنوهُ بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفي المريض والرب يقيمه وان كان قد فعل خطية تغفر لهُ (يع ٥ : ١٤ و١٥) فلا اقلّ من ان يخطئوهُ في فهمه ويثبتوا خطأهُ بان البروتستان لا يفعلون ذلك اصلاً وكفى بهذا شاهداً وبرهاناً

(٢) قوله ورخص لهم بتشييد المعابد لانهم كانوا يمارسون العبادة الى ذلك الحين سرًّا في بيوتهم ·

وهنا نقول او ترى لا يحسب البروتستان تشييد المعابد من الاحداثات التي زادها الآباء في الدين وهي عندهم مما يقبّحهُ ويشوّههُ ويفسده وذلك لانه لم يكن للمسيحيين في ايام الرسل معابد خاصة بل كانوا حتى الرسل انفسهم يصلون في الهيكل مع اليهود انظر ١ ع ٣ : ١ حيث يقول وصعد بطرس ويوحنا معاً الى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة · وايضاً ١ ع ٢١ : ٢٦ حيث يقول · حينئذٍ اخذ بولس الرجال في الغد وتطهر معهم ودخل الهيكل مخبراً بكمال ايام التطهير الى ان يقرّب عن كل واحدٍ منهم القربان ·

فان قال لهم وانتم انفسكم ايضاً تبنون كنائس فلا اسهل من ان يخطئوه بقولهم ان ما نبنيه نحن انما هو في الحقيقة مجتمعات لا كنائس الا ترى انها لا تشبه الكنائس المسيحية في شيء

(٣) قوله وصاروا ينتخبون قسوسهم واساقفتهم علانيةً وهذا ايضاً يغضب البروتستان ويهيجهم عَلَى الدكتور بورتر لما فيهِ من التقرير الصريح بان القسوس غير الاساقفة والاساقفة غير القسوس وهم اي البروتستان يعلمون ان المشيخة والقسوسية والاسقفية رتبة واحدة ٠ ولا يردعهم ويردهم عن ذلك ما في الكتاب المقدس من النصوص ولا ما في تاريخ الكنيسة من الحوادث بالفرق بين القسوسية والاسقفية ولا ينظرون الى حفظ هذه الرتب وامتيازاتها بالتقليد في جميع فرق المسيحيين وفي بعض فرق البروتستان ايضاً كالانكليكان

(٤) قولهُ وقيل سفيرس الثاني اقام تمثال المسيح وتمثال ابراهيم في معبدهِ الخاص مع جملة الآلهة ٠

نقول ان هذا الخبر وان وضعهُ المؤلف تحت التضعيف بقولهِ (وقيل) لا يزال يدل عَلَى اتخاذ الصور والتماثيل من اول ازمنة الكنيسة والاَّ فمن اين عرف سفيروس صورة المسيح وصورة ابراهيم ومن اين حصل عَلَى تمثاليهما

وقد قلنا قبل اننا لا نعلم مقدار ما تصرَّف المؤلف البروتستاني الدكتور بورتر في الخبر عن حادثة بلنيوس وكتابته الى امبراطوره من الحذف والاثبات والتغيير والتبديل ولا بدَّ لنا من ايراد امثلة من ذلك ولو قليلةً

حتى لا تكون دعوانا بلا سند · وقد اخترنا من بين الامثلة العديدة خبر الحادثة الآتية

قال في صفحة ٥٤٦ (عدد ١٤) اما قسطنطين فزاد عَلَى كلّ من تقدمهُ في حماية المسيحيين ولما قويت شوكته في ايطاليا كتب منشوراً اطلق بهِ الحرية الدينية لجميع رعاياهُ عَلَى اختلاف قبائلهم والسنتهم بدون استثناء وهو المعروف بمنشور ميلان وكان هذا امراً عجيباً وحادثاً غريباً لم يسبق له مثيل في القرون الغابرة اذ كان مبدا الاكثرين ولاسيما الحكام وجوب اكراه الناس واجبارهم عَلَى التدين بدينهم واستعمال السيف لاجرائهِ فادخل حرية الضمير في العقائد الدينية ونهى عن اتيان المنكر في العبادة الظاهرة ووافقه ليسينيوس عَلَى ذلك ايضاً غير ان قسطنطين هو مصدرهُ ومنشئهُ واختلف في انه كان مسيحياً يومئذٍ اذ لم يتحقق زمن تنصرهِ وظنّ بعضهم انهُ تنصر قبل انتصارهِ عَلَى مكسنتيوس وما يروى انه لما كان سائراً لمحاربتهِ رأى عند الضحى في الجوّ صليباً لامعاً باهراً مكتوباً عليه بهذا تنتصر فاندهل قسطنطين جداً واخذ يتامل في هذه الروءية العجيبة ثم رأى في الليل يسوع المسيح واقفاً امامهُ ورافعاً الصليب بيدهِ قائلاً لهُ اتخذهُ رايةً في حروبك فتنتصر عَلَى اعدائك ففعل وانتصر وصار مسيحياً · هذه رواية يوسيبيوس المؤرّخ الدينيّ عن لسان قسطنطين نفسه غير انهُ لا يركن اليها كثيراً والسبب ظاهر مما فعله قسطنطين عقيب ذلك عند افتتاحهِ رومية وتقلّدهِ منصب رئيس الكهنة في الديانة الرومانية الوثنية واتمامهِ فرائضها فلو كان مسيحياً حقيقياً ما اتى مثل ذلك ومما يدلّ ايضاً

عَلَى فساد معتقدهِ تأخيرهُ المعمودية الى حين موتهِ · اما روية الصليب ففيها ريب لانهُ قيل انهُ ظهر لاعين كل العساكر لكن لم يخبر بهِ الاَّ قسطنطين وهذا يخالف العقل ولا يوافق النقل ان الوفا رأوا منظراً مدهشاً كهذا ولم تتناقلهُ الالسن والظاهر ان قسطنطين بقي متردداً بين الديانة الوثنيَّة والمسيحيَّة ولم يعتمد على الاخيرة الى اواخر حياتهِ اما منشورهُ المذكور فلا يثبت كونهُ مسيحياً لان ليسينيوس الوثنيّ وافقهُ عليهِ وفضلاً عن ذلك لا يميز فيه بين الاديان بل ينزل الجميع منزلة واحدة غير ان اتخاذ قسطنطين الصليب راية في حروبهِ لا ريب فيهِ كما يتضح من نقودهِ وغيرها من آثارهِ وسماها (لابارُمَا) ووضع عَلَى رأسها اكليلاً من الذهب ونقش فوقها الاحرف الاوليَّة من اسم المسيح في اللغة اليونانية اه هذا كلامهُ بحروفهِ

ونحن في كشف الغطاء عما في كلامهِ هذا وتبيين تعصبهِ وتلاعبهِ ومجازفتهِ فيهِ نقسمهُ الى الفقر الآتية وهي

(١) قولهُ ومما يروى انهُ (اي قسطنطين) لما كان سائراً لمحاربتهِ (اي لمحاربة مكسنتيوس) رأى عند الضحى في الجوّ صليباً لامعاً باهراً مكتوباً عليهِ بهذا تنتصر فانذهل قسطنطين جداً واخذ يتأمل في هذه الروئية العجيبة ثم رأى في الليل يسوع المسيح واقفاً امامهُ ورافعاً الصليب بيدهِ قائلاً لهُ اتخذهُ راية في حروبك فتنتصر على اعدائك ففعل وانتصر وصار مسيحياً هذه رواية يوسيبيوس المؤرّخ الديني عن لسان قسطنطين نفسهِ غير انهُ لا يركن اليها كثيراً والسبب ظاهر مما فعلهُ قسطنطين عقيب ذلك عند افتتاحهِ رومية وتقلدهِ منصب رئيس الكهنة في الديانة الرومانية

الوثنية واتمامه فرائضها فلو كان مسيحياً حقيقياً ما اتى ذلك ٠

نقول مهما استغرب غيرنا ممن لا يعرف البروتستان واطوارهم وآدابهم الدينية ومقاصدهم وجرأتهم في التطوّح واستسهالهم القدح والتشكيك والارابة والتضعيف بل النفي والتكذيب لكل خبر تقويّ فاننا لم نستغربه بل نراهُ عين ما ينتظر من بروتستاني ولا سيما مثل الدكتور بورتر من ائمة البدعة والاَّ فأيُّ محلٍّ للريب في هذه الحادثة فان قسطنطين كان وثنياً ابن وثني من اسرة وثنية عريقة في الشرف والعظمة والاقتدار وهو في هذا الوقت اوغسطس المملكة وقائد عظيم سائر الى محاربة نظيرهِ وخصمهِ في الاستيلاء عَلَى عرش المملكة الرومانية التي كانت اذ ذاك اعظم الممالك هذا قسطنطين ابن قسطنطيوس هو هو اخبر يوسيبيوس المؤرخ الديني العظيم بهذهِ الرؤية ويوسيبيوس كتبها مصرحاً فيها انه كتب عن لسان قسطنطين نفسهِ كأنهُ سيق الى ذلك بالهام الجاءاً وابكاماً وافحاماً لقوم سيأتون بعد اثني عشر قرناً يرتابون ويريبون البسطاء في ذلك

عَلَى ان اتخاذ قسطنطين الصليب راية لهُ وامرهُ في صباح اليوم الثاني بوضع الصليب عَلَى جميع رايات جنودهِ ثابت محقق ومؤكد بل مشاهد الى اليوم في رايات الملوك المسيحيين جميعاً والاستاذ العظيم مؤرخنا الدكتور بورتر نفسهُ ليس يعترف بذلك فقط بل يثبتهُ ويؤكدهُ بقوله بعد عبارتهِ هذه بثمانية اسطر (غير ان اتخاذ قسطنطين الصليب راية في حروبهِ لا ريب فيه) ٠ وسياتي لنا بسط الكلام في ذلك

عَلَى انه اذا كان في رؤية قسطنطين الصليب في الجو لامعاً ساطعاً

مكتوباً عليه بهذا تنتصر ريب · ولا ريب في اتخاذ قسطنطين الصليب راية لهُ في حروبهِ لا نعلم على ماذا يبني حينئذٍ الاستاذ العظيم والمؤلف البارع في التاريخ الدكتور بورتر اتخاذ قسطنطين الصليب راية له في حروبه او ترى الى هذه الغاية من التهوُّر يبلغ التحمس في التعصب

ومما تلاعب بهِ الدكتور بورتر في هذا الخبر قوله ثم رأى في الليل يسوع المسيح واقفاً امامهُ رافعاً الصليب بيدهِ قائلاً لهُ اتخذهُ راية في حروبك فتنتصر عَلَى اعدائك وقد ابهم الكلام حتى لا يفهم منهُ ما اذا كان ظهور يسوع المسيح هذا لقسطنطين في الليل كان في اليقظة او في الحلم والحقيقة ان ذلك كان في الحلم كما هو نصُّ التاريخ الصادق كما سيأتي

ولا نراهُ فعل هذا الا ليستعين بهِ عَلَى القاء الريب على رؤية قسطنطين الصليب عند الضحى لامعاً في الجوّ حتى يبني اتخاذ قسطنطين الصليب راية عَلَى هذا الحلم ولكن فاته انهُ توجد تواريخ غير تاريخهِ تذكر هذه الحادثة على وجه الصحة والتدقيق

وحينئذٍ يقال لهُ انهُ لو كانت تلك الرؤيا في الحلم لكان لا بدَّ لها من التكرار ليقتنع قسطنطين منها ويعمل بها والاَّ فالمشاهدة العيانية النهارية اثبت واقوى ولا يصحُّ ترتب اتخاذ قسطنطين في ثاني يوم من ذلك الصليب راية الاَّ عليها فتامل

ومما اختلقهُ الاستاذ بورتر لنفي هذه الحادثة قوله اما رؤية الصليب ففيها ريب لانه قيل انهُ ظهر لاعين كل العساكر لكن لم يخبر بهِ الا قسطنطين وهذا يخالف العقل ولا يوافق النقل ان الوفا رأوا منظراً مدهشاً كهذا ولم

تتناقله الالسن

فهل يتطلب تاريخ حياة كل واحد من الذين كانوا مع قسطنطين وان تكون حادثة رؤية الصليب في الجو مذكورة فيهِ حيث يلزم ان يقدم لهُ في ذلك نحو ٥٠٠٠٠ الف مجلد علىَ انه لو كان كل واحد من اولئك الذين كانوا مع قسطنطين المسيحيين والوثنيين جميعاً كتب تاريخ حياتهِ وذكر الحادثة فيهِ فهل كانت هذه التواريخ تحفظ الى الآن حتى يشاهدها ويطالعهـا ويعمل نظر الانتقاد فيها الدكتور بورتر ٠ او ليس في نصّ التاريخ ان يوسيبيوس المؤرخ الديني العظيم كتب ذلك باخبار قسطنطين وبامرهِ كفاية وغنى عما سواهُ

واما تناقل الالسن لهذه الحادثة فهو شائع ذائع من ذلك الوقت الى الآن حتى ان بنات المسيحيين يعرفنَ خبر الحادثة ويروينهُ واذ ذاك فايْ الامرين يكون منافياً للعقل ومخالفاً للنقل تقرير هذه الحادثة في التاريخ الصحيح عن مؤرخ دينيّ عظيم كتبها وقررها عن لسان قسطنطين وبأمرهِ او انكارها من الدكتور بورتر بعد ١٦ قرناً

اما قولهُ ان قسطنطين عقيب رؤيتهِ الصليب في الجو منيراً ساطعاً عند افتتاحهِ رومية تقلد منصب رئيس الكهنة في الديانة الرومانية الوثنية واتمّ فرائضها٠ فمهما كان الحال وكيف كان لا نظنْ انه (اي الدكتور بورتر) اتى هذه الفرية عمداً وانما نقول انه رأى في النصوص الماعاً الى امر لم يعرف حقيقتهُ فصوَّرت له الاوهام البروتستانية ذلك والاَّ فان الحقيقة ان لقب رئيس كهنة كان من جملة القاب الاوغسطس ٠ وقسطنطين حين فتح رومية

ودخلها ظافراً وخضوعها لهُ لم يامر منادياً ينادي برفض هذا اللقب الذي هو مجرَّد تسمية لا حقيقة لها· وقد كان الاولى بالدكتور ان يراجع ويفحص ويسأل من العارفين قبل ان يتطوَّح بتصوُّراتهِ

ولو جارينا المستر بورتر وقلنا معهُ ان قسطنطين لما دخل رومية تقلد وظيفة رئيس الكهنة في الديانة الرومانية الوثنية واتمَّ فرائضها فهل يصحُّ اتخاذ ذلك دليلاً عَلَى ان قسطنطين لم يكن اذ ذاك مسيحياً ومن نظائر ذلك

(١) ان نوحاً مختار الله من جيلهِ والاب الثاني للبشر شرب من الخمر فسكر وتعرَّى داخل خبائهِ (تك ٩ : ١٢) فهل يرى الاستاذ ان ذلك ينفي التقوى والرصانة والادب والتعقل من نوح

(٢) ان ابراهيم مختار الله ومعاهدهُ قال عن سارة امرأتهِ انها اختهُ (تك ٢٠ : ٢) وكونها اختهُ من ابيهِ لا ينفي كونها امرأتهُ فهل ينفي ذلك عن ابراهيم الصدق والايمان والاتكال عَلَى الله

(٣) ان اسحاق تكلم بغير الواقع عن امراتهِ انها اختهُ (تك ٢٦ : ٧) فهل ينفي ذلك عنهُ الصدق والايمان والغيرة

(٤) ان يعقوب قبل مشورة امهِ ووافقها عَلَى خدعة ابيهِ اسحاق (تك ٢٧ : ١ — ٣٥) فهل ينفي ذلك الصلاح والصدق والتدين عن يعقوب وامهِ او ليس أمهُ معدودة في فضليات النساء الصالحات وهو اسرائيل الله

(٥) معاملة يوسف الخداعية اخوتهُ (تك ٤٤ : ١ — ١٧) فهل تنفي عن يوسف التقوى والصدق والعدل

(٦) مكر بني يعقوب بشكيم وحمور ابيهِ ثم غدرهم بهما و باهل مدينتهما وقتل كل ذكر فيها (تك ٢٤ — ١ — ٣١) فهل ينفي كونهم من شعب الله الخاص ورؤساء الاسباط وابناء اسرائيل

(٧) هرب موسى من مصر حين قتل المصري (خر ٢ : ١٥) فهل ينفي عنهُ الثقة بالله واستيفانوس (اع ٧ : ١٥) يقول ان فعل موسى كان بالهام

(٨) حادثة نعمان السرياني (٢ مل ٥ : ١ — ١٩) وخصوصاً قولهُ لليشع النبي رجل الله . اما يعطى لعبدك حمل بغلين من التراب لانهُ لا يقرّب بعد عبدك محرقةً ولا ذبيحة لآلهة اخرى بل للرب عن هذا الامر يصفح الرب لعبدك عند دخول سيدي الى بيت رمّون ليسجد هناك ويستند على يدي فاسجد في بيت رمّون فعند سجودي في بيت رمّون يصفح الرب لعبدك عن هذا الامر فقال لهُ امضِ بسلام (عد ١٧ ــ ١٩) فترى ان رجل الله النبي اليشع قد سمح لنعمان السرياني ان يسجد فعلاً في بيت الوثن ناظراً الى ظروفه واما الدكتور بورتر فلا يسمح لقسطنطين الذي بعد المحاربات العديدة والعظيمة صار اوغسطس المملكة الرومانية ان يسكت عن رفض لقب لا حقيقة فعلية لهُ وذلك لان اليشع لم يكن بروتستانياً

اما نحن فنقول ان الرجال العظام في الدنيا وخصوصاً رجال السياسة والملك قلما ينجون من مثل ذلك وفي اخبار داود وسليمان امثلة ايضاً من هذا القبيل . وكلها يجب ان يتدبرها العاقل ويستفيد منها فانها لهذا كتبت

واخيراً نقول اينتقد الدكتور عَلَى السيد يسوع المسيح ويضع مسيحيته تحت الريب لقول لوقا الانجيلي (٢٤ : ٢٨) ثم اقتربوا الى القرية التي كانا منطلقين اليها وهو تظاهر كأنه منطلق الى مكان ابعد

عَلَى انا اذا جاريناه بان قسطنطين حين افتتح رومية ودخلها لم يكن مسيحياً يكون الكلام في ظهور الصليب له اقوى واظهر وآكد مما لو كان حينئذٍ مسيحياً لانه لم يبقَ سبب يـبنى عليه اتخاذ الصليب راية له سوى ذلك حتى يكون اقوى من ظهور يسوع المسيح له في الحلم لانه لا بدَّ من تكرار رؤية الحلم حتى يحصل الاقتناع وقسطنطين في اليوم الثاني من رؤيته الصليب في الجوّ جعل الصليب راية له

واما قوله ومما يدلُّ عَلَى فساد معتقدهِ تأخيره المعمودية الى حين موته فنحن نترك الحكم في لياقة هذه العبارة الى اهل الدين واهل الادب واهل العلم وبالتالي الى كل عاقل اديب منصف في العالم اجمع ونظر فيها من حيث معناها فقط فنقول انه

تصوَّر باطلاً وبنى عليهِ فجاء بناؤُه مثل الهباء
نفخناه فزال فكان وهماً بدا ثم اضمحل بلا عناء

واقلُّ ما يقال في الدكتور بورترهنا انه بصنيعه هذا قد ماثل الاميّين من الأُميين علماً وزاد عليهم بقبح العبارة فانهم اذ يرون المسيحيين يرسمون الصليب عَلَى اجسادهم عند الشروع في الصلاة وعند الابتداء في الاكل وعند الاخذ في الاعمال وعند النهاية من هذه الامور ايضاً وهم (اي الاميون) لا يعرفون معنى ذلك ولا يعرفون انهم لا يعرفون فيقولون ان النصراني

ملزوم في دينه عند الشروع في الصلاة وعند الابتداء في الاكل وعند الاخذ في الاعمال (ان يكش (يطرد) الذبان عن وجهه وان لم يكن عليه ذبان) وهم بجهلهم لا يعلمون ان ارتسام المسيحي بالصليب يذكره بالمصلوب وتذكره بالمصلوب يذكره بتجسد الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس لاجل خلاص الانسان الساقط بسقطة ابيه آدم وان ذلك اي عمل خلاص الانسان قد تم بصلب المسيح وموته على الصليب ودفنه وقيامته من الموت بعد ثلاثة ايام و بالاجمال فان رسم الصليب يذكر بما في العهد القديم والعهد الجديد من التعليم الخلاصي و بواجبات المسيحي من الايمان بذلك والاعتراف به ولكن اين الجهلاء اعني الاميين من معرفة هذا كله او معرفة شيء منه

والحقيقة ان قسطنطين كان يرجو انه يتمكن من اتمام سر المعمودية على شاطئ الاردن حيث اعتمد السيد المسيح وكان يؤخر ذلك الى ان يغتنم له فرصة من احوال سياسة المملكة وكان ما ينجم مع الأيام بل كل يوم تقريباً من الحوادث والفتوق والثوائر في تلك المملكة الوسيعة لا يمكنه من ذلك ومثل هذا كما لا يخفى يقع كثيراً لعظماء العالم حتى مرض وهو في نيكوميديا وشعر بقرب الاجل وعرف ان جسمه لم يعد يحتمل السفر الى الاردن ولم تبقَ له فرصة لذلك وبالإجمال قد فاتته تلك الامنية العزيزة لديه جداً فحينئذٍ اعتمد وتزود بالاسرار الالهية وانتقل الى الاخدار السماوية

وهنا نسال الدكتور اين يرى فساد الاعتقاد اعند قسطنطين الذي كان يعتقد ان المعمودية تدخل المعتمد في عداد المؤمنين بالمسيح وتؤثر صلاحاً في النفس والجسد او عند الذي يقول ان المعمودية رسم خارجي

عملي لا تأثير لهُ في نفس ولا جسد · وسيأتي مختصر تاريخ حياة قسطنطين من كلام بورتر نفسهِ وحينئذٍ للطالع ان يعمل نظر التروّي والحكم

وهنا بناءً عَلَى ما هو معروف ومعهود من البروتسان انهم يعترضون عَلَى كل ما لم يعرفوه من الامور المحققة والموْكدة الثبوت كانه شيءٌ باطل لا حقيقة لهُ هم وحدهم يعرفون بطلانه وعدم تحققه دون غيرهم لانهم وحدهم متنورون لا ريب ان ينتصب البروتستاني هنا انتصاب المارد الحارد ويرفع صوتهُ من ضعف ويعرّضهُ من ضيق ويقول بلهجة من غرّهُ النظر فهجم عَلَى الخطر هجوم الطامع بالفوز والظفر · وهذا الفكر ايضاً من اوهام قسطنطين الدالة عَلَى فساد معتقده او ليس الماء حيث كان هو الماء والتراب حيث كان هو التراب والصخور حيث كانت هي الصخور وعبور الانهر حيث كانت هي العبور فتخيَّل قسطنطين ان الاعتماد في عبر الاردنّ حيث اعتمد السيد المسيح افضل من الاعتماد في مكان اخر ليس الاَّ وهماً من اوهام الوثنيين ويلزم منهُ فساد المعتقد · والدليل عليهِ ان المخلوقات الحية التي هي ادنى من الانسان لا تعتبر شيئاً من ذلك فالانسان الذي هو اعلَى منها خلقاً بالاولى ان لا يعتبر شيئاً منهُ

فنحن لا نقول ان هذا الكلام الناتج عن غاية الجهالة لا يستحق جواباً لما ان في ذلك اغماض الفائدة بل نبين لقائلهِ خطاءهُ وفظاعة ما يلزم عنهُ من نصوص الكتاب المقدَّس ومن الترجمة البروتستانية ليكون ذلك اشدَّ اقناعاً والخاماً للجاهل او المنكر ان بعض الاماكن مقدَّس عند الله وقديسيهِ اكثر من بعض وان اتمام الامور التعبدية في بعض الاماكن افضل

منهُ واكثر قبولاً في غيرهِ · ومن امثلة ذلك

(١) قوله · وحدث بعد هذه الامور ان الله امتحن ابراهيم فقال له يا ابراهيم فقال ها أنذا فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحاق واذهب به الى ارض المريا وأصعدهُ هناك محرقةً عَلَى احد الجبال الذي اقول لك · فبكَّر ابراهيم صباحاً وشدَّ عَلَى حمارهِ واخذ اثنين من غلمانهِ معهُ واسحاق ابنهُ وشقق حطباً لمحرقةٍ وقام وذهب الى الموضع الذي قال لهُ الله · وفي اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيهِ وابصر الموضع من بعيد فقال ابراهيم لغلاميه اجلسا انتما ههنا مع الحمار واما انا والغلام فنذهب الى هناك ونسجد ثم نرجع اليكما فاخذ ابراهيم حطب المحرقة ووضعهُ عَلَى اسحاق ابنهِ واخذ بيدهِ النار والسكين فذهبا كلاهما معاً وكلم اسحاق ابراهيم اباهُ وقال يا ابي فقال ها أنذا يا ابني فقال هوذا النار والحطب ولكن اين الخروف للمحرقة فقال ابراهيم الله يرى لهُ الخروف للمحرقة يا ابني · فلما اتيا الى الموضع الذي قال لهُ الله بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحاق ابنهُ ووضعهُ عَلَى المذبح فوق الحطب ثم مدَّ ابراهيم يدهُ واخذ السكين ليذبح ابنهُ فناداه ملاك الرب من السماء وقال ابراهيم ابراهيم فقال ها أنذا فقال لا تمدَّ يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئاً لاني الآن علمت انك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني (تك ٢٢ : ١ — ١٢)

فنرى ان الله جلَّ جلالهُ وتمجد اسمهُ قد امر ابراهيم ان يأخذ ابنهُ وحيدهُ اسحاق ويذهب به الى ارض المريا البعيدة عن محلّ اقامته سفر ثلاثة ايام ليقدمهُ هناك محرقةً فماذا ترى يرى البروتستاني في ذلك ألم يكن

تراب وحجار وحطب ونار في محل اقامة ابراهيم بل نراهُ قد اخذ الحطب والنار معهُ · ألكي يبعدهُ عن نظر أمهِ ففضلاً عما في ذلك من مزيد حسرة الام ولوعتها بعدم رؤيتها ابن شيخوختها ووحيدها اخر نظرة عند ذهابه من هذه الدنيا فكان يكفي ان يبعد بهِ مسافة ساعة او ساعتين او ٦ ساعات فاذن ليس الأ ان المحرقة مقبولة لديه تعالى في ارض المريا اكثر مما في غيرها

ونرى ان الله رأى ذلك نتيجة لتقوى ابراهيم وخوفه منهُ وحبه لهُ مبيناً ذلك بقوله · الآن علمت انك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني

(٢) قوله فارتحل اسرائيل وكل ما كان لهُ (اي عند نزوله الى مصر) الى بيئر سبع وذبح ذبائح لالهِ ابيه اسحاق فكلَّم اللهُ اسرائيل في رؤى الليل وقال يعقوب يعقوب فقال ها أنذا فقال انا الله الهُ ابيك لا تخف من النزول الى مصر لاني اجعلك أمةً عظيمةً هناك « تك ٤٦ : ١ — ٣ »

ولماذا جاء يعقوب الى بيئر سبع قبل نزولهِ الى مصر · جاء ليقدم الذبائح في المكان الذي كان ابوهُ اسحاق قبلُ بنى فيه مذبحاً ودعا باسم الرب · كما ينص الكتاب بقوله ثم صعد (اي اسحاق) من هناك الى بيئر سبع فظهر لهُ الربُّ في تلك الليلة وقال لهُ انا الهُ ابراهيم ابيك لا تخف لاني معك وابارككَ وأكثر نسلك من اجل ابراهيم عبدي · فبنى هناك مذبحاً ودعا باسم الرب (تك ٢٦ : ٢٣ — ٢٥)

والامر في هذا واضح حتى لا يحتاج الى مزيد ايضاح فضلاً عما

فيهِ من تعليم الله تمجد امّمهُ بقبول الشفاعة عندهُ بقولهِ لاسحاق من اجل ابراهيم عبدي ولكن ليس ذلك من غرضنا الآن فلا نتكلم فيهِ

وفي الكتاب مثل هذا كثير ولكنا نكتفي بهذين الشاهدين وقد ظهر ان المخلوقات الحيَّة التي هي ادنى من الانسان لا تعتبر ذلك ولا تقف عندهُ لقصور مداركها عن فهمهِ لا لسموّ مداركها عنهُ . وثبت ان فكر قسطنطين كان صواباً وان خلافهُ جهلٌ وخطاه

وانما بسطنا الكلام بهذا المقدار بشأن ظهور الصليب لقسطنطين تسهيلاً لفهم الحادثة وما يقول فيها الجاحدون وما يدحض مزاعمهم ويبين سخافة اعتلالاتهم لاننا نحسب ان اكثر الذين سيطالعون كتابنا هذا من شعبنا بسطاء ولو كنا نكتب لمطالعة المتعلمين فقط لاقتصرنا من الكلام على ما يأتي وهو

(١) ان قسطنطين كان وثنياً ابن وثنيٍ وهو اذ ذاك احد الاوغسطسين الاثنين في مملكة رومية الوسيعة والعظيمة وهو المنتصر الظافر في حروبهِ العديدة الى ذلك الحين وهو السائر بجيش فيهِ ٤٠٠٠٠ مقاتل الى محاربة منازعهِ في الملك

(٢) ان المسيحيين كانوا في جيشهِ اقل عدداً وسطوةً ووجاهةً

(٣) ان اتخاذ قسطنطين الصليب رايةً امرٌ مسلَّمٌ حتى من نفس الخصم

(٤) انهُ لا بدَّ لكل معلول من علةٍ واذ ذاك فان انتفت رؤْية قسطنطين الصليب عياناً جهاراً نهاراً يلزم ان يكون لذلك علةٌ اخرى ولكن ليس في التاريخ ولا في اعتلال الخصم قول بعلة اخرى فيلزم ان تكون رؤْية

قسطنطين الصليب مما لا ريب فيهِ

(٥) انهُ كان معظم قواد جيوش قسطنطين ان لم يكونوا جميعهم ومعظم افراد جنودهِ وثنيين واذ ذاك فلا يُعقَل ان قسطنطين يغيّر شارات اعلام جيوشهِ فيجعلها مسيحية ويقبل قوادهُ وافراد جنودهِ بذلك بدون سببٍ مقنعٍ ولم يذكر ولا عرف سبب سوى رؤية الصليب ويلزم من كل ذلك ان ظهور الصليب كان لقسطنطين وقوادهِ وجنودهِ جميعاً

(٦) ان الاعتلال في انكار ظهور الصليب لقسطنطين بعدم اخبار غيرهِ بتلك الرؤيه ساقط بدلالة قبول قواد جيوش قسطنطين وقبول افراد جنودهِ بتغيير شارات اعلامهم الى صلبان بدون ممانعة اصلاً اذ لم يذكر في التاريخ ولا في التقليد ان احداً مانع في ذلك وهذا القبول العام في هذا الشان العظيم جدًّا ولا سيما عند القواد والجنود كما يقع الآن من مخاطرة القواد والجنود بنفوسهم لاجل اعلامهم لا يكون بدون اقتناع عام ولا يصح افتراض علة لذلك ولم يذكر الجاحدون علة لذلك سوى ظهور الصليب وهكذا يكون ظهور الصليب قد كان لقسطنطين وكل من كان معهُ من القواد والجنود

(٧) ان مؤرخنا الدكتور بورتر لم يذر ولم يستند في شكهِ وتشكيكهِ على قولٍ لمؤرخٍ ولو وثنياً ولا على موقع نظر يصح الاستناد اليه وانما ذكر تخيلات من عند نفسهِ لم يكن يُظَنّ قبل وقوعها انهُ يقبل على نفسهِ ان ننسب اليه وننقل عنهُ وهذا وحدهُ كافٍ لحبوط عملهِ ونختم الكلام في هذا الشأن بانهُ قصد ان يشكك الناس فلم يشكّ الناس بسوء صنيعهِ

ثم قولهُ (اي قول الدكتور بورتر) اما منشورهُ (اي منشور قسطنطين المعروف بمنشور ميلان) فلا يثبت كونه مسيحياً لان ليسنيوس الوثني وافقهُ عليهِ وفضلاً عن ذلك لا يميز فيهِ بين الاديان بل ينزّل الجميع منزلة واحدة

ايها المطالعون اعلموا وافهموا وان لم تصدّقونا راجعوا وطالعوا ان الدكتور بورتر يقول هذا الكلام الذي يدخن بالطعن والقدح والتنديد في حق قسطنطين بعد ان قال في صدر عددهِ هذا . اما قسطنطين فزاد عَلَى كل من تقدّمهُ في حماية المسيحيين ولما قويت شوكتهُ في ايطاليا كتب منشوراً اطلق بهِ الحرية الدينية لجميع رعاياهُ عَلَى اختلاف قبائلهم وألسنتهم بدون استثناء وهو المعروف بمنشور ميلان وكان هذا امراً عجيباً وحادثاً غريباً لم يسبق لهُ مثيل في القرون الغابرة اذ كان مبدأ الاكثرين ولا سيما الحكّام وجوب اكراهِ الناس واجبارهم عَلَى التديُّن بدينهم واستعمال السيف والقوّة لاجرائهِ فأدخلَ حرية الضمير في العقائد الدينيّة ونهى عن اتيان المنكر في العبادة الظاهرة ووافقهُ ليسينيوس عَلَى ذلك أيضاً غير ان قسطنطين هو مصدرهُ ومنشئهُ . حيث تجدون كلامهُ في صدر العدد غاية الغايات في الثناء عَلَى قسطنطين والمديح لهُ وخصوصاً عَلَى ادخال حرية الضمير في العقائد الدينية وان مصدر ذلك المنشور ومنشئهُ انما هو قسطنطين وليس لليسينيوس فيهِ سوى موافقة قسطنطين عليهِ . ولسنا نكلفكم ان تجدوا وجهاً للتوفيق بين كلامي الدكتور بورتر هذين بل نكشف لكم السرّ في ذلك وهو ان الدكتور بورتر بروتستاني وقد وجد نفسهُ انه مدح قسطنطين واثنى

عليهِ في اول العدد وقسطنطين معدود في رجال الكنيسة المسيحية وقديسيها والبروتستاني لا يأتي على ترجمة او ذكر رجل معدود في رجال الكنيسة سواء كان في العلم او التقوى او الفضيلة او المناضلة عن سلامة التعليم المسيحي ولا يطعنهُ ويجرحهُ ويعيبهُ ويقبحهُ بامرٍ ما او بأمور ولو ناقض في ذلك التواريخ الصحيحة والتقاليد المحفوظة والاخبار المتناقلة المتواترة عن جيل الى جيل ومن يشكُّ في هذا فليقرأ تاريخ موسهيم

وبعد ذلك نسأل الدكتور بورتر هل يعدُّ عدم تمييز قسطنطين بين الاديان من حيث الحرية بان يتدين الانسان باي دين شاء نقيصةً فيهِ وفساداً في ايمانهِ ايضاً وهو امر موافق لروح الدين المسيحي وممدوح من المؤمن والكافر والعالم دون الجاهل وهو نفسهُ في صدر العدد نفسهِ قد مدح قسطنطين عليهِ وكل عاقل وكل منصف يمدح قسطنطين عليهِ

وليسمح لنا الدكتور بورتر ان نسألهُ هل يجد في الاخبار عن قسطنطين خبراً لانعطافهِ نحو المسيحيين وحنوهِ عليهم وعنايتهِ في حمايتهم قبل خبر رؤيتهِ الصليب في الجو لامعاً ساطعاً ونرجو منه ان كان خبر رؤيتهِ الصليب غير صحيح ان يذكر على ماذا يبني صدور هذه الامور من قسطنطين

وقد ختم الدكتور بورتر العدد (١٤) الذي نقلنا الفقر السابقة منهُ بقولهِ غير ان اتخاذ قسطنطين الصليب رأيةً في حروبهِ لا ريب فيهِ كما يتضح من نقودهِ وغيرها من آثارهِ وسمَّاها (لا بارُمَا) ووضع على رأسها (اي على راس النقود) اكليلاً من الذهب ونقش فوقها الاحرف الاولية من اسم المسيح في اللغة اليونانية

نقلنا هذه العبارة بتمامها وان كنا نقلنا بعضها قبلاً لكي لا ننقل الكلام التالي مبتوراً ولنا في نقلها الغايات الآتية . الاولى عرضها عَلَى نظر المطالع عرضاً خاصاً ليتروَّى ويحكم فيما اذا كانت تنفي الريب عن مسيحية قسطنطين أو لا تنفيهِ . والثانية اراءة المطالع الدكتور بورتر استاذ التاريخ في المدرسة الكلية الانجيلية كيف يخبط ويمدح قسطنطين ويذمهُ ويجعله مسيحياً نقياً غيوراً ورئيس كهنة وثنياً في وقت واحد . والثالثة تتميم فائدة كلامهِ وهو قوله (لا بارُما) والصواب (لا فرون) او (لا برون) ومعناها رايات الغنيمة اي انهُ بها ينتصر عَلَى اعدائهِ ويحوز غنائمهم

وهنا ننقل من كلام الدكتور بورتر نفسهِ عدد (١٥) الذي بعد عدد (١٤) الذي نقلنا منهُ مطاعنهُ في قسطنطين نأخذهُ ردًّا عليهِ وتزييفاً لهُ

قال ولما انفرد قسطنطين بالملك بعد هزيمة ليسنيوس جعل الدين المسيحي ديانة المملكة لانهُ لما تغلَّب عَلَى خصمهِ الوثني نسب ذلك الى مساعدة الله المسيحيين لهُ فاتَّقاهُ دون غيرهِ واشعاراً بذلك اصدر منشوراً يذكر فيهِ ما اتاهُ اللهُ عَلَى يدهِ من الفوز والغلبة ويدعو الناس جميعاً للخضوع لهُ تعالى والتدين بالدين المسيحي الذي جعلهُ ديانة المملكة غير انه لم يكره احداً عليها . ومع ان قسطنطين منح الناس حرية الضمير في امور الدين لم يرضَ الا بالمسيحيين كما يتضح من افعاله وتصرفاته فكان يخولهم المراتب السامية والمناصب العالية ويكرم مثواهم ويخصهم بالانعامات دون الوثنيين ففتح ذلك باباً واسعاً لدخول الناس الى الديانة المسيحية رغبةً في الارتقاء وحباً للامبراطور فهرعوا افواجاً افواجاً من جمع انحاء المملكة فحصلت عَلَى

نفع جزيل واثر هذا في احوالها تأثيراً مهماً لان اكثر الذين ارتقوا الى المناصب السياسية والحربية كانوا من افضل الناس سيرةً واحسنهم ادباً واشدهم دراية فاستفادت المملكة من استخدامهم بقدر ما تضررت الكنيسة من فساد الذين انضموا اليها لغايات عالمية اما ارضاء للامبراطور او طمعاً بالحصول عَلَى المراتب السامية فان تنصرهم كان رياء وما من داء عضال لافساد المبادىء الدينية اشدُّ من الرياء فَبَشَرِ الكنيسة التي يدخلها بالتأخر والسقوط كما ان اعظم اسباب تقدُّم الكنيسة في الاعصر الأُولى خلوُّها منهُ لأن الذين انضموا اليها استعدُّوا لقبول ما وُعدوا بهِ من الاضطهاد والضيق فلم يدخلوها الأ عن ايمانٍ حيٍّ مخلصين النيَّة . ومن اعظم فساد الكنيسة المسيحية في الاعصر المتوسطة السلطة السياسية الزمنية مع الوسائط الروحية فذلك مكَّن الاشرار من نوال مآربهم الفاسدة بواسطة التظاهر بالدين والتقوى

هذا ما افضت اليه سياسة قسطنطين بجعله الديانة المسيحية ديانة الولاة والحكام وبالحقيقة ان المنافع التي استأثرت بها المملكة في ايامهِ تستحق الالتفات لانه كان مشهوراً بكمال الشفقة منفرداً بالاوصاف الحميدة لا يغفل عن صوالح الحكومة واستجلاب رضى الامة وبالاجمال كان من الافراد الذين نالوا المقام الاول في تاريخ الرومانيين وحصلوا عَلَى الاعتبار لدى كل من طالع اخبارهم

(١) قولهُ . ولما انفرد قسطنطين بالملك بعد هزيمة ليسينوس جعل الدين المسيحي ديانة المملكة لانهُ لما تغلَّب عَلَى خصمهِ الوثنيّ نسب ذلك الى

مساعدة الله إلهِ المسيحيين لهُ فاتقاهُ دون غيرهِ واشعاراً بذلك اصدر منشوراً يذكر فيهِ ما اتاهُ الله عَلَى يدهِ من الفوز والغَلَبَة ويدعو الناس جميعاً للخضوع لهُ تعالى والتديُّن بالدين المسيحي الذي جعلهُ ديانة المملكة ٠

فقابلوا بين كلامهِ هذا وبين قولهِ في عدد (١٤) ان قسطنطين لم يكن مسيحياً حقيقياً وانهُ كان فاسد المعتقد وانهُ كان متردداً بين الديانة الوثنيَّة والمسيحيَّة ولم يعتمد عَلَى الاخيرة الى اواخر حياتهِ

(٢) قولهُ ٠ غير انهُ لم يكرهْ احداً عليها (اي عَلَى الديانة المسيحيَّة) ومع ان قسطنطين منح الناس حريَّة الضمير في امور الدين لم يرضَ الاَّ بالمسيحيين (اي في خدمهِ) كما يتضح من افعالهِ وتصرفاتهِ فكان يخوّلهم المراتب السامية والمناصب العالية ويكرم مثواهم ويخصهم بالانعامات دون الوثنيين ففتح ذلك باباً واسعاً لدخول الناس الى الديانة المسيحيَّة

وقابلوا ايضاً بين كلامهِ هذا وما فيهِ من الثناء على قسطنطين من انهُ لم يكرهْ احداً عَلَى التديُّن بالديانة المسيحيَّة وكلامهِ آنفاً في عدد (١٤) وما فيهِ من القدح والطعن والجرح في قسطنطين بقولهِ اما منشورهُ المذكور فلا يثبت كونهُ مسيحياً لان ليسنيوس الوثني وافقهُ عليهِ ٠ وفضلاً عن ذلك لا يميز فيهِ بين الاديان بل ينزّل الجميع منزلةً واحدة اه وهذا بعد ما سبق لنا التنبيهُ اليهِ من كلامه في صدر عدد (١٤) مما لم يبقَ بعدهُ بعد من الثناء عَلَى قسطنطين من انهُ ادخل حريَّة الضمير في العقائد الدينيَّة وانهُ ليس لليسنيوس في منشور ميلان سوى موافقة قسطنطين عليهِ وان قسطنطين مصدرهُ ومنشئهُ ٠ فتاملوا

(٣) قولهُ ان الكنيسة تضرَّرت من فساد الذين انضمُّوا اليها لغايات عالميَّة .... فان تنصرُّهم كان رِياء وما من داءٍ عضال لافساد المبادئِ الدينيَّة اشدّ من الرياء فبشّر الكنيسة التي يدخلها بالتأخُّر والسقوط .

لا تعجبوا ايها المطالعون الالباء من ان الدكتور بورتر انقلب باسرع من لمح البصر من موءلّف في التاريخ الى خطيب مدنيّ وحكيم فلسفيّ وواعظ دينيّ ولكن اعجبوا من انهُ هو وإخوانهُ منذ نحو خمسين سَنَة في سوريَّة يدرسون هذا الداء كل يوم تقريباً ولم يفهموهُ بعد ولا يفهمونهُ ما لم يقيسوا الحاضر على الماضي والشاهد على الغائب .

(٤) قولهُ . ومن اعظم اسباب فساد الكنيسة المسيحيَّة في الاعصر المتوسطة السلطة السياسيَّة الزمنيَّة مع الوسائط الروحيَّة فذلك مكن الاشرار من نوال مآربهم الفاسدة بواسطة التظاهر بالدين والتقوى

ها قد انقلب الدكتور بورتر بين عبارتهِ السابقة وهذهِ الى رجل اعتيادي من جمهور البروتستان يدَّعي علَى الكنيسة المسيحية الفساد في الاعصر المتوسطة وفي ضمن هذه الدعوى دعوى هي ان البدعة البروتستانية هي اصلاح فساد الكنيسة ويعرض باحبار رومية بقبضهم في ذاك الزمان على زمام السلطة السياسيَّة مع الرياسة الروحيَّة فهذهِ ثلاث دعاوي بسط الكلام عليها يقتضي تأليفاً خاصاً وهو خارج عن غرضنا من هذا التأليف وسألمع الى كل منها بما يبيّن مقدار صدق وتأدُّب وتعقُّل ورصانة الذين يدَّعونها

اولاً البروتستاني يقول ان الكنيسة فسدت في الاعصر المتوسطة . والمسيح يقول ان ابواب الجحيم لن تقوى عليها (مت ٢٦ : ١٨) وانهُ هو

معها كل الأيام الى انقضاء الدهر (مت ٢٨ : ٢٠) وهذا شامل كل الاجيال وكل الايام واذا كانت الكنيسة قد فسدت في الاعصر المتوسطة تكون ابواب الجحيم قد قوبت عليها ويكون المسيح لم يقم بقولهِ او لم يقدر ان يقوم بقولهِ فاقبلوا اما قول السيد المسيح واما قول البروتستاني

ثانياً الزعم في ان البدعة البروتستانية هي اصلاح الكنيسة نقول فيهِ انهُ من الثمرة تعرف الشجرة وذلك ان الكثيرين يعرفون بانفسهم والذين لا يعرفون بانفسهم يجدون كثيرين يخبرونهم كيف كان تمسُّك المسيحيين بالدين وقيامهم بفروضهِ وخضوعهم لهُ ومحافظتهم علَى الترتيبات والتهذيبات الدينيَّة منذ نحو ستين سنةً اي قبل مجيء البروتستان الى بلادنا ويعرفون ايضاً مقدار ما بقي من التديُّن والتعبُّد والخضوع والمحافظة الى الآن بمساعي وتعاليم البروتستان واذا قدَّروا ما تنتهي اليهِ الحال بعد ستين سنةً من الآن يظهر لهم جلياً ما هي البروتستانية وما هو الاصلاح الناشيء عنها

ثالثاً واما تعريضهُ الجائر والفظيع والمؤلم باحبار الكنيسة الرومانية فيما هو يؤلِّف في التاريخ القديم فهو خروج عن الدائرة فضلاً عمَّا في ذلك من التطاوُل وعدم النسبة

(٥) قولهُ . انهُ (اي قسطنطين) كان مشهوراً بكمال الشفقة منفرداً بالاوصاف الحميدة لا يغفل عن صوالح الحكومة واستجلاب رضا الامَّة وبالاجمال كان من الافراد الذين نالوا المقام الاول في تاريخ الرومانيين وحصلوا علَى الاعتبار لدى كل من طالع اخبارهم

نقول فيهِ احفظ ايها المطالع اللبيب كلام الدكتور بورتر هذا فانك

ستراهُ يقول في قسطنطين ما هو مع هذا الكلام عَلَى طرفي نقيض والآتي قريب

وهذا كلام الدكتور بورتر في كتاب النهج القويم في ملخص تاريخ حياة قسطنطين من صفحة ٥٣٥ الى صفحة ٥٤٠ ننقلهُ حرفاً بحرفٍ وان طال بهِ المقال فيما نحن فيهِ نُري بهِ المطالعين ما هم هولاء الناس من حيث الصدق والامانة والتعقل والرصانة

قال في عدد (١١) من الفصل التاسع من تاريخهِ واما قسطنطيوس (اي والد قسطنطين) فاستبدَّ بالملك الى حين موتهِ و كانت وفاتهُ سنة ٣٠٦ ب٠م وكان لهُ ابن يسمَّى قسطنطين من امرأتهِ الاولى هيلانة التي التزم ان يطلّقها حين ارتقائهِ الى رتبة قيصر لكي يتزوَّج بابنة مكسميانوس و كان قسطنطين في خدمة ديوقلتيانوس العسكرية وفي خدمة غليريوس ايضاً واشتهر وترقَّى لشدَّة بأسهِ وشرف نفسهِ وفضلهِ ولما صار ابوهُ اوغسطساً طلب من غليريوس ان يبعثهُ اليهِ فأبى مُدَّةً اذ اوجس من ذلك شرًّا ولكن لمَّا الحَّ عليهِ أَذِنَ لهُ في الانصراف فلحق بابيهِ قبل موتهِ بقليل اذ خفَّ في المسير ونجا من مكايد غليريوس و كان ابوهُ في غاليا متاهباً للمسير الى بريطانيا لمقاتلة الكلدونيين فسارا معاً الى الجزيرة حيث تُوُفِيَ ابوهُ كما مرَّ فنادى العسكر بملك قسطنطين عَلَى الأثرَ ورقّوهُ الى رتبة اوغسطس ولما اتَّصل الخبر الى غليريوس حمي غضبهُ لانهُ كان ناوياً التسلُّط عَلَى المملكة كلها عند موت رفيقهِ لكنهُ كظم غيظهُ واقرَّ قسطنطين عَلَى ولايتهِ وسلَّم بكونهِ قيصراً فقط ورقَّى سفيروس المذكور الى رتبة اوغسطس

١٢ فلم يرضِ الرومانيين هذا النظام وحاولوا نقضهُ اذ رأوا ان امور رومية قد صارت الى الذلّ والضياع فرفضوا سلطة سفيروس وعزّت المشيخة وانتعشت وانتخبت مكسنتيوس ابن مكسيميانس امبراطوراً سنة ٣٠٦ ب٠م واتى ابوهُ واتحد معهُ وعضد امرهُ ٠ واما سفيرُس فسار بجيشهِ الى رومية لمحاربتها فخذلهُ جندهُ وانحازوا الى العدوّ فانتحر حنقاً وكمداً سنة ٣٠٧

اما غليريوس فعيّن ليسنيوس اوغسطساً وسار بجنودهِ الى ايطاليا لمقاتلة الخائنين واذ لم يقدر عليهما تركهما وكانا قد تحالفا مع قسطنطين وزوّجهُ مكسيميانس بابنتهِ فوستا ثم اتخذ الثلاثة لقب اوغسطس ولما الحّ مكسيمينس على غليريوس ان يرقيه الى تلك الرتبة رقاهُ ايضاً فصار ستة اوغسطسين يتسلطون على المملكة في وقت واحد غير ان هذه الحال لم تدم وقتاً طويلاً اذ تنازع مكسنتيوس وابوهُ وعضد الوزعة امر الاول فاضطرَّ الأب ان يهرب الى غاليا حيث كان قسطنطين الذي خفرهُ اولاً على شرط ان يتخلى عن الملك ولكنهُ أثار فتنة عقيب ذلك واخذ يطيب قلوب العسكر في غياب قسطنطين ويستميلهم اليهِ فلما علم قسطنطين بذلك عاد مسرعاً فهرب حموهُ وقتل نفسهُ ممتثلاً امر صهرهِ سنة ٣١٠ ب٠م

ثم مات غليريوس سنة ٣١١ ب٠م بداء عضال مقاسياً عذاباً اليماً ظنّهُ المسيحيون عقاباً لظلمهِ وفرط جورهِ اذ زاد في اضطهادهم واقتسم ليسنيوس ومكسيمينس املاكهُ بعد موته فلم يبقَ سوى اربعة امبراطورين لم يسالم بعضهم بعضاً بل شنوا الغارة واثاروا الحروب فيما بينهم فانتشبت الحرب بين قسطنطين ومكسنتيوس وبين ليسنيوس ومكسيمينس سنة ٣١٣ ب م اما

مكسنتيوس فظلم اهل افريقية وايطاليا فاستعانوا بقسطنطين وبعث المشيخة وفداً يتوسل اليهِ ان يأتي ويعزل الظالم الذي اهان قسطنطين واساء اليهِ فزحف المشار اليهِ الى ايطاليا في نحو ٤٠٠٠٠ مقاتل وجهز خصمهُ عليهِ نحو ١٨٨٠٠٠ مقاتل انهزموا شرَّ هزيمة ووقعت ايطاليا الشمالية بيد قسطنطين ثم قدم عَلَى رومية فاراد خصمهُ الامتناع بها اما اهلها فعيَّروهُ بجبانته وحمَّسوهُ فبرز للجهاد وحارب عدوَّهُ عَلَى نحو ثلاثة فراسخ منها وكانت الكرة عليهِ ايضاً فولَّى منهزماً ودخل المدينة ولما وصل الى الجسر الذي كان عَلَى نهر التيبر زحمهُ الناس فدُفعَ الى النهر وغرق فاصبح قسطنطين عظيم رومية وقيِّمها واهلك من كان ينتمي الى مكسنتيوس لكنه لم يؤذِ غيرهم فرحبت به المشيخة واكرمتهُ وصرف هناك فصل الشتاء يدبرّ امور المدينة والسياسة ونزع فرقة الوَزَعَة كافةً فخلت رومية من الحرس والخفر واذلها فعلاً كما سيأتي

١٤ وفي صدر سنة ٣١٣ ب٠م اجتمع قسطنطين وليسينوس في ميلان وعقدا معاهدةً عَلَى مكسيميانس الذي سار لمقاتلتهما فقدم ليسنيوس عليه وهزمهُ في نواحي بيزنتيوم ففرَّ الى نيكوميديا واسرع في السير حتى انه قطع مسافة مئة وستين ميلاً بيوم واحد فكان نشاطه في العدو اشدَّ منهُ في القتال ثم توجه الى طرسوس حيث هلك واستولى ليسنيوس عَلَى املاكهِ فلم يبق من الامبراطرة الستة غير اثنين ولم يمكثا طويلاً حتى تنازعا في الملك واقتتلا سنة ٣١٤ ب٠م في اطراف بنونيا وانهزم ليسنيوس واستولى خصمهُ عَلَى كل ما كان لهُ في اوربا ما عدا ثراكية وعَلَى هذا عقدا الصلح بينهما واستمرَّ

الامر عَلَى هذه الحال نحو تسع سنين اساء ليسنيوس فيها السيرة فنفرت منهُ قلوب الناس

اما قسطنطين فضبط السياسة وذبَّ عن ثغور المملكة وحمى حوزتها وحارب الغوثيين وغلبهم سنة ٣٢٢ ب ٠ م وتمكن من سلطنته العظيمة ٠ ثم عمد سنة ٣٢٣ الى محاربة ليسنيوس لمـا راى سوء سيرتهِ وعزم عَلَى عزلهِ فحشد الفريقان جنودهما واقتتلا قرب مدينة ادريانوس في تركية (وهي ادرنة) وكان جيش ليسنيوس نحو ١٦٥٠٠٠ مقاتل عدا سفنهُ التي كانت نحو ٣٥٠ سفينة اما جيش قسطنطين فكان نحو ١٢٠٠٠٠ مقاتل ولهُ ٢٠٠ سفينة فقط غير ان نظام جيشه الذي هذَّبهُ في حروب البرابرة بينما كان ليسنيوس متقاعداً عن الحرب عاكفـاً عَلَى اللهو والقصوف كان بغاية الاتقان والتدريب فلما جرى القتال دارت الدائرة عليه ايضاً وانهزم من وجه قسطنطين الذي ابدى من البأس والبسالة في تلك الوقعة ما حيَّر النواظر واذهل العقول فصال وجال وسطا عَلَى الاعداء كالاسد الرئبال وهو في مقدمة الابطال ونازل الاقران في حومة الميدان وكافح وجاهد كاحسن خاصتهِ المدرَّبين وفلَّ جمع العدوّ وبدَّد شملهم فنسب الناس الغلبة الى شجاعتهِ وبأسهِ ٠ ومما يستحق الذكر انهُ في هذه الواقعة استجار عَلَى خصمهِ بالمسيح وكان قد تنصَّر اما ليسنيوس فاستجار بالالهة الوثنية اذ لم يزل عَلَى المذهب الوثني فاعتبر المسيحيون نصرة قسطنطين نصرتهم ونصرة ديانتهم وهلك من جنود ليسنيوس في تلك الواقعة نحو ثلاثة واربعين الفـاً وفرَّ الباقون واعتصم ليسنيوس بيزنتيوم ولكن لما ولَّت سفنهُ هاربةً ايضاً فرَّ الى

بيثينية وحشد جيشاً آخر يبلغ نحو ٦٠٠٠٠ مقاتل فطارده قسطنطين وهزمهُ ثانية فلاذ بنيكوميديا و بالتالي اسلم امرهُ الى خصمه فعفا عنهُ واستحياه مدَّة اذ شفعت فيهِ امرأتهُ اخت قسطنطين ثم قتلهُ بعد ذلك بنحو سنة اذ اتهمهُ بالخيانة وكان موتهُ سنة ٣٢٤ ب.م فانفرد قسطنطين بالامبراطورية ولم يكن لهُ منازع وجمع بيدهِ السلطنة الرومانية كلها بعد ان قسمها ديوقلتيانوس غير انهُ اشرك ابنيهِ في الملك برتبة قيصر مشترطاً عليهما الخضوع لهُ تماماً

١٥ ومن اهم اعمال قسطنطين بعد ذلك بناء القسطنطينية المسماة وقتئذٍ بيزنتيوم وكانت حصينة الاَّ انها سلمت لهُ عند خضوع ليسنيوس كما تقدم فلما رأى قسطنطين حسن موقعها عزم من يومهِ عَلَى اتخاذها مركزاً لسلطنتهِ وفي ذلك دلَّ عَلَى حسن درايتهِ و بصيرتهِ اذهي اكثر موافقةً من رومية لتكون مركز مملكة متسعة شاملة الاملاك العظيمة في اوربا واسيا وافريقية كما يتضح لكل من تدبرَّ الامر بعين بصيرة وذلك لحسن مركزها الجغرافي فانها واقعة عَلَى قارتين والطبيعيّ لوقوعها عَلَى بوغاز موصل بين بحرين كبيرين وفي مركز ممالك العالم القديمة فلو امكن اقامة مملكة عامة شاملة العالم كلهُ لكان هذا المركز انسب المراكز لهذه الغاية نظراً الى موقعهِ من جهة البحر والبرّ ومرفأ المدينة عَلَى غاية من الجودة امين وصالح للسفن الكبيرة والصغيرة وارضها مرتفعة قيل انها بنيت عَلَى سبع تلال بعدد تلال رومية ومنظرها جميل ولا سيما لمن يقبل عليها بحراً . وبدأ قسطنطين يشيّد مبانيها سنة ٣٢٤ ب.م ولم يفرغ منه الى سنة ٣٣٠ ولما اتمَّ بناءها احتفل لهُ

احتفالاً فاخراً دعا اليهِ السكان من جميع الآفاق وغمر بنوالهِ كلَّ مهاجر اليها ومنح امتيازات لمن يبني فيها بيتاً ووهبهُ اراضي في سوادها فتقاطر الناس اليها افواجاً وعظم شأنها وازهر عمرانها فانحطت رومية وذلَّت وزال رونقها وسمى قسطنطين المدينة « رومية الجديدة » اما الناس فنسبوها الى اسم بانيها ولا يزال اسمها الى هذا اليوم

(على انهُ قد فات الدكتور بورتر سهواً او الدكتور فاتهُ عمداً وهذا الارجح لموافقة المبدا الكلام الآتي في جملة خبر بناء القسطنطينية ونحن ننقلهُ ملخصاً عن كتاب الكنز الثمين في خبر تكريس المدينة المذكورة في ١١ ايار حيث قال

انهُ فيما بين الكنائس الجليلة التي شيَّدها (قسطنطين) في المدينة (القسطنطينية) وفي الاماكن المحيطة بها كانت الاكبر والاعظم والاجمل اوَّلاً كنيسة السلام ثانياً كنيسة الرسل ثالثاً كنيسة القديس ميخائيل زعيم الاجناد السماويين فهذه المعابد الالهيَّة كانت وقتئذٍ اعظم كنائس العالم نظراً الى رسمها وكبرها وزينتها

ثم اقام في ساحة المدينة الكبرى شخصهُ وشخص والدتهِ القديسة هيلانة مجسَّمين وفيما بينهما الصليب الكريم بزينةٍ عظيمة وكتب عليه هذه الالفاظ « انت وحدك الرب يسوع المسيح في مجد الله الآب آمين » كما انه اقام في واجهة قاعة الديوان الملوكي مكان اجتماع موكبهِ الافغوسطي المصفحة بالذهب والمزينة بالفخر زينةٍ صليباً من ذهب مكللاً بالجواهر الكثيرة الثمن وهكذا امر بانهُ في جميع الساحات والشوارع والطرقات تظهر علامات

الديانة المسيحية من الصلبان والايقونات والاشياء المحركة الى التقوى والعبادة اه

نقول وهذه الفقرة التي زدناها في ترجمة قسطنطين نقلاً عن كتاب الكنز الثمين وان كانت كلها رداً ودحضاً لمزاعم البروتستان لعلَّ اعظم الاسباب لاغفال الدكتور نقلها ما فيهامن النص الصريح ان المسيحيين من ايام قسطنطين ويلزم من ذلك انهم من اجيال الكنيسة الاولى كانوا يبنون الكنائس عَلَى اسماء الرسل والقديسين ورؤساء الملائكة مما يسخر بنا الآن البروتستان لاجله وينسبوننا الى الضلال والكفر بفعله)

١٦ ورتَّب قسطنطين سياسة المملكة وقسمها الى اربعة اقسام كبرى وولَّى عَلَى كلٍّ منها والياً يلقَّب في اللاتينية بريفكتس وكان القسم الاول في الغرب اسبانيا وغاليا وبريطانيا ثم ايطاليا وافريقية ثم ما بين ايطاليا والبحر الاسود والارخبيل ما عدا ثراكية ثم املاك رومية في اسيا ومصر مع ثراكية في اوربا وانقسم كل من الاقسام الكبرى الى اقسام او ولايات وكان في المملكة ١١٩ ولاية رأس عَلَى كلٍّ منها وازعاً دون البريفكتس المذكور وكان لرومية والقسطنطينية احكام خاصة بهماواقام عَلَى كلٍّ منهما بريفكتس كاقسام المملكة الكبرى ٠ وجعل قسطنطين رُتباً بين الناس كالائمة والامراء وما اشبه ومنح كل رتبة امتيازات تتميَّزبها عما سواها ولا تزال ممالك اوربا تتداول هذه الرتب عَلَى نوع ما الى ايامنا هذه وكثَّر قسطنطين عدد الكتائب بصنوفها في الجندية حتى بلغت ١٣٢ جوقاً غير انهُ قلل عدد الانفار في كلٍّ منها الى الف او الف وخمس مئة راجل

واقام على الجنود قائداً عاماً للمشاة وآخر للفرسان · اما الرسوم والمكوس وما اشبه فلا يُظنُّ انهُ زادها كثيراً الاَّ انهُ كان يجبيها بكل دقةٍ وقيل انهُ رسم ان تدفع نقوداً ذهبيةً · وقول البعض انهُ ظلم الناس ليس بمثبت بل الظاهر انهُ انصفهم وكثيرون لا يرضون بالانصاف · وعدَلَ في سياستهِ وضبطها غاية الضبط

١٧ اما اوصافهُ الشخصية الادبية فمنها ما يمدح ومنها ما يذمُّ فكان شجاعاً حازماً حكيماً ذكياً لكنهُ لم يخلُ من الشدَّة والاوهام الوثنيَّة مع انهُ تنصَّر كما ذكر وسنفصل ما وصلت اليهِ الديانة في ايامهِ في الفصل العاشر ان شاء الله · اما صرامتهُ فتظهر في معاملتهِ اقرباءهُ فكان له اربعة بنين اكبرهم كرسبس رزقهُ من امرأتهِ الاولى التي طلقها لما تزوَّج بفوستا كما مرَّ ورزق من فوستا ثلاثة وهم قسطنطين وقسطنطيوس وقسطنس وابنتان وهما قسطنطينا وهيلانة

وكان كرسبس حاذقاً كريم الاخلاق جريئاً وقد ابدى بسالة وثباتاً في بعض الحروب فرقَّاهُ ابوهُ الى رتبة القيصرية كما فعل بسائر بنيهِ غير ان كرسبس اراد مقام اوغسطس فابى ابوهُ وربما ان كرسبس اغتاظ ونوى الخيانة غير ان هذا يحتاج الى الاثبات · اما ابوهُ فخاف منهُ شرّاً واقام الدعوى عليه وكانت محاكمتهُ سريةً فلم يعلم هل تبرَّأ من تلك التهمة او لا الاَّ ان اباهُ امر باخذهِ من المدينة تحت الحفظ وقتل خفيةً عقيب ذلك ويظنُّ البعض انهُ كان مظلوماً والله اعلم وقتل في ذلك الوقت ابن ليسنيوس ثم لم يلبث قسطنطين حتى قتل امرأتهُ فوستا وسبب ذلك فيما قيل ان هيلانة

ام قسطنطين حنقت عليها لانها اغرت الامبراطور على قتل كرسبس فاتَّهمتها بالزنى مع بعض خدم الامبراطور فقتلها عَلَى انهُ لم يثبت بالبينة انها ارتكبت تلك الفاحشة · فكفانا دليلاً عَلَى ان قسطنطين كان قاسياً صارماً حتى عَلَى آلهِ وعترتهِ

١٨ وكانت لقسطنطين حروب مع البرابرة في اواخر ملكهِ لانهم غزوا الاطراف الشماليَّة من المملكة وفي سنة ٣٣٢ ب·م قطع الغوثيُّون الدانيوب ودوَّخوا ميسيا فنهض الامبراطور عَلَى كبر سنهِ وسار لمقاتلتهم وقهرهم وطردهم الى عبر النهر وكان سبب هجوم الغوثيين حينئذٍ ان قسطنطين كان قدخفر أُمَّة السرماتيين اعدائهم فضايقهم الغوثيون ايضاً بعد رجوعهم الى بلادهم وطلبوا من الامبراطور ان يسكنهم في المملكة فقبلهم وانزلهم في بنونيا وثراكية ومكدونية وكان عددهم نحو ثلاث مئة الف وصاروا من تبعة المملكة سنة ٣٣٤ ب·م

١٩ وملك قسطنطين الى سنة ٣٣٧ ب·م وادركهُ الاجل في نيكوميديا لمضيّ ٣١ سنة من ملكهِ و ٦٤ سنة من عمره وزاد ملكهُ عَلَى كل من سبقهُ بعد اوغسطس ومن غرائب اموره انهُ لم يعتمد الى قرب موتهِ مع انهُ كان قد تنصَّر قبل ذلك بمدة مديدة وربما انهُ ارجأ (أخَّر) ذلك لاعتقادهِ ان قوة سرّ المعمودية في تطهير القلب فظنَّ ان معموديتهُ وهو مشرف عَلَى الموت تكسبهُ الطهارة فيدخل الى السعادة السموية لا محالة

وشهد قسطنطيوس وفاة ابيه وتلقَّى وصاياهُ وكان قد عيَّن دالماتيوس وهنباليانوس ابني اخيهِ اولهما قيصراً مع ابناء عمهِ وثانيهما ملكاً واقطعهم

جميعاً ولايات المملكة ولكن لم تُثبت وصيتهُ الاَّ قليلاً كما سترى

ولنعد الى كلام الدكتور بورتر الذي نقلناهُ عنهُ في قسطنطين فننظر فيه ونظهر خوافيه وننفي كدرهُ ونبقي صافيه فنقول

(١) قولهُ في عدد (١١) في خبر حياة قسطنطين · وكان قسطنطين في خدمة ديوقلتيانوس العسكرية وفي خدمة غليريوس ايضاً واشتهر وترقَّى لشدَّة باسهِ وشرف نفسهِ وفضلهِ : فالمرجوُّ من المطالع ان يبقى هذا الثناء البالغ عَلَى قسطنطين في ذهنهِ فان الدكتور سيكرُّ قريباً عَلَى قسطنطين بسلسلة مطاعن ومعايب ومثالب حتى يخفى هذا الاطراء تحت ذاك الهجاء

(٢) قوله فاضطرَّ الاب (اي مكسميانوس) ان يهرب الى غاليا حيث كان قسطنطين الذي خفرهُ عَلَى شرط ان يتخلى عن الملك · ولكنهُ اثار فتنةً عقيب ذلك واخذ يطيب قلوب العسكر في غياب قسطنطين ويستميلهم اليه فلما علم قسطنطين بذلك عاد مسرعاً فهرب حموهُ (اي مكسميانوس) وقتل نفسه ممتثلاً امر صهرهِ سنة ٣١٠ ب · م

انظر ايها المطالع اللبيب في كلام الدكتور استاذ التاريخ عن مكسميانوس وتصرفهِ وخيانتهِ وهربهِ قبل عود قسطنطين ووفق ذلك ان استطعت مع قولهِ وقتل نفسهُ ممتثلاً امر صهرهِ عوضاً عن ان يقول انتحر تخلصاً من ان يدركه سوء عمله بالمحاكمة او بالمجازاة وليس ذلك عن جهل في الاستاذ بتأدية المعنى ولكن لكي يطعن قسطنطين بالقساوة وينسب اليهِ قتل حميهِ بصورة فظيعة الاَّ انهُ لا يصح بالعقل ولا بالطبع ولا بالعادة ان الفاتن الخائن الفارَّ يقتل نفسهُ طاعةً لامر من هو بعيد عنهُ · وهذا فضلاً

عن ان فرار مكسميانوس من ابنهِ الى صهرهِ دليل صادع ساطع قاطع عَلَى ان قسطنطين كان كريم الاخلاق مأمون الغائلة

(٣) قولهُ اما مكسنتيوس فظلم اهل افريقية وايطاليا فاستعانوا بقسطنطين وبعثت المشيخة وفداً يتوسل اليه ان يأتي ويعزل الظالم : نقول وهذا اعتراف صريح من الاستاذ بورتر بان اهل رومية ومشيختها كانوا يعتبرون قسطنطين ملجأ للعدالة والعدل وكفأً لصيانة المملكة من الاختلال وتقويم ما يعوجُّ من رجالها واعمالها

(٤) قولهُ فلم يبقَ من الامبراطرة الستة غير اثنين (قسطنطين وليسنيوس) ولم يمكثا طويلاً حتى تنازعا في الملك واقتتلا سنة ٣١٤ ب · م في اطراف بنونيا وانهزم ليسنيوس واستولى خصمهُ (قسطنطين) عَلَى كل ما كان لهُ في اوربا ما عدا ثراكية وعَلَى هذا عقد الصلح بينهما واستمرَّ الامر عَلَى هذه الحال تسع سنين اساء ليسنيوس فيها السيرة فنفرت منهُ قلوب الناس اما قسطنطين فضبط السياسة وذبَّ عن ثغور المملكة وحمى حوزتها وحارب الغوثيين وغلبهم سنة ٣٢٢ ب · م وتمكن من سلطتهِ العظيمة : انظر هذا الثناء الفاخر العاطر عَلَى قسطنطين وانتظر ما سيعقبهُ من الطعن والقدح والثلب

(٥) قولهُ ثم عمد (اي قسطنطين) الى محاربة ليسنيوس لما رأى من سوء سيرتهِ وعزم عَلَى عزلهِ فحشد الفريقان جنودهما واقتتلا قرب مدينة ادريانوبلس في ثراكيةِ (وهي ادرنة) وكان جيش ليسنيوس نحو ١٦٥٠٠٠ مقاتل عدا سفنهُ التي كانت نحو ٣٥٠ سفينة اما جيش

قسطنطين فكان ١٢٠٠٠٠ مقاتل ولهُ ٢٠٠ سفينة فقط غير ان نظام جيشهِ الذي هذَّبهُ في حروب البرابرة بينما كان ليسنيوس متقاعداً عن الحرب عاكفاً على اللهو والقصف كان بغاية الاتقان والتدريب فلما جرى القتال دارت الدائرة عَلَى ليسنيوس وانهزم من وجه قسطنطين الذي ابدى من البأس والبسالة في تلك الوقعة ما حيَّر النواظر واذهل العقول فصال وجال وسطا عَلَى الاعداء كالاسد الرئبال وهو في مقدَّمة الابطال ونازل الاقران وكافح كاحسن خاصتهِ المدرَّبين وفلَّ جمع العدوّ وبدَّد شملهم فنسب الناس الغلبة الى شجاعتهِ وبأسهِ : اعتبر هذا الثناء وانتظر ما يأتي

(٦) قولهُ ومما يستحقُّ الذكر انهُ في هذه الواقعة استجار عَلَى خصمهِ بالمسيح وكان قد تنصر اما ليسنيوس فاستجار بالآلهة الوثنية اذ لم يزل عَلَى المذهب الوثني فاعتبر المسيحيون نصرة قسطنطين نصرتهم ونصرة دينهم : فاعتبر ايها المطالع قولهُ هذا مع قولهِ في عدد (١٤) من الفصل العاشر الذي نقلناهُ آنفاً . والظاهر ان قسطنطين بقي متردِّداً بين الديانة الوثنية والمسيحية ولم يعتمد عَلَى الاخيرة الى اواخر حياتهِ

(٧) قولهُ وقول البعض انهُ ظلم الناس ليس بمثبت بل الظاهر انه انصفهم وكثيرون لا يرضون بالانصاف وعدل في سياستهِ وضبطها غاية الضبط : في هذه الفقرة امران يستحقان الانتباه اولها انهُ كان عَلَى المؤلف ان يسمي الزاعم ان قسطنطين ظلم الناس وان كانوا كثيرين يسمي بعضهم ان لم يسمِ كلهم والأ فينسب هذا الزعم اليه هو نفسهِ . والثاني قولهُ ان كثيرين لا يرضون بالانصاف فهو اصدق ما قالهُ وما كتبهُ في هذا الشأن :

(٨) قولهُ اما اوصافهُ (والصواب صفاتهُ) الشخصية الادبية فمنها ما يمدح ومنها ما يذمُّ فكان شجاعاً حازماً حكيماً ذكياً لكنهُ لم يخلُ من الشدَّة والاوهام الوثنيَّة مع انهُ تنصَّر كما ذكر وسنفصل ما وصلت اليهِ الديانة (اي المسيحية) في ايامهِ في الفصل العاشر ان شاء الله (قد نقلنا كلامهُ في ذلك قبل في عدد (١٤) وعدد (١٥) وبيَّنا ما فيهِ) اما صرامتهُ فتظهر من معاملتهِ اقرباءهُ : نقول لعلَّ الدكتور يشير الى ما سيأتي لهُ في آخر خبر قسطنطين وكان قد عيَّن دالماتيوس وهنباليانوس ابني اخيهِ اولهما قيصراً مع ابناء عمهِ وثانيهما ملكاً واقطعهم جميعاً ولايات المملكة : حيث ان في هذا العمل اكبر واوضح واصدق دليل عَلَى معاملة قسطنطين ذوي قرباه

(٩) قولهُ فكان لهُ (اي لقسطنطين) اربعة بنين اكبرهم كرِسبس رزقهُ من امرأتهِ الاولى التي طلقها (اي اضطراراً لا اختياراً كما طلَّق ابوهُ امهُ هيلانة لما ارتقى الى رتبة اغوسطوس وهكذا جرى مع قسطنطين) لما تزوَّج بفوستا (كما مرَّ في عدد ١٢) قولهُ وزوَّجهُ مكسميانوس بابنتهِ فوستا ثم اتخذ الثلاثة لقب اوغسطس) ورزق من فوستا ثلاثة وهم قسطنطين وقسطنطيوس وقسطنس وابنتان وهما قسطنطينا وهيلانة : وكان كرسبس حازقاً كريم الاخلاق جريئاً وقد ابدى بسالةً وثباتاً في بعض الحروب فرقاهُ ابوهُ الى رتبة القيصريَّة كما فعل بسائر بنيهِ غير ان كرسبس اراد مقام اوغسطس فأبى ابوهُ وربما ان كرسبس اغتاظ ونوى الخيانة غير ان هذا يحتاج الى الاثبات اما ابوهُ فخاف منهُ شرًّا واقام الدعوى عليه وكانت محاكمتهُ سريَّة فلم يعلم هل تبرأ من تلك التهمة او لا الاَّ ان اباهُ امرَ بأخذهِ

من المدينة تحت الحفظ وقُتل خفيةً عقيب ذلك ويظنُّ البعض انهُ كان مظلوماً والله اعلم :

ونحن نقول ان المؤلّف في هذا الكلام دفعتهُ المبادئ الغرّارة واقتادهُ هوى نفس الامّارة حتى خبط خبط العشواء الهوجاء في الليلة الظلماء الدجواء في البريّة القفراء الوعراء وذهل عن ان الناس الذين يقرأُون كلامهُ هذا عالمهم وجاهلهم ومفضولهم وفاضلهم ومنصفهم وجائرهم ومؤمنهم و كافرهم سينظرون في القول وقائلهِ والمقول فيهِ وفي اضطراب كلامهِ في حقّ قسطنطين وتضاربهِ ومناقضتهِ بعضهُ بعضاً شفوف عن اضطراب في نفس الكاتب والاَّ فكيف يوفّق الدكتور بين قولهِ في مدح قسطنطين انهُ كان شجاعاً حازماً حكيماً ذكياً وفي ذمهِ انهُ لم يخلُ من الشدَّة والاوهام الوثنيَّة فكيف يكون شجاعاً وحازماً ويخلو من الشدَّة وكيف يكون حكيماً وذكياً وهو متلبّس بالاوهام الوثنيَّة وقولهِ هنا انهُ كان تنصَّر وقولهِ في عدد (١٤) الذي نقلناهُ في الفصل العاشر والظاهر ان قسطنطين بقي متردّداً بين الديانة الوثنية والمسيحية ولم يعتمد عَلَى الاخيرة الى اواخر حياتهِ :

ولندعْ ايراد سائر مناقضات الدكتور بورتر استاذ التاريخ نفسهُ لنفسهِ وننظر في الحادثة نفسها بعين التدبُّر لنرى ما يلمح من مطاويها وما تدلُّ عليه ظواهرها وخوافيها وذلك بعد علمنا باننا لا نعلم مقدار ما تلوعب فيها فنقول

ان الدكتور بورتر يقول ان كرسبس كان حاذقاً كريم الاخلاق جريئاً وقد ابدى بسالةً وثباتاً في بعض الحروب فرقّاهُ ابوهُ الى رتبة القيصرية

كما فعل بسائر بنيه غير ان كرسبس اراد مقام اوغسطس فابى ابوهُ وربما ان كرسبس اغتاظ ونوى الخيانة غير ان هذا يحتاج الى الاثبات اما ابوهُ نخاف منهُ شرًّا واقام الدعوى عليهِ وكانت محاكمته سرّية فلم يعلم هل تبرأ من تلك التهمة او لا الأ ان اباهُ امر بأخذهِ من المدينة تحت الحفظ وقتل خفيةً عقيب ذلك ويظن البعض انهُ كان مظلوماً :

فانظروا ايها المطالعون وتدبروا كلام الدكتور بورتر هذا فهو يقول ان كرسبس كان حاذقاً وجريئاً وقد ابدى بسالةً وثباتاً في بعض الحروب : واذ ذاك افلا يحتسب منهُ ويخشى من بطشهِ واما قولهُ انهُ كان كريم الاخلاق ففيه منافاة لما سيأتي قريباً من مبادئهِ التي تدل شيئاً عَلَى اخلاقهِ ثم يقول ان اباهُ رقَّاه الى رتبة القيصرية فلم يرضَ بها بل طلب (اي بلا وقارٍ لابيهِ ولا حياء من اهل زمنهِ ولا اتقاء من استهجان النـاس الذين سيقرأون خبرهُ الى آخر الزمان) ان يكون اوغسطساً اي مساوياً لابيهِ في الرتبة والسلطة والملك والقول والفعل ولا يخفى ما في ذلك من معنى طلب السيادة عَلَى اخوتهِ وقلة احترامهِ لوالدهِ بل الزعم الداخليّ في نفسهِ انهُ مساوٍ لابيه او اعظم منهُ واقدر عَلَى ادارة الحروب وقهر الاعداء وضبط المملكة والقيام بسياستها وما وراء ذلك من المقاصد والمطامع والمبادئ التي تنبعث روائحها من مطاوي هذه الامور: ثم قولهُ وربما ان كرسبس اغتاظ: انظروا ايها الناس واحكموا فهل ترون بعد الذي رأيناهُ من صفات كرسبس وحذقهِ وجرأتهِ وبسالتهِ ومطامعهِ ومقاصدهِ وقلة توقيرهِ واعتبارهِ لوالدهِ محلاً لقولهِ ربماً والشكّ والتشكيك في كون كرسبس اغتاظ لان اباهُ لم

يرقه الى رتبة اوغسطس حتى يكون مساوياً لهُ في الرتبة والسلطة والامر والنهي وبالتالي منازعاً في الملك ومحارباً او غادراً ومغتالاً وقولهُ ونوى اي كرسبس الخيانة غير ان هذا يحتاج الى الاثبات نقول واي ادلّة لاثبات كون كرسبس نوى الخيانة بل دخل وشرع بفعلها اقوى واكثر واوضح مما رأيناهُ من اخلاق كرسبس ومطالبهِ ومطامعهِ وليت الدكتور بورتر قبل ان يكتب هذا قرأ قول العربيّ الشاعر والحكيم معاً

وليس يصحُّ في الاذهانِ شيءٌ اذا احتاج النهار الى دليلِ

واغرب من هذا واعجب وادلّ على تسرُّع الكاتب ان يقول هذا وفي الوقت ذاتهِ يعترف ان اباهُ قسطنطين لم يعاجلهُ بالعقوبة عملاً بما تأمر بهِ النفس من التسرُّع الى الانتقام بل اقام عليهِ الدعوى ونصب لهُ محكمةً وفوق ذلك حاكمهُ محاكمة سريَّة واي صفات من العدالة والرصانة والتقوى والحكمة وكظم الغيظ ومعاكسة هوى النفس وتنزيل الملك نفسهُ منزلة واحد من اهل المملكة في الحقوق والمحاكمة يتطلبها الاستاذ بورتر في قسطنطين اعظم وافضل واكمل من هذه :

على ان الدكتور بورتر قد شهد في مواضع عديدة من الفصلين التاسع والعاشر بان قسطنطين كان شجاعاً شديد الباس شريف النفس عظيم الفضل من ذلك قولهُ في عدد (١١) من الفصل التاسع . وكان قسطنطين في خدمة ديوقلتيانوس العسكرية وفي خدمة غليريوس ايضاً واشتهر وترقّى لشدّة بأسهِ وشرف نفسهِ وفضلهِ وقولهُ في صدر هذا العدد (١٧) من الفصل نفسهِ فكان (اي قسطنطين) شجاعاً حازماً حكيماً ذكياً : فكيف ضل ذلك

كلهُ عنهُ باسرع من التفاتة العصفور واخذ يحسب قسطنطين جباناً خرقاً هيابةً يحذر حيث لا سبب للحذر ويخاف حيث لا خوف ويتوجس الشرَّ حيث لا وجه لتوجس الشر حتى يتخذ ابنهُ البكر عدواً ويقيم عليهِ دعوى الخيانة وينصب لهُ محكمة بدون اسباب كافية وادلةٍ واضحة وحجج قويةٍ او ليس الحكمة تقضي بكون صحة الرأي والقول والعمل في جانب قسطنطين وعكس ذلك في جانب الدكتور

واما محاكمة كرسبس سراً ففيها وجوه من الحكمة السياسية الاول لكي لا تصير فعلة كرسبس مضغة في افواهِ الناس والثاني لكي لا تشتهر فظاعة الخيانة التي اتاها كرسبس اذ ان عارها لا يقتصر حينئذٍ على شخصهِ بل قد يتلبس ولو ظلهُ سائر اهل بيت الملك لان كرسبس احدهم والثالث لكي لا يعلم الناس وخصوصاً الاعداء الاكفاء مواضع الاخلال في المملكة والسياسة وازعاج الملك فيأتونها او يأتون مثلها وذلك كما ترى من الحكمة البالغة في سياسة الملوك قبل والآن وسيبقى الى ما شاء الله وكثيراً ما يجرى على هذا المبدا في سياسة البيوت والعائلات والادارات الخصوصية

وبعد كل هذا الذي رأيناه من رصانة قسطنطين وحكمتهِ وعدالتهِ وبعد ستة عشر قرناً جاء الدكتور بورتر من اميركا يتهم قسطنطين بالطيش والجور والقساوة والحكم على ابنهِ البكر بالموت ظلماً لانهُ هو اي الدكتور بورتر لا يعلم ما اذا كان كرسبس تبرأ في المحاكمة من الخيانة او لم يتبرأ مع ان محاكمة كرسبس جعلت سرية لكي لا يعلم بها كل العلم اهل القسطنطينية بل اهل الدولة فضلاً عن اهل العالم اجمع حتى اميركا وفي علم قسطنطين

وقضاة محكمته حقيقة الحال ما يغني عن علم غيرهم : وقولهُ ويظنُّ البعض انهُ كان مظلوماً : او ترى من هم هولاء الذين هم اشفق عَلَى كرسبس من ابيهِ وقضاة المحكمة التي حوكم لديهم · فلا يتلمح من المقام ان يكون ذلك البعض سوى الدكتور بورتر وربما كان بعض اخوانهِ من رأيهِ لاتحادهم في المبدإ

(١٠) قولهُ وقتل في ذلك الوقت ابن ليسنيوس :

نقول اترى لم يدرك الدكتور استاذ التاريخ في المدرسة الكلّيّة (الانجيليّة) في بيروت والمؤلّف المظيم في التاريخ القديم الذي نراهُ كثيراً ما يحوم حول مآخذ الفلسفة التاريخية في استنباط الاسباب وتعقيبها بالمسبّبات وتقرير مجاري الحوادث واظهار نتائجها وترتُّبها بعضها عَلَى بعض ان وقوع قتل ابن ليسنيوس عقيب قتل كرسبس يدلُّ دلالة قوية جداً على انهُ كان بينهُ وبين كرسبس اتفاق ومشاركة فعليّة في الخيانة ام تراهُ ادرك كل ذلك واغمض عنه ومضى في منهجهِ منقاداً بهوى النفس جارياً عَلَى مبدا البدعة من التطوُّح والمجازفة والتهور في القول والتلذذ بالطعن والقدح في رجال كنيسة المسيح

او ترى نسي الدكتور اوتناسى من هو ليسنيوس ام لم يرد ان يفتكر من يكون ابن ليسنيوس او لم يلح لمعارفهِ التاريخية ومداركهِ العقليةوانظارهِ الصائبة وآرائهِ الثاقبة انهُ لو لم يكن لابن ليسنيوس ذنب يستحق بهِ الموت بالعلاقة مع كرسبس او بدونها لم يقتل وبوجهٍ اخص لم يقتل عقيب قتل كرسبس ولو لم يكن جرمهُ ثابتاً واضحاً لاشبهة بهِ لما قتل بدون ان يحاكم كمحاكمة كرسبس ولو كان قسطنطين يستسهل سفك الدماءلقتلهُ حين

قتل اباهُ ليسنيوس بخيانته كما تقدم خبر ذلك وبوجه آخر نقول لماذا لم يقتل قسطنطين في ذلك الوقت من الوف الشبان في رومية ومن شيوخها وامرائها وعلمائها وشجعانها واغنيائها ووجهائهـا سوى ابن ليسنيوس لو لم يكن لهُ جرم ثابت يستحق بهِ الموت

او لم يكتب المستر بورتر بيدهِ التي لم تزل حيةً قبل هذا في عدد (١٤) من هذا الفصل نفسهِ ان ليسنيوس بعد محارباتهِ العظيمة التي حارب بها قسطنطين والتي في احداها قتل من جيوشهِ ثلاثة واربعون الف مقاتل وبعد عجزهِ عن محاربة قسطنطين اسلم امرهُ اليهِ فلم يقتلهُ ولا قتل احداً ممن لهُ بل استحياهُ ولكن بعد ذلك ظهرت منهُ الخيانة فقتلهُ بخيانتهِ ولكنهُ الآن قتل ابن ليسنيوس عقيب قتل كرسبس . ايكون ذلك بدون سبب كافٍ

وربما كان العذر للدكتور انهُ غـير مكلَّف الى هذه الملاحظات والتدبرات التي لا توافق المبدأ البروتستاني واذ ذاك فلنترك هذا المنهج الاستدلالي وننظر مع استاذ التاريخ والمؤلف في التاريخ وفيلسوف التاريخ من وجهٍ تاريخيٍ ولنفرض انهُ لم يطَّلع عَلَى حادثة ألكسي ابن بطرس الاكبر ووجود مسوَّدات رسائلهِ الخيانية ضدَّ ابيه وضد المملكة ايضاً لان هذهِ من التاريخ الحديث . الم يذكر او يتذكر حادثة ابشالوم ابن داوود وهو نفسهُ قد كتب في صفحة ١٣٣ من تأليفهِ النهج القويم في التاريخ القديم قولهُ

وعوقب داوود بان خانهُ ابنه ابشالوم وكاد يهلكهُ فنجا بيأس يوآب اذ أعانهُ الربُّ غير انهُ غمَّ وضويق كثيراً :

ولا حادثة قتل ابني سنحاريب اباهما المذكور وهو عاكف في بيت معبودهِ ساجد لصنمهِ وهو اي الدكتور بيدهِ التي لم تزل حيةً قد كتب خبره' كما سننقله' عنهُ

عَلَى ان كلام الدكتور بودتر في حادثة ابشالوم هذه شبيهٌ بلميع البرق بين الغرب والشرق او كلمح البصر في مأزق الخطر في غبشة السحر

وبما ان بعض الناس اذ يسمعون بصورة موت ابشالوم يريدون ان يطالعواهم بانفسهم خبر الحادثة ولا يعرفون اين يطلبونهُ او لا يتيسر لهم ذلك سننقله' عن الكتاب المقدَّس ترجمة الآباء اليسوعيين البيروتية وان طال رغبةً بايقاف مثل الذين المعنا اليهم عَلَى ما فيهِ من العبر والافادات العـديدة البيتيَّة والقوميَّة والحكميَّة والادبيَّة والتقويَّة وبالتالي السياسيَّة ايضاً . عَلَى اننا لا ننقل ما يتخللهُ من اخبار الحوادث التي ليست من مطلبنا الخاص هذا

الفصل الخامس عشر من سفر الملوك الثاني في ترجمة الآباء اليسوعيين البيروتية وهو في ترجمة الخواجات الاميريكان البيروتية سفر صموئيل الثاني

وكان بعد ذلك ان ابشالوم اتخذ لهُ مركبةً وخيلاً وخمسين رجلاً يجرون بين يديهِ وكان يبكّر ويجلس بجانب طريق الباب فكلُّ من كانت لهُ دعوى يريد ان يحتكم الى الملك يدعوه' ابشالوم اليهِ ويقول من ايّ مدينة انت فيقول عبدك من احد اسباط اسرائيل فيقول لهُ ابشالوم انظر ان كلامك صالح قويم ولكن ليس لك عند الملك من يسمع لك ثم يقول من يجعلني قاضياً في الارض فياتيني كلُّ ذي خصومةٍ ودعوى فأُنصفهُ فاذا دنا الرجل ليسجد

لهُ كان يمدُّ يدهُ اليهِ ويمسكهُ ويقبّلهُ . وكان ابشالوم يفعل مثل ذلك مع جميع اسرائيل الذين كانوا يأتون ليحتكموا الى الملك فكان بذلك يسترق قلوب رجال اسرائيل . وكان بعد اربعين سنة (الناقل . الظاهر ان ذلك من عمر ابشالوم من حين ميلادهِ لا من وقت رجوعهِ من جشور الى اورشليم حتى ان اباهُ داوود لم يكن لهُ اذ ذاك اربعون سنةً ملكاً) ان ابشالوم قال للملك دعني انطلق فاقضي نذري الذي نذرتهُ للرب في حبرون لان عبدك نذر نذراً حين كنت بجشور في ارام وقلت ان ردّني الرب الى اورشليم اعبد الرب فقال لهُ الملك انطلق بسلام فقام وذهب الى حبرون وارسل ابشالوم جواسيس الى جميع اسباط اسرائيل وقال اذا سمعتم صوت البوق فقولوا قد ملك ابشالوم في حبرون وسار مع ابشالوم مئتا رجل من اورشليم قد دُعوا فذهبوا على سلامة نيةٍ وهم لا يعلمون شيئاً وارسل ابشالوم الى أحيتوفل الجيلونيّ مشير داوود ليأتي من مدينتهِ جيلو وقد كان يذبح الذبائح واشتدّت المحالفة وكان الشعب لا يزال يتزايد عند ابشالوم فجاء داوود مخبرٌ وقال ان قلوب رجال اسرائيل قد تعلّقت بابشالوم . فقال داوود لجميع عبيدهِ الذين معهُ في اورشليم قوموا بنا نهرب لانهُ لا يكون لنا مفرٌّ من وجهِ ابشالوم بادروا بالمسير لئلا يسرع ويدركنا وينزل بنا الشرَّ ويضرب المدينة بحدّ السيف فقال للملك عبيدهُ كل ما يرتئيهِ سيدنا الملك فنحن عبيدهُ فخرج الملك وجميع بيتهِ مشاةً وترك الملك عشراً من السراري لحفظ البيت وخرج الملك وجميع الشعب معهُ مشاةً ووقفوا في بيت على بعد وكان جميع عبيدهِ يمرون عن جانبهِ مع جميع الجلادين والسعاة وكان

الجتيين يعبرون امام الملك وهم ست مئة رجل تبعوهُ من جتَّ فقال الملك
لإتّاي الجتيّ لماذا انت ايضاً سائر معنا ارجع واقم مع الملك لأنك غريب
منتزح عن وطنك امساً اتيتنا واليوم اكلّفك ان تخرج معنا انما انا منطلق
علَى وجهي فارجع وردَّ اخوتك والرحمة والحق يكونان معك فاجاب إتّايُ
الملك وقال حيٌّ الرب وليحيَ سيدي الملك انهُ حيثما كان سيدي الملك
سواء كان للموت او للحياة فهناك يكون عبدك فقال داوود لاتّاي اذهب
واعبر فعبر اتايُ الجتيّ وجميع اصحابهِ وكل العيال الذين كانوا معهُ وكانت
جميع الارض تبكي بصوت عظيم وكان الشعب كلهم يعبرون ثم عبر الملك
وادي قدرون وجاز الشعب كلهم واخذوا في طريق البريَّة واذا بصادوق
وجميع اللاويين معهُ يحملون تابوت عهد الله فوضعوا تابوت عهد الله وصعد
ابياتار حتى فرغ جميع الشعب من العبور من المدينة فقال الملك لصادوق ردَّ
تابوت الله الى المدينة فان انا نلت حظوةً في عينيَ الرب فانهُ يردُّني ويرينه
مع مسكنهِ وان قال اني لم ارضَ منك فها انذا فليصنع بي ما يحسن في
عينيهِ ثم قال الملك لصادوق الكاهن انما انت راءٍ فارجع الى المدينة بسلام
انت وأحيماعص ابنك ويوناثان ابن ابيأتار ابناكما كلاهما معكما · انظروا اني
متلبّث في صحراء القفر حتى يرد عليَّ نباء منكم فرجع صادوق وابيأتار
بتابوت الله الى اورشليم واقاما هناك وصعد داوود عقبة الزيتون وكان
يصعد باكياً ورأسهُ مغطًّى وهو يمشي حافياً وجميع الشعب الذين معهُ غطوا
كلٌّ واحد رأسهُ وصعدوا وهم يبكون واخبر داوود وقيل لهُ ان احيتوفل
من المتحالفين مع ابشالوم فقال داوود حمّق يارب مشورة احيتوفل ولما انتهى

داوود الى قمة الجبل ليسجد لله هناك اذا بحوشاي الأركي قد لقيه وثيابه ممزقة وعلى رأسه تراب فقال له داوود ان انت عبرت معي كنت عليَّ ثقلاً ولكن اذا رجعت الى المدينة وقلت لابشالوم انا عبدك ايها الملك فقد كنت عبد ابيك من قبل والآن انا عبدك فانك تبطل لي مشورة احيتوفل وعندك هناك صادوق وابياثار الكاهنان فكل كلمة تسمعها من بيت الملك فاخبرهما بها ومعهما هناك ابناهما فترسلون اليَّ على السنتهما كل كلمة تسمعونها. فاتى حوشاي صديق داوود المدينة وابشالوم داخل الى اورشليم

الفصل السادس عشر

من العدد الخامس الى آخره . ولما بلغ الملك داوود الى بحوريم اذا برجل قد خرج من هناك من عشيرة شاوول اسمه شمعي ابن جيرا وهو يلعن في اثناء خروجه ورجم داوود وجميع عبيد الملك داوود بالحجارة وكان جميع الشعب وجميع الجبابرة يسيرون عن يمينه وعن يساره وكان شمعي يقول في لعنه اخرج اخرج يارجل الدماء ورجل بليعال قد ردَّ الرب عليك كل دماء بيت شاوول الذي ملكت في مكانه وقد دفع الرب ملكك الى يد ابشالوم ابنك وها انت واقع في شرك لانك رجل دماء فقال ابيشاي ابن صروية للملك كيف يلعن هذا الكلب الميت سيدي الملك دعني اعبر اليه فاقطع رأسه فقال الملك مالي ولكم يابني صروية دعوه يلعن لان الرب قال له العن داوود فمن يقول لماذا تفعل هكذا وقال داوود لابيشاي ولجميع عبيده هوذا ابني الذي خرج من صلبي يطلب نفسي فماترون الآن بنياميني دعوه يلعن لان الرب قال له لعلَّ الرب ينظر الى مذلتي ويجزيني خيراً عن

لعن هذا لي اليوم وكان داوود ورجالهُ يسيرون في الطريق وشمعي يسير في عرض الجبل مقابلهُ وهو في اثناء سيرهِ يلعن ويرجم بالحجارة مقابلهُ ويحثو التراب · وجاء الملك وجميع الشعب الذين معهُ وقد اعيوا فاستراحوا هناك · واما ابشالوم وجميع الشعب رجال اسرائيل فاتوا اورشليم واحيتوفل معهم فلما دخل حوشاي الأَركي صديق داوود عَلَى ابشالوم قال له ليحيَ الملك ليحيَ الملك فقال ابشالوم لهُ اهذا وفاؤُك لصديقك ما بالك لم تخرج مع صديقك فقال حوشاي كلاَّ ولكن الذي اختارهُ الربُّ وهذا الشعب وجميع رجال اسرائيل لهُ اكون ومعهُ اقيم وبعد فمن الذي اخدمهُ أليس هو ابنهُ فكما خدمت بين يدَي ابيك اكون بين يديك ·

وقال ابشالوم لاحيتوفل اشيروا ماذا نصنع · فقال احيتوفل لابشالوم ادخل عَلَى سراري ابيك اللائي تركهنَّ لحفظ البيت فيسمع اسرائيل جميعهم انك قد صرت مكروهاً من ابيك فتشتدُّ ايدي جميع الذين معك فضربت لابشالوم خيمة عَلَى السطح ودخل ابشالوم عَلَى سراري ابيهِ على مشهد جميع اسرائيل وكانت المشورة التي كان يشير بها احيتوفل في تلك الايام كمشورة من يسأل الله · كذا كانت مشورة احيتوفل عَلَى داوود كانت او عَلَى ابشالوم

الفصل السابع عشر · بتمامهِ

وقال احيتوفل لابشالوم دعني انتخب اثني عشر الف رجل فاقوم واسعى في طلب داوود هذه الليلة واهجم عليهِ وهو معيٍ مسترخي اليدين وارعبهُ فيهرب جميع الشعب الذي معهُ واضرب الملك عَلَى انفراد واردُّ جميع الشعب اليك فان الرجل الذي تطلبهُ يعادل رجوع الجميع ويكون

الشعب كلهم في سلام فحسن الامر في عيني ابشالوم وفي عيون جميع شيوخ اسرائيل . وقال ابشالوم ادعُ لي ايضاً حوشاي الاركيّ فنسمع ما يقول هو ايضاً فأتى حوشاي فكلّمهُ ابشالوم قائلاً ان احيتوفل قال لنا كذا وكذا انعمل بحسب كلامهِ ام لا تكلّم انت . فقال حوشاي لابشالوم ليس حسناً ما اشار بهِ احيتوفل هذه المرّة انت تعرف اباك ورجالهُ انهم اشدّاء ونفوسهم عزيزة كالدُبّة الثاكل في الصحراء وابوك رجل حرب لا يبيتُ مع الشعب وقد يكون الآن مختبئاً في احدى الحفر او في بعض الامكنة فيكون اذا سقط بعض هولاء في اول الامر ان السامع يسمع فيقول قد وقعت كسرة في الشعب الذين وراء ابشالوم واذ ذاك فان ذا البأس ايضاً الذي قلبهُ كقلب الاسد يذوب ذَوَباناً لان جميع اسرائيل يعرفون ان اباك جبّار وان الذين معهُ ذوو بأس لذلك اشير عليك بان يجتمع اليك جميع اسرائيل من دان الى بئر سبع كالرمل الذي عَلَى البحر في الكثرة وانت بنفسك تسير فيما بينهم . فتأتيهِ في احد الاماكن حيث هو وننزل عليه نزول الندى عَلَى الارض فلا يبقى منهم احد منهُ ومن جميع الرجال الذين معهُ . وان انحاز الى مدينةٍ يحمل جميع اسرائيل الى تلك المدينة حبالاً ويجرّونها الى الوادي حتى لا يبقى هناك ولا حصاة فقال ابشالوم وجميع رجال اسرائيل ان مشورة حوشاي خيرٌ من مشورة احيتوفل وكان الرب قد امر ان تبطل مشورة احيتوفل الصائبة لينزل الرب الشرَّ بابشالوم ثم قال حوشاي لصادوق وابياثار الكاهنين ان احيتوفل اشار عَلَى ابشالوم وعلَى شيوخ اسرائيل بكذا وكذا واشرت انا بكذا وكذا فانفذا الآن واعلما داوود

سريعاً وقولا لهُ لا تبت هذه الليلة في صحراء القفر ولكن بادر بالعبور لئلا يبتلع الملك وجميع الذين معهُ وكان يوناتان واحيماعص قائمين عند عين روجل فانطلقت اليهما أمَةٌ واخبرتهما فانصرفا واخبرا داوود الملك لانهما لم يقدرا ان يظهرا في داخل المدينة فرآهما فتىً فاخبر ابشالوم واما هما فاسرعا في مسيرهما واتيا بيت رجل في بحوريم وكانت لهُ في دارهِ بئرٌ فنزلاها فاخذت المرأة دثاراً وبسطتهُ على فم البئر ونشرت عليهِ جشيشة ولم يعلم الامر فوفد عبيد ابشالوم الى المرأة في البيت وقالوا اين احيماعص ويوناتان فقالت لهم قد عبرا قناة الماء ففتشوا عنهما فلم يجدوهما فرجعوا الى اورشليم وبعد انصرافهم خرج احيماعص ويوناتان من البئر وانطلقا واخبرا داوود الملك وقالا لهُ قوموا واعبروا المياهَ عاجلاً لان احيتوفل اشار فيكم بكذا وكذا فقام داوود وجمع الشعب الذين معهُ وعبروا الاردنَّ فلم ينبثق الصبح ومنهم احد لم يعبر الاردن . فلما رأى احيتوفل ان مشورتهُ لم يعمل بها شدَّ على الحمار وقام وانصرف الى بيتهِ في مدينتهِ واوصى لبيتهِ وخنق نفسهُ ومات ودفن في قبر ابيهِ واما داوود فوافى الى محنائيم وعبر ابشالوم الاردن هو وجميع رجال اسرائيل معهُ . واقام ابشالوم عماسا بدل يوآب على الجيش وكان عماسا ابن رجل يقال لهُ يثرا الاسرائيلي وهو الذي دخل على ابيجائيل بنت ناحاش اخت صروية ام يوآب ونزل اسرائيل وابشالوم بارض جلعاد . وكان عند دخول داوود محنائيم ان اتاهُ شوبي ابن ناحاش من ربة بني عمون وماكير ابن عميئيل من لودبار وبرزلاي الجلعاديّ من روجليم فقدَّموا فرشاً وطسوساً واوعية خزفٍ

وحنطةً وشعيراً ودقيقاً وفريكاً وفولاً وعدساً وحمّصاً مشوياً وعسلاً وسمناً وضأناً وجبن بقرٍ لداوود وللشعب الذين معهُ ليأكلوا لانهم قالوا ان الشعب جياع وقد تعبوا وعطشوا في القفر

الفصل الثامن عشر · الى عدد (١٧) منهُ

واحصى داوود الشعب الذين معهُ واقام عليهم رؤساء الوف ورؤساء مئين وارسل داوود الشعب ثلثهُ تحت يد يوآب والثلث تحت يد ايشاي ابن صروية اخي يوآب والثلث تحت يد إتّاي الجتّيّ وقال الملك للشعب انا ايضاً اخرج معكم فقال الشعب لا تخرج انت لاننا اذا هربنا نحن لا يبالون بنا واذا مات نصفنا لا يبالون بنا اما انت فكعشرة الآن منّا فالاصلح ان تكون لنا نجدةً من المدينة · فقال لهم ما يحسن في عيونكم اصنعهُ · فوقف الملك بجانب الباب وخرج الشعب كلهم مئةً مئةً والفاً الفاً وامر الملك يوآب وايشاي واتاي وقال لهم ترفّقوا لي بالفتى ابشالوم وسمع الشعب كلهم ما اوصى بهِ الملك جميع القوّاد في امر ابشالوم وخرج الشعب الى الصحراء للقاء اسرائيل وكان القتال في غابة افرائيم فانكسر هناك شعب اسرائيل من وجه عبيد داوود وكانت هناك مقتلة عظيمة في ذلك اليوم وقتل عشرون الفاً · وكان القتال منتشراً هناك على وجه الارض كلها وافترست الغابة من الشعب اكثر مما افترس السيف في ذلك اليوم وتلاقى ابشالوم بعبيد داوود وكان ابشالوم راكباً على بغلٍ فدخل البغل تحت اغصان بلوطة عظيمة ملتفةٍ فتعلّق رأسهُ بالبلوطة فرفع بين السماء والارض ومرّ البغل من تحتهِ فرآهُ رجل فاخبر يوآب وقال لهُ اني

رأيت ابشالوم معلقًا بالبلوطة فقال لهُ يوآب فلماذا لم تضربهُ الى الارض فكنت أُعطيك عشرة من الفضة ومِنطقَةً فقال لهُ الرجل ولو نُقِدت في راحتي الفٌ من الفضة لما رفعت يدي عَلَى ابن الملك لان الملك اوصاك عَلَى مسامعنا انت وابيشاي واتّاى وقال احترزوا لي عَلَى الفتى ابشالوم · والاّ لكنت كِذبتُ لنفسي مكيدةً اذ لا يخفى عَلَى الملك شيء ولكنت انت قمت ضدي · فقال يوآب لا اتمهل هكذا امامك واخذ بيدهِ ثلاث حراب فانشبها في قلب ابشالوم واذ كان لم يزل حياً في وسط البلوطة احاط بهِ عشرة غلمان حاملو سلاح يوآب. وضربوا ابشالوم وقتلوهُ ونفخ يوآب في البوق فكفَّ الشعب عن تعقب اسرائيل لان يوآب ردَّ الشعب واخذوا ابشالوم وطرحوهُ في الغابة في الجب العظيم وجمعوا فوقهُ جثوة (رجمةً) عظيمةً جدًا من الحجارة وهرب جميع اسرائيل كل امرئٍ الى خيمتهِ انتهى النقل

هذا ما صدر من ابشالوم وهو ابن النبي والملك داوود اسرائيليٌ من اصل يسّي ولم يقل عنهُ كان حاذقًا وجريئًا وباسلاً وذا ثبات في الحروب ولا يظنّ ان تربية كرسبس ابن قسطنطين كانت افضل من تربيتهِ ولا تهذيبهُ اكمل من تهذيبهِ ولا اخلاقهُ اكرم من اخلاقهِ ولا اعراقهُ اطهر من اعراقهِ ولا قومهُ انقى من قومهِ ولا جنسهُ اشرف من جنسهِ واذ ذاك فماذا كان يمنع ان يصدر من كرسبس ما هو اكبر واقبح وافظع مما صدر من ابشالوم · عَلَى ان الدكتور بورتر لا يجهل مثل هذه الامور ولكنهُ يغفلها وينقاد الى خلافها بحكم المبدا البروتستاني

وهذا خبر سنحاريب وقتله من اثنين من ابنائهِ ننقلهُ عن الدكتور بورتر من صفحة (٦٠ — ٦٣) من كتاب النهج القويم حيث قال

وادرك الاجل سرجون سنة ٧٠٥ ق٠م٠ وخلفهُ ابنهُ سنحاريب اما هذا الملك (اي سنحاريب) فهو اشهر ملوك اشور لمآثرهِ العظيمة وآثارهِ الكثيرة ولنصّ التوراة في شأنهِ ولما ذكرهُ اليونان من امرهِ فلنا من اخبارهِ كثيرٌ نقتصر على اهمها فنقول

ان هذا الملك لم يباشر الحرب الأ بعد سنتين من ملكهِ وكانت بابل قد خرجت عليهِ وتولّى امرها مرودخ بلادان المذكور (مرَّ ذكرهُ في التأليف قبلاً) فانهُ رجع بعد موت سرجون وفي سنة ٧٠٣ ق٠م حشد سنحاريب جيشهُ وقدم عليهِ وافتتح بابل وغزا كل ارض الكلدانيين قال: ,, نهبت ٧٦ مدينة و٤٢٠ قرية ,, اما مرودخ فالتجأ الى بلاد عيلام واقام سنحاريب والياً عَلَى بابل ثم سار الى ارام النهرين وغزاها واجلى نحو ٢٠٠٠٠٠ من اهلها ونهب مواشي كثيرة وغزا سنة ٧٠٢ ق٠م جبال زاغرس وما يليها وسار سنة ٧٠١ ق٠م بجيشهِ الى سورية وهاجم فينيقية وكان لوليا او الوليوس ملك صور قد خرج عليهِ فلما سمع بقدوم سنحاريب هرب الى بعض جزائر البحر فاستولى ملك اشور عَلَى البلاد وولّى عليها رئيساً اسمهُ توبال او اثبعل وقدَّم لهُ اكثر الملوك المجاورين الطاعة لكن ملك اشقلون ابى ذلك فحاربهُ سنحاريب وقبض عليهِ فخضع لهُ تبعة اشقلون ثم قدم عَلَى عفرون وكان ملكها قد حالف ملك مصر ولعلهُ شيبق الثاني فسار في جيش كثيف ومركبات وفرسان وعلى

قول سنحاريب ان جنوده' كانت لا تحصى وحدث القتال في سواد عفرون وتمت الهزيمة عَلَى المصريين فخضعت عفرون وما يليها لملك اشور وكان لعفرون سابقاً ملك اسمه' بادي كان صديقاً لملك اشور ولما نوى اهله' الخيانة قبضوا عليهِ واعتقلوه' وارسلوه' الى حزقيا ملك يهوذا للحفظ فاستشاط سنحاريب غضباً ولما اخضع عفرون صعد على يهوذا فاخذ حزقيا الرعب ودفع له' ٣٠ وزنة من الذهب و٣٠٠ وزنة من الفضة واستولى سنحاريب على المدن الحصينة (انظر ٢ مل ١٨ : ١٣ — ٤١) اما ما كتبه' سنحاريب في هذا الشأن فمختلف شيئاً عن نصّ التوراة اذ يقول انهُ سبى ما ينيف عَلَى ٢٠٠٠٠٠ انسان وانهُ احاط باورشليم تمام الاحاطة وجعل حزقيا كعصفور في قفص فدفع لهُ ٣٠ وزنة من الذهب و٨٠٠ وزنة من الفضة وكنوزاً كثيرة وسلم اليهِ بادي ملك عفرون فارجعهُ سنحاريب الى مقامهِ السابق ثم عاد ملك اشور الى نينوى واضطرّ في السنة التالية ان يؤدّب بابل ايضاً اذ كان مرودخ بلادان يهيج الثورة فقهره' سنحاريب واقام ابنهُ عَلَى ولاية بابل اما مرودخ فالتجأ الى بعض جزائر خليج العجم

ثم سار سنحاريب سنة ٦٩٩ ق٠م٠ او نحو ذلك الزمان بجيشهِ الى فلسطين لان حزقيا كان قد رفض الطاعة واستغاث ملك مصر وهو ترهاقة ولما اتى سنحاريب نزل عَلَى لبنة ولخيش وهما مدينتان في اطراف ارض يهوذا الى جهة مصر وفي اثناء ذلك بعث معتمداً الى اورشليم يهدّد حزقيا آملاً ان يطيعهُ قبل قدوم ملك مصر فابى حزقيا طاعتهُ واتكل عَلَى

الربّ فلما علم سنحاريب ذلك وان جنود مصر قادمة عليهِ بعد ان افتتح لبنة توجه الى حدود مصر وكان المصريون كامنين عند مدينة بلوسيوم حين وصول الاشوريين وهم يتيقنون النصر . ولما ادركهم الليل جاء ملاك الرب واهلك ١٨٥٠٠٠ من الاشوريين ولما اصبح الناجون ولو الادبار واسرعوا في الهرب الى ان بلغوا بلادهم فافرج بذلك عن مصر واورشليم معاً (راجع ٢ مل ص ١٩) وقد ذكر المصريون هذه الحادثة في اخبارهم قالوا " ان الالهة بعثوا الفيران تأكل اوتار القسيّ فاصبح الاشوريون غنيمتهم لفقد الأسلحة " وكان ملك مصر حينئذٍ حسب قول التوراة ترهاقة لكنهُ لم يتبوأ تخت مصر علَى ما ظهر للمؤرخين الا سنة ٦٩٠ ق . م . ولعل الصحيح ان ترهاقة كان وقتئذٍ قائد جيش مصر فقط وصار ملكها فيما بعد

ولا ذكر لمصيبة سنحاريب فيما كتبهُ لان الملوك لم يكتبوا الا ما يتعلّق بعظمتهم من الفوز والنجاح فهذه الحروب الثانية في ارض يهوذا لا ذكر لها في كتابات سنحاريب ولا ريب انـهُ تجنَّب تلك النواحي بعد هذه النازلة الفظيعة . اما غزواتهُ في غير جهات فلم تنقطع وفي نحو سنة ٦٨٨ ق . م . حارب بابل محاربة شديدة اذ خانهُ اهلها ولما ايقنوا قدوم ملك اشور رحل قوم من جنوبي البلاد الى عيلام وقبلهم ملكها اما سنحاريب فسار بجنودهِ وركب سفناً فينيقيةً علَى دجلة ونزل بها الى خليج العجم ومن ثمَّ حمل علَى شطوط عيلام اذ كانت المسالك بين دجلة وارض عيلام صعبة ونهب وغزا كثيراً اذ لم يكن ملك عيلام متوقعاً شيئاً من ناحية البحر . اما اهل بابل فاتفقوا علَى العصيان متوقعين انكسار سنحاريب بحراً واقاموا عليهم ملكاً اسمهُ

سوسب وحشدوا جيوشهم وناوشوا الاشوريين عند رجوعهم فعاد الاشوريون منصورين خلاف ما توقع الاعداء فهزموا العصاة واسروا ملكهم ولما قدم عسكر عيلام لنجدتهم هزموهُ ايضاً فخضعت بابل . وجزم سنحاريب بعقاب عيلام لنجدتها بابل وقد ذكرنا ان ملكها هاجم اشور واخذ بعض مدنها ايام سرجون فاسترجع سنحاريب هذه اولاً ثم توغل في ارض عيلام عينها وخرَّب اربعاً وثلاثين مدينةً عظيمة وقرى كثيرة واخذ العاصمة ففرَّ ملكها الى الجبال

اما سوسب ملك بابل المأسور فنجا الى بابل واخذ يتهيأ للقتال ثانيةً فاستجاش ملك عيلام والاراميين الساكنين في نواحي الفرات فاجابوهُ جميعاً لقتال سنحاريب فالتظت نار حرب شديدة بين الفريقين فانتصر الاشوريون كعادتهم وهرب سوسب وملك عيلام فخضعت بابل وعوقبت عقاباً غليظاً فهُدِمَت اسوارها واحرقت هياكلها بعد نهبها وديست تماثيلها . ثم غزا سنحاريب كيليكيةَ حيث التقى بقوم من اليونان وغلبهم وبنى هناك مدينة طرسوس وقيل انهُ رسمها عَلَى هيئة بابل . اما بابل فكانت عَلَى الدوام تعصيهِ وتخرج عليهِ فلم تحمل نير الاشوريين الاعَلَى رغمها ولم تخضع الاَّ بعد موت سنحاريب سنة ٦٨١ ق . م . ولعلهُ ضعف في اواخر ملكهِ لشيخوختهِ ولم يستطع القيام للقتال كذي قبل عَلَى انهُ كان من اعظم ملوك اشور فانهُ وسَّع حدود المملكة وزاد عَلَى سلفائهِ في غزواتهِ حتى انهُ حارب بحراً كما ذكرنا

واشتهر سنحاريب بالبناء وفاق فيهِ كلَّ من سبقهُ واعظم ما شادهُ الصرح الكبير في نينوى واتساع اساسهِ ينيف عَلَى ثمانية فدادين وكان فيهِ

ثلاث ادوُر طول احداها ١٥٤ قدماً وعرضها ١٢٥ قدماً وقاعتان طول احداهما ١٨٠ قدماً وطول الاخرى ١٥٠ قدماً وعرض كلٍّ منهما ٤٠ قدماً ودهليز طولهُ ٢١٨ قدماً وعرضهُ ٢٥ قدماً · اما مخادعهُ فلم تكشف جميعها وظنها البعض ٨٠ وكان عَلَى جدرانهِ صور كثيرة تشير الى مساعيهِ العظيمة في الجهات وامور الاشوريين المدنية والحربيَّة ومنها اصناف كثيرة من الدبابات المختلفة والطيور وهناك صور جنَّات فيها اشجار وازهار واعشاب وانهر عليها سفُنٌ واناس يجذفون واسماك كأنها تلعب ومنها صور تشير الى امور القصر اليوميَّة والخَدَم يأتون باصناف الطعام واللحم والفاكهة وغيرها من المأكولات التي كانوا يعدُّونها للملك · وهنالك صور تشير الى تقطيع الحجارة الكبيرة من المقالع وهي التي نحتوا منها الثيران العظيمة التي نصبوها عند مدخل القصر ومنها صور تشير الى طريقة نقل تلك الحجارة الى محالها والخلاصة ان تلك الجدران كانت بتلك الصور في احسن زينةٍ توضح لنا كثيراً من حياة الاشوريين وعوائدهم وقد اخذ كثير من الحجارة التي عليها تلك الصور الى لندن وهي في المشهد البريطاني

اما هلاك سنحاريب فعلم من التوارة (٢ مل ١٩: ٣٧) ومن بعض المؤرخين ان ابنيهِ أدْرَ مَلَّك وشرآصر فتنا عليهِ وقتلاهُ وكان لهُ بنون كثيرون منهم اسرحدُّون الذي كان مع جيش يحارب عَلَى حدود ارمينية فلما سمع بما كان في نينوى زحف اليها وقوى عَلَى اخويهِ الذين كانا قداستوليا عَلَى زمام الملك فهربا الى ارمينية وملك اسرحدُّن عوضاً عنهُ في سنة ٦٨١ ق · م

والذي اشار اليهِ في (٢ مل ١٩ : ٣٦و٣٧) من ذكر قتل ابني سنحاريب اياهُ هو هذا · فانصرف سنحاريب ملك اشور (اي من بلاد اليهودية) وذهب راجعاً واقام في نينوى · وفيما هو ساجد في بيت نسروخ الههِ ضربهُ ادرملك وشراآصر ابناهُ بالسيف ونجوا الى ارض اراراط وملك اسرحدُّن ابنهُ عوضاً عنهُ اه

ومن تروَّى ما يقرأهُ وتدبرهُ يرى انهُ كما كان بوناپارتي الاول دارساً تاريخ حياة اسكندر الكبير جيداً كذلك كان قسطنطين دارساً تاريخ حياة سنحاريب جيداً ولذلك لم يتم عليهِ من ابنهِ كرسبس وصديقهِ ابن ليسنيوس ما تمَّ على سنحاريب من ابنيهِ

عَلَى انهُ كان يجب ان يحضر هذا الخاطر الى ذهن استاذ التاريخ الدكتور بورترمنذ بدأ في تقرير خبر حياة قسطنطين وعَلَى الاقل فيما هو يقررهُ تنجلي لهُ الحقيقة من المبدا والسلوك والنتيجة والاَّ فما فائدة درس التاريخ وفلسفة التاريخ اذا لم يكتسب من ذلك ملكة قياس الاشباه عَلَى اشباهها وتطبيق الحوادث ومباديها ونتائجها على امثالها ·

(١٠) قولهُ ثم لم يلبث قسطنطين ان قتل امرأتهُ فوستا وسبب ذلك فيما قيل ان هيلانة ام قسطنطين حنقت عليها لانها اغرت الامبراطور (اي قسطنطين) على قتل كرسبس فاتهمتها بالزنى مع بعض خدم الامبراطور فقتلها عَلَى انهُ لم يثبت بالبينة انها ارتكبت تلك الفاحشة:

نقول انهُ كان مما ينبغي بل من الواجب المتحتّم عَلَى الدكتور بورتر الاستاذ والمؤلف في التاريخ قبل ان يتطوَّح بالقدح والطعن والثلب في

الرجل العظيم الذي يعدّهُ العالم المسيحي في شرق الارض وغربها وقبليها وشمالها من اعاظم رجال الدهور وافضلهم صفاتٍ واكرمهم سجايا واحمدهم اخلاقاً واكملهم ادباً وارقاهم تهذيباً واكثرهم تقوى واشدّهم شجاعة واسخاهم كرماً واحكمهم تدبيراً واحناهم شفقةً واعدلهم حكماً واوسعهم حلماً وارصنهم رأياً واعظمهم محبةً للسيد يسوع المسيح وغيرةً عَلَى كنيستهِ وعنايةً وسعياً وعملاً في نجاحها ان يتنبَّه ويتفطَّن من هي فوستا وبنت مَن فوستا واخت مَن فوستا وما هو المعروف من مبادىء اخلاق واطوار أُسرتها وماذا ظهر بعد ذلك من ابنائها في سيرتهم وحكومتهم ووحدتهم ويتدبَّر كل ذلك ويعلم ان العرق دسَّاس ثم يكتب ما يكتبهُ في هذا الشأن عن تروٍ وتحقيق وتدبرٍ في صورة عادلة ولهجةٍ معتدلة ولكنهُ قد فاتهُ او هو قد فات كل ذلك وبما ان فقرتهُ هذه مشتملة عَلَى تطوُّحات ومجازفات وتهورات قد تؤَثّر في اذهان المطالعين من المسيحيين تأثيراً رديئاً عائلياً ودينياً وادبياً فنقسمها في نقضها وتزييفها ودحضها الى العبارات الآتية وهي

الاولى قولهُ · ثم لم يلبث قسطنطين حتى قتل امرأتهُ فوستا :

لا يخفى ان قولهُ ان قسطنطين حين قتل ابنهُ البكر كرسبس وقتل ايضاً في ذلك الوقت ابن ليسنيوس. ولم يلبث ان قتل امرأتهُ يلزم منهُ اما انهُ عرض لقسطنطين عارض افقدهُ التعقل والرشد والهُدَى حتى استوى شريراً هائجاً فاتكاً قصاباً بشرياً لا ضانياً سفاكاً للدماء بلا رحمةٍ ولا عدلٍ ولا حنوٍ ولا خوف من الله ولا حياء من الناس · على ان المؤرخين ومنهم الدكتور بورتر مؤلفنا لم يذكروا في قسطنطين شيئاً من هذا بل ذكروا ما

يضادّهُ وينفيهِ كما سيأتي لمولفنا نفسهِ واما ان الكاتب قد كتب مندفعاً من هوى نفس راغبة هائمة متلذّذة بالطعن والقدح والتشنيع بالافاضل وخصوصاً في رجال الله وقديسي كنيسة يسوع المسيح ونحن نترك للطالع المنصف ان يتدبرّ المقام والقرائن والاحوال ويحكم في اي الفرضين اقرب ان يكون هو الواقع

والاَّ فلا محل للريب ولا يحتمل الشكّ انهُ كان بين سلسلة هذه الحوادث ما يربط حلقاتها بعضها ببعض ربطاً محكماً عَلَى انَّا قد رأينا قبلاً محاربة مكسنتيوس اخي فوستا لقسطنطين ورأينا خيانة مكسميانوس والد فوستا لقسطنطين بعد ان اجارهُ وامنّهُ من ابنهِ مكسنتيوس ولم نرهُ قد طلّقها او اهانها او جفاها والآن قد قتلها بعد قتل ابن ليسنيوس افلا يتلمح بل يظهر من كل ذلك انهُ كان بين تلك الحوادث علاقات تجرُّ بعضها بعضاً وانها كانت مجرمةً جرماً تستحق بهِ الموت او لم يكن مما يجب على المؤلف في التاريخ القديم ان يلاحظ هذه الامور تمام الملاحظة ويكتب ما يكتبهُ بحكمة الاطلاع لا بهجمة الاندفاع

الثانية قولهُ وسبب ذلك فيما قيل ان هيلانة ام قسطنطين حنقت عليها لانها اغرت الامبراطور (اي قسطنطين) على قتل كرسبس فاتهمتها بالزنى مع بعض خدَم الامبراطور فقتلها عَلَى انهُ لم يثبت بالبينة انها ارتكبت تلك الفاحشة :

فنقول اولاً ان في ايرادهِ هذه العضيهة مصدرة بعبارة التضعيف اي قولهِ « فيما قيل » دليلاً عَلَى ان هذا القول مرجوح ومستضعف عند

المؤرخين وعند الدكتور بورتر نفسهِ وفي هذه اللمحة كفاية لسقوط هذا القول ولكن الدكتور بنى الكلام عليهِ فيما يلي كأنهُ حقيقة راهنة لا يدانيها ريب

ثانياً عَلَى افتراض تحقق وقوع هذا الامر فعلاً كما ذكره الدكتور نقول ان التحقيق في هذه الحادثة يدور عَلَى امرين لا ثالث لهما اما كذب هيلانة وافتراؤها عَلَى فوستا كنتها امرأة الامبراطور قسطنطين وام بنيهِ الشبان الثلاثة والصبيتين الاثنتين باتهامها بالزنى مع بعض خدَم الامبراطور مع كون فوستا نزيهة وبريئة من ذلك واما صدق هيلانة وثبوت الفعل عَلَى فوستا ولكن لكي نجد اساساً نبني عليهِ القول بالايجاب او النفي يجب ان نعرف من هي هيلانة وما هي صفات هيلانة وكم هي تقوى هيلانة وماهي آثار هيلانة وماذا يذكر التاريخ عن هيلانة ومن هو ابن هيلانة ثم نعرف من هي فوستا وبنت من فوستا واخت من فوستا وما هي تربية فوستا وماذا يذكر لنا التاريخ من مبادي واخلاق واطوار أُسرة فوستا ومن هم ابناء فوستا وماذا ظهر منهم ثم نعمل الموازنة بينهما وننظر فيما يصح وما لا يصحُّ في حق كلٍّ منهما عَلَى انهُ لو تروَّى الدكتور استاذ التاريخ في كل هذه الاعتبارات او بعضها لما ساعدتهُ يدهُ التي لم تزل حيَّةً ان يكتب ما كتبهُ في حق هيلانة عَلَى انهُ بصفة كونهِ بروتستانياً غير مكلَّف بمثل هذه التدقيقات ولا هي مما يوافق مبدأهُ

ثم نقول اذا صدق القول ان هيلانة حنقت عَلَى كنتها وصحَّ ان يقال انها تعرَّت من الوقار والتقوى والعدالة والانسانية حتى اتهمت كنتها بما

ذكر اترى يخدع بذلك قسطنطين الملك ويروج عليهِ هذا الافك الباطل الزاهق وهو الرجل العظيم والعاقل الحكيم والذكيّ النبيهُ الذي ضبط وحدهُ المملكة الرومانية الوسيعة بعد ان كان يسوسها ستة اوغسطسين ولم يضبطوها مثلهُ ويسهل عليهِ قتل امرأتهِ وام ابنائهِ الذين هم رجال وفي الرتبة الملوكية ثم يروج ذلك علَى المحكمة التي اقيمت للنظر في دعوى تلك التهمة بناء علَى قول الدكتور انهُ لم يثبت بالبيّنة علَى فوستا انها ارتكبت تلك الفاحشة لان البيّنة انما تقام في المحكمة امام القضاة ما لم يكن قد اراد الدكتور ان تقام الدعوى لديهِ وهو بعينهِ يسمع البيّنة . علَى انهُ ان كان الخبر صحيحاً وقد قتل قسطنطين امرأتهُ ام ابنائهِ الرجال والملوك معاً بدون محاكمة فيستدلّ من ذلك ان الحادثة كانت ظاهرة واضحة لا ريب فيها حتى لم تحتج الى تحقيق ولا محاكمة

وقد كان علَى استاذ التاريخ والمؤلف فيهِ ان يفتّش وينقّب ويحقق ويقرّر ما اذا كان قسطنطين قتل ايضاً الذي اتهمت فوستا بالزنى معهُ او لا ففي ذلك بعض الدلالة علَى الحقيقة واذا كان المؤرّخون لم يذكروا شيئاً من ذلك . فيكون الخبر بان هيلانة اتهمت كنتها بالزنى بطلاً انما هو فرية افتراها بعض الكفرة علَى هيلانة

وبعد كل ذلك نقول لعلّ الدكتور بورتر استاذ التاريخ لا يعرف من هي هيلانة التي يقرّر في حقها هذه الفعلة الشنيعة الفظيعة ولذلك نرى من المفيد ان نورد هنا ترجمتها اي خبر حياتها ملخصة عن كتاب الكنز الثمين في اخبار القديسين تأليف السعيد الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم

ملخص ترجمة القديسة هيلانة

اخذاً عن كتاب الكنز الثمين في اخبار القديسين بتصرف قليل

إنَّ الملكة والقديسة هيلانة الشائعة الذكر في العالم المسيحيّ كلهِ والمكرَّمة من الكنيسة الجامعة لاجل فضائلها الخصوصيَّة ليس باقلَّ مماَّ لاجل فضائل ابنها قسطنطين العظيم قد وُلِدت سنة ٢٤٧ للمسيح في اقليم البثنيَّة (اتمّ وافيد ما عثرنا عليهِ في تعريف البثنيَّة وتحديدها ما في كتاب «دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف» للعالم الكاتب المتفنن التاريخي الاستاذ عيسى افندي المعلوف نقلاً عن تاريخ لبنان للاب مرتين اليسوعي النسخة العربيَّة حيث قال (البثنيَّة) ... وقد سمَّاها ابو الفداء المؤرِّخ العربيّ البثنيَّة وهي ترجمة كلمة باشان ... وموقعها بين جبَلَي حرمون وجلعاد شرقيّ الاردن ونسبت الى جبل فيها اسمهُ باشان وهو جبل حوران اليوم ... وكانت مملكة باشان في حروب بني اسرائيل محدودة غرباً بنهر يبوق (الزرقاء) وجبل جلعاد وآخذة من العرَبة او وادي الاردن نحو الشرق الى صلخد والبادية ولذلك اطلق اليهود اسم باشان علَى الاقاليم الخمسة الشماليَّة الواقعة في عبر الاردن وهي ايطور والجولان وتراخونيت وحوران والبثنيَّة .... واشتهرت هذه المقاطعة بخصبها وبلوطها ومواشيها وآثار مدنها القديمة وكان نهر اليرموك الذي يصبُّ في الاردن تحت بحر الجليل التخم بين باشان وجلعاد : انتهى النقل عن دواني القطوف . : حاشية للناقل ظ : والحاصل ان الملكة والقديسة هيلانة من البلاد التي منها ظهر

ايوب الصديق فكلاهما من ارض عوص ومن اقليم البثنيّة . وبالتالي فان ايوب الصديق حوراني والقديسة هيلانة حورانيّة) في مكان يدعى درباني وقد بنى فيه فيما بعد مدينة من قسطنطين ابنها اسماها باسم أُمّهِ اي هيلانوبولي . ويظن انها كانت ابنة رئيس منزول (مضافة : اي محل معدّ لقبول الضيفان) فمع ذلك قسطانوس كلاروس ابو قسطنطين حينما تحقق صفات هيلانة الشخصيّة لم يأنف من ان يقترن بها بالزواج المدني ويمضي بها الى داردانيا احد اقاليم الليريكو مكان مولدهِ حيث كانت اسرتهُ هناك شهيرة ومقتدرة جداً بالمقتنيات والغنى والسطوة في مدينة نايسبوس ولدت هيلانة قسطنطين سنة ٢٧٢ واستمرت عايشة مع رجلها قسطانوس الى سنة ٢٩٢ اذ دُعي حينئذٍ قيصراً واقيم شريكاً في الملك الروماني لفلاريوس قيصر فاضطرَّ ان يطلقها (حسب عادة الرومانيين الوثنيين التي كانت جاريةً بينهم) وذلك لان القيصرين ديوكلاتيانوس ومكسميانوس ارادا لاجل الاتحاد والارتباط مع شريكيهما في المملكة غالاريوس وقسطانوس ان يزوجاهما ابنتيهما فزوج ديوكلاتيانوس ابنتهُ فالاريا بغالاريوس وزوَّج مكسميانوس ابنتهُ تاودورة بقسطانوس القيصر الجديد

وسنة ٣٠٦ للمسيح مات رجلها قسطانوس وكانت مع ما عرفت واشتهرت بهِ من الصفات الحميدة والفضائل السامية لم تزل متمسكةً بالديانة الوثنيّة فحالما ارتقى ابنها قسطنطين الى كرسي الملك بعد موت ابيهِ ارسل فاحضرها الى البلاط القيصريّ وشرَّفها بتسميتها افغوسطا اي ملكة وباكثر من ذلك عرفها حقيقة الديانة المسيحيّة التي كان هو قبل ذلك بزمن وجيز قد

اعتنقها بسبب الظهور الالهي الذي شاهده وفيما بعد قررهُ لاوسابيوس المؤرخ

فاعتنقت الملكة هيلانة الايمان بالمسيح ومع انها كانت اذ ذاك في سن الاربع والستين من العمر قد ظهرت حارةً في الايمان ذات غيرةٍ وقادةٍ على اكتساب الفضائل المسيحية وكليةَ الخشوع في حسن العبادة · وقد سرَّ الله ان يمدَّ في حياتها لكي تكون اسطوانةً في هيكل كنيسة المسيح وانموذجاً صالحاً للمسيحيين بالفضائل والقداسة واذ ان قسطنطين قد اعطاها السلطان المطلق على خزائنهِ الملوكية فهي قد افاضت بالحسنات الكثيرة والجزيلة ليس على الفقراء والارامل والايتام فقط بل ايضاً على الكنائس في المدن والقرى من الاواني المقدَّسة والحلل الثمينة والتقادم العظيمة · وكانت تحضر احتفالات الصلوات والذبائح الالهيَّة بالاحترام والتقوى والخشوع ولم يكن حضورها الى الكنائس الاَّ باثواب اعتياديةٍ خالية من البهرجة وكانت تتحد مع الشعب وتكون بينهم كاحدى النساء بدون خصوصيات

وبما ان قسطنطين بعد نهاية المجمع النيقاوي الاوَّل فرزَ من خزائنهِ الملوكية كميَّات عظيمة من المال لعمار كنائس جليلة في مدينة اورشليم وفي الارض المقدسة فوالدتهُ القديسة هيلانة اخذت على ذاتها العناية بذلك بمزيد رغبة لزيارة الاماكن التي فيها صنع فادينا السيد المسيح عمل خلاصنا فسافرت من القسطنطينية نحو سنة ٣٢٦ الى اورشليم وكانت مسافة هذا السفر علةً لسعادة سكان المدن والقرى التي اجتازت فيها لما كان منها من العطايا والمواهب والاسعافات لجميع الشعوب الذين كانوا يلتجئون اليها ولما وصلت الى اورشليم هدمت معبد الصنمة فانارة اي الزهرة الذي كان

الوثنيون شيدوهُ على جبل الجلجلة المكان الذي فيهِ مات مخلصنا على خشبة الصليب وبعد ذلك بذلت العناية والجهد بكشف قبر فادينا وباظهار عود الصليب الكريم

وقد وجدت الملكة والقديسة في المغارة التي بجانب قبر المسيح ثلاثة صلبان متشابهة ثم المسامير التي سُمِرت بها يدا المسيح ورجلاهُ واللوح الذي كان قد علِق على صليب فادينا بامر بيلاطس مفترقاً عن الصلبان الثلاثة ولم يعرف ايُّ الصلبان الثلاثة هو الذي صلب عليهِ المخلّص وكان القديس مكاريوس اسقف اورشليم حينئذٍ واقفاً لدى الملكة فقال لها انهُ يجب ان تؤخذ الصلبان الثلاثة الى بيت الرجل الذي دلهُم على المغارة وهو احد اشراف المدينة وكانت امرأتهُ مريضة مدنفة وهناك يمتحن الامر فذهبت الملكة ومعها القديس ومعهما الصلبان الثلاثة الى بيت الرجل وبعد ان تضرع الاسقف الى الله ان ينظر الى ايمان عبيدهِ ولا سيما الملكة الحسنة العبادة وضع احد الصلبان الثلاثة فوق جسم المدنفة وكذلك الصليب الثاني ولم يظهر افادة ولما وضع الصليب الثالث ففي الحال شفيت المرأة ونهضت على قدميها وقدَّمت الشكر لمن احسن اليها

فامتلأت القديسة هيلانة من الفرح الفائق الوصف وسجدت امام ذلك العود لا للعود نفسهِ ولكن للذي ارتضى ان يموت بالجسد عليهِ وبعد ذلك اخذت جزءًا من العود المقدَّس لابنها قسطنطين ووضعت الصليب ضمن خزانة من فضة وسلمتهُ الى القديس مكاريوس واما قسطنطين الذي كان وقتئذٍ مهتماً ببناء القسطنطينية فكانت لديهِ هدية والدتهِ كلية القبول

والاعتبار ثم بعد ذلك تشيَّدت في اورشليم كنيسة جليلة ووضعت فيها خزانة الصليب المقدَّس

وبقيت الملكة في اورشليم وفي بلاد فلسطين مدَّة من الزمن لكي تشاهد تمام بناء كنيسة القيامة العظيمة ولكن لم ينجز عملها في حيوة هذه القديسة التي وزَّعت اموالاً غزيرةً لاجل عمارات أُخر ولا سيما الكنيستين اللتين شيَّدتهما في بيت لحم وفي جبل الزيتون مكرّمةً بذلك المغارة التي ولد فيها الفادي والجبل الذي عنهُ صعد الى السماء · وقبل ان تبرح اورشليم اظهرت المرَّة الاخيرة عظيم اعتبارها وتكريمها البتولات المكرّسات حياتهن لله فصنعت لهنَّ جميعاً وليمةً حافلةً تقويةً وخدمتهنَّ بذاتها على المائدة

وعند ما رجعت الى القسطنطينية مرَّت على البثنيةوشاهدت انهُ قد بوشر بامر ابنها قسطنطين ببناء مدينة هناك لانهُ مكان مولدها ودعاها هيلانوبولي تكريماً لها ولاسمها ولكن تواضعها جعلها تلتمس من ابنها الملك ان يخصص تلك المدينة بالقديس لوكيانوس الشهيد الذي عمرت لتكريمه كنيسة جليلة هناك · وقد بلغت ثمانين سنة من عمرها صحيحة الجسم معافاة · ولما شعرت ان وفاتها قد دنت اوصت ابنها الوصايا الواجبة لكي يستسير بها كما يليق بملك مسيحي حسن الديانة وهكذا على ذراعي ابنها وبحضور بنيهِقدسلمت روحها السعيدةوذلك سنة٣٢٨والكنيسة اللاتينية تكمّل تذكار نياحها في ١٨ آب انتهى النقل عن الكنز الثمين

فانت ترى ان الفتاة الحورانية وطنيَّة ايوب الصديق التي لم تكن حاصلة على تمدُّن وتعلم وتهذب بنات رومية رأس مدن العالم اذ ذاك او

بنات دمشق مدينة الشرق اذ ذاك او مدينة اورشليم مدينة الاسرائيليين ومقرّ الديانة المسيحية اذ ذاك ابنة رئيس المنزول (وماذا تفهم برئيس المنزول اما نحن فنفهم بهِ رجلاً حسن الادب والاخلاق بين قومهِ قليل المال والجاه اقرب حالاً الى الفقراء منهُ الى الاغنياء) لم يكن لها من الاسباب التي رقت بها الى ان تكون زوجة شرعيةً لقسطنطينوس كلاروس الذي كان حينئذٍ في رتبة القيصرية (انظر النهج القويم صفحة (٥٣٣) وقد اقامت معهُ ٢٠ سنةً اي الى سنة ٢٩٢ حين طلقها مكرهاً لكي يقترن بابنة الاوغسطس مكسميانوس ونجد ان ابنها قسطنطين حالما ارتقى الى كرسي الملك ارسل فاحضرها اليهِ وشرفها بلقب ملكة واطلق يدها في خزائنهِ الملوكية ولا يخفى ما في بقائها مع قسطنطينوس عشرين سنةً وهي غريبة عن جنسهِ وهو في رتبة قيصر وهي ابنة بيت حطيط من شعب حطيط في تهذيب حطيط في عيون الرومانيين واسراع قسطنطين باستحضارها اليه واطلاق يدها في خزائنهِ من الدلالة على علو منزلتها ومزيد اعتبارها واعزازها عند زوجها القيصر وولدها الاوغسطس ونرى بعد ذلك عناياتها وسعيها واسفارها وسخاءها على الملتجئين اليها من كل امةٍ في المملكة وغيرتها في انشاء الكنائس واغنائها بالعطايا والتقادم والهدايا وخصوصاً غيرتها وعنايتها في اظهار عود الصليب الى آخر ما يلخص من ترجمتها كل ذلك مسبب وناتج عن حسن صفاتها وسمو سجاياها وكريم اخلاقها وعظيم تقواها وحميد اعمالها وشريف مآثرها ولم يذكر لها احد من رجال التاريخ ولا من رجال الادب ولا من رجال الدين عيباً سوى الدكتور بورتر اذ طعنها بالافتراء على

كنتها بتهمة الزنى

ويتلخص من ترجمتها انها في الخامسة والعشرين من عمرها ولدت قسطنطين وعاشت مع زوجها قسطنطيوس عشرين سنة واقامت مطلقة منفردة اربع عشرة سنة وعاشت مالكة مع قسطنطين وعاملة الاعمال التقوية الكبيرة والكثيرة والمجيدة احدى وعشرين او اثنتين وعشرين سنة وهي في كل يوم تزداد كمالاً ووقاراً وشرفاً وكرامة وارتفاع شأن وهي تتصور في اذهان ونفوس المسيحيين بهذه الصورة المزينة بكل هذه الصفات الباذخة واذا صح اتخاذ الثمرة دليلاً عَلَى الشجرة ففي ابنها قسطنطين دليل عليها ما هي وما هي صفاتها

اما فوستا فلا نعرف من خبر حياتها الاَّ انها كانت بنت مكسميانوس واخت مكسنتيوس وزوجة قسطنطين وانها بحسب قول الدكتور بورتر اغرتهُ حتى قتل ولدهُ البكر كرسبس وانها اتُّهمت بالزنى واخيراً قتلها قسطنطين زوجها . اما من جهة اعراقها فهي بنت مكسميانس (ف ۹ عد ۱۲) وهو كان احد قوّاد جيوش الرومانيين ورقَّاهُ ديوقلتيانوس الى رتبة اوغسطس اي رتبته عينها (ف ۹ عد ۳) وكان يحب الارتقاء والسيادة فالقى الشغب والمشاكل في امور المملكة وكان شرس الاخلاق غير مهذب الاَّ فيما يتعلق بقوانين العسكرية وقد اضطرَّ رفيقهُ (اي ديوقلتيانوس ان يردَّهُ عن سبيل الظلم احياناً (ف ۹ عد ٤) ولما مرض ديوقلتيانوس وضعفت قواهُ عن حمل عبء السياسة وعمد الى الاستقالة امر مكسميانوس ان يفعل مثلهُ اذ كان قد حلَّفهُ عَلَى ذلك حين رقَّاهُ الى الملك ففعل مكرهاً لانه

كان راغباً في مقامهِ ومجدهِ (ف ٩ عد ٩) وبعد ان استعفى مكسميانوس بحسب امر ديوقلتيانوس راسل رفيقهُ بدعوهُ الى العودة الى الملك فلم يجبه (ف ٩ عد ١٠) ولما انتخب من المشيخة ابنهُ مكسنتيوس امبراطوراً اتى هو اليهِ واتحد معهُ ثم تنازعا وهرب من ابنهِ الى صهرهِ قسطنطين فقبلهُ ثم اذ غاب قسطنطين اخذ في دسّ الفتنة واستمالة العسكر ولما علم بذلك قسطنطين وكرّ راجعاً هرب من وجههِ وبعد ذلك قتل نفسهُ (ف ٩ عد ١٢)

اما مكسنتيوس فهو ابن مكسميانوس اقامتهُ مشيخة رومية امبراطوراً واتى ابوهُ اليه ليعضدهُ ثم اختلفا وخاف الوالد على نفسهِ من ولدهِ فهرب الى صهرهِ قسطنطين كما تقدم كل ذلك ثم اخذ في ظلم الرعايا فالتجأت المشيخة الى قسطنطين ان يأتي ويعزلهُ ولما قدم قسطنطين اليهِ اراد ان يتحصن في رومية ويحارب من وراء اسوارها فعيروهُ بجبانتهِ فتحمس وبرز وكان عسكر قسطنطين ٤٠٠٠٠ مقاتل وعسكرهُ ١٨٨٠٠٠ مقاتل ولما وقعت الحرب انكسر من وجهِ قسطنطين ودخل رومية هارباً فزحمهُ الناس على جسر نهر التيبر فسقط في النهر وغرق ومات

واما ابناء فوستا فملخص ما ذكرهُ الاستاذ بورتر عنهم في كتابهِ النهج القويم ذاتهِ هو ان قسطنطيوس كان حاضراً وفاة ابيهِ وبعد دفنهِ بالاحتفال اللائق توجه الى القسطنطينية ولم يلبث ان اخذ يقتل ذوي قرباهُ فقتل عميهِ وسبعةً من اقربائهِ منهم دالماتيوس وهنباليانوس اللذان كان ابوهُ قد ولاّهما بعض ولايات المملكة ثم اقتسم هو واخواهُ قسطنطين

وقسطنس المملكة فاستولى قسطنطيوس عَلَى الاقاليم الشرقية وقسطنطين عَلَى الاقاليم الغربية وقسطنس عَلَى ايطاليا وافريقيا

ثم اضطرَّ قسطنطيوس الى محاربة ملك الفرس سابور ابن هرمز اذ قد غزا النواحي الشرقية من المملكة فتجهز قسطنطيوس لمحاربتهِ ولم يستطع الوقوف امامهُ . ثم اذ بلغهُ وقوع القلاقل والاضطراب في المملكة ترك الحرب وقفل راجعاً (ف ١١ عد ١)

وكان السبب في ذلك ان قسطنطين لم يقنع بحصتهِ فطلب من قسطنس اخيهِ ان يسلّمهُ افريقية ايضاً فابى عليهِ فاشهر عليهِ الحرب ولم يبلغ مرادهُ اذ قُتِل واستولى قسطنس عَلَى ما كان لهُ سنة ٣٤٠ ب . م وبعد ذلك خرج عليهِ رجل من خاصتهِ يسمى مغننتيوس ادَّعى الملك وقتل قسطنس واستولى عَلَى مملكتهِ وقام قائد آخر يسمى فيترانيو ينازع مغننتيوس في الملك ويحاربهُ فمالت قسطنطينا ابنة قسطنطين (الكبير من فوستا) الى الاول (اي الى قاتل اخيها) فلما علم قسطنطيوس بذلك عاد من حرب الفرس وسار الى ايطاليا وعزل فيترانيو وحارب مغننتيوس وهزمهُ فانتحر وانفرد قسطنطيوس بالملك سنة ٣٥٣ ب . م . وذلك بعد ١٦ سنة من وفاة ابيهِ

وكان هذا الامبراطور (اي قسطنطيوس ضعيف الهمة خامل العزيمة كل مدَّة ملكهِ فتراكمت عليهِ المصائب واحدقت بهِ النوازل وكان لهُ ابنا عمٍ ابقى عليهما متوقعاً ان يخلفاهُ بعد وفاتهِ فارسلهما الى اثينا لكي يتهذَّبا في مدارسها فعند رجوعه من حرب الفرس استدعى احدهما غلّس واقطعهُ

الاقطار الشرقيَّة من المملكة وابقى اخاهُ يوليانوس في اثينا ·

وكان غلُس شريراً سيّئ السيرة فاسرف في ظلم الرعيَّة وكانت امرأتهُ شقيقة الامبراطور (اي شقيقة قسطنطيوس من فوستا) اخبث منهُ نفساً واضلّ سبيلاً فكانت تحرّكهُ على المغارم وانتهاك المحارم فتظلَّم الناس منهُ الى الامبراطور فبعث اليهِ معتمداً يردعهُ فغدر بهِ غلُس وقتلهُ فجعل قسطنطيوس يتملَّق لهُ بصنوف الحيل ثم دعاهُ اليهِ للمفاوضة في مصالح الرعيَّة فلبَّى مسرعاً وفيما هو في الطريق وثب عليهِ كمين كان قد عينهُ الامبراطور وقتلهُ (ف ١١ عد ٣)

وكان يوليانوس لم يزل في اثينا منصباً على درس فلسفة القدماء فاولع بها ورفض الديانة المسيحية التي نشأ عليها ودان بالوثنيَّة الاَّ انهُ اخفى امرهُ خوفاً من الامبراطور · وفي سنة ٣٥٥ ب·م· بعد ما قُتِل غلُس استدعاهُ الامبراطور واكرمهُ واقطعهُ غاليا والنواحي الغربية ورقَّاه الى مقام القيصرية وزوَّجهُ اختهُ هيلانة · وكان يوليانوس غير راغب في الملك فاقبل عليهِ كارهاً اذ كان طلب الفسلفة احبَّ اليهِ ولما بدا امور الحرب بعيد جلوسهِ اعيتهُ معاناتها فصرخ يا افلاطون يا افلاطون ان هذا ليس بدأب فيلسوف · على انهُ كان حاذقاً مجتهداً مجيداً في جميع اموره فهزم البرابرة الذين هاجموا غاليا ودحرهم وصانها من الاعداء وطيَّب قلوب العسكر فانعقدت القلوب على محبتهِ (ف ١١ عد ٤)

وكان قسطنطيوس منهمكاً بحروبهِ في الشرق فحارب البرابرة وهزمهم وسار الى حرب سابور الذي كان قد عدا على املاكهِ وافتتح بعض حصونهِ

فلم ينجح في حربهِ ولما سمع بفتوحات يوليانوس في الغرب ومحبة الناس عامةً لهُ التظى غيظاً وحسداً واوجس منهُ سوءا فعمد الى اذلالهِ فبعث اليهِ يأمرهُ ان يوجه اليهِ نخبة جنودهِ لمحاربة الفرس ناطاع يوليانوس وامرهم بالمسير فابوا ورفضوا ولاية قسطنطيوس عليهم ونادوا بملك يوليانوس والحوا عليهِ ان يخرج على الامبراطور فلم يرض يوليانوس بذلك بدون عرض الامر على الامبراطور لعلهُ يرتضي بذلك ولما علم قسطنطيوس بذلك غضب وامر بوجوب ارسال النجدة اليهِ عاجلاً متهدداً اياهُ بالعقوبة ان لم يمتثل امرهُ حالاً فايقن يوليانوس انهُ اضمر لهُ الشر ولا مندوحة لهُ من الحرب فعزم على المسير لمقاتلته ولم يجهر بامرهِ بل اسرَّ قصدهُ وبعث جنودهُ شطرين الى الشرق وامرهم ان يجتمعوا في مدينة سرميوم في بنونيا وسار هو في نحو ثلاثة آلاف مقاتل في اطراف جرمانيا الجنوبية بين غاباتها وادغالها معتسفاً مسالكها ومجاهلها حتى لا يشعر بهِ احد ولم يزل سائراً الى ان وصل الى الدانوب في نواحي فينا فركب سفينةً وسار على النهر الى قرب سرميوم حيث اجتمع بجنودهِ

ولما بلغ قسطنطيوس ما كان من امرهِ حمي غيظهُ وسار بجيوشهِ الى مقاتلتهِ وقال اني ذاهب في طلب الصيد والقنص يعني بذلك ان يوليانوس سيقع في يدهِ لامحالة · وكان يوليانوس يومئذٍ في انطاكية شاتياً فمرض قسطنطيوس في اثناء الطريق ومات قرب طرسوس سنة ٣٦١ ب · م ·

(ف ١١ عد ٥)

وتبوأ يوليانوس سرير المملكة واطاعتهُ الرعية واحتفلت لهُ احتفالاً

فاخراً عند دخوله القسطنطينية وكان حاذقاً عادلاً خبيراً في امور السياسة غير انهُ وثنيٌّ كما تقدَّم (ف ١١ عد ٦)

وبعد ان اوردنا لحضرة الدكتور بورتر ملخص خبر حياة كل من هيلانة وفوستا صفاتها الشخصيَّة واخلاقهما واعراقها واعمالها واثمارها ففي ايهما ترى يظنُّ الشرَّ والسوء وقبح المقاصد والافعال

ولو تنزلنا عن كل ما لنا من الدفع مما ذكرناهُ ومما لم نذكرهُ اقتصاراً وسلمنا للدكتور مجاراةً لهُ ما تطوَّح بهِ في حق القديسة هيلانة اتراهُ يحسب ذلك اكبر مما وقع من سارة زوجة ابراهيم (انظر تك ٢١ : ٩ — ١٣) ومما وقع من رفقة زوجة اسحاق (تك ٢٧ : ١ — ٤٠) ومما وقع من ليئة وراحيل زوجتي يعقوب (تك ٣٠ : ١ — ٢٤) وهذا قليل من كثير مما يمكننا ايرادهُ من هذا القبيل فهل اضرَّ ذلك بصلاحهنَّ ومنع من ان يُعْدَدنَ من قديسات شعب الله فليتامل

(١١) الفقرة الحادية عشرة وهي الاخيرة مما اردنا ذكرهُ من مطاعن الدكتور بورتر في قسطنطين وأُمّهِ وهي قولهُ · فكفانا دليلاً على انَّ قسطنطين كان قاسياً صارماً حتى على آلهِ وعترتهِ :

فنقول مهما استبعد القرَّاء واستهجنوا واستنكروا ان يكون هذا الطعن الشديد الفظيع الاليم في قسطنطين صادراً من استاذ التاريخ في المدرسة الكلية (الانجيليَّة) الاميركانية في بيروت الدكتور بورتر فهو كلامهُ صدر منهُ وكتب بقلمهِ وطبع ونشر بعلمهِ وعملهِ واهتمامهِ ومن بقي في نفسهِ ريب بعد هذا التأكيد فليراجعهُ في السفل اي في آخر سطر من صفحة

٥٣٩ من كتاب النهج القويم طبعة بيروت سنة ١٨٨٤ ب٠م٠

عَلَى انَّا نجد وجهاً يدفع الدكتور الى هذا التهوُّر وهو المبدأُ البروتستاني الذي من دأب اهليهِ سواء كان مما يقبل عقلاً او لا يقبل وسواء كان مما يثبت نقلاً او لا يثبت وسواء كان مما يليق ادباً نشره ُ او لا يليق وسواء كان مما يؤثر في المطالعين تأثيراً حسناً او قبيحاً كفرض متعين ومتحتم عَلَى كلّ واحد منهم الطعن والتقبيح والثلب في القديسين والقديسات الذين تمدحهم الكنيسة وتكرمهم وخصوصاً الذين تحتفل بتذكاراتهم بحيث تشخصهم امثلةً للمسيحيين في التقوى ومعلمين لهم في الفضائل٠ ولكنَّا لا نجد وجهاً نوفق بهِ بين مناقضات الدكتور بورتر نفسهُ بنفسهِ في مدائحهِ العديدة والعظيمة والبالغة الغايات قسطنطين وذمهِ هذا الفظيع الشنيع الوجيع وهو لم يزل عاقلاً صحيح الجسد سليم القوى وهذا ايراد بعض ذلك

(١) قولهُ ٠ واشتهر (اي قسطنطين) وترقَّى لشدَّة بأسهِ وشرف نفسهِ وفضلهِ (ف ٩ عد ١١) : فانظر هذا الثناء الصريح الجامع البالغ

(٢) قولهُ ٠ اما مكسنتيوس فظلم اهل افريقية وايطاليا فاستعانوا بقسطنطين وبعثت المشيخة وفداً يتوسل اليهِ ان يأتي ويعزل الظالم (ف ٩ عد ١٣) وفيهِ نصٌ صريح يقوم مقام شهادات عديدة وعظيمة وشريفة بقدر عدة مشيخة رومية وعظمتهم وشرفهم بان قسطنطين كان معتبراً منهم رجلاً شهماً وشجاعاً وقائداً باسلاً ومظفراً وملكاً مقتدراً وحكيماً وحاكماً محباً وملجأً للعدل وبغيضاً ومزيلاً للظلم

(٣) قولهُ ٠ فاصبح قسطنطين عظيم رومية وقيِّمها واهلك من كان

ينتمي الى مكسنتيوس لكنهُ لم يؤذِ غيرهم فرحبت به المشيخة واكرمته (ف ٩ عد ١٣) ولا يخفى ما في هذا من الاعتدال في السياسة وكراهية سفك الدماء

(٤) قولهُ . اما قسطنطين فضبط السياسة وذبَّ عن ثغور المملكة وحمى حوزتها وتمكَّن من سلطنتهِ العظيمة (ف ٩ عد ١٤) ولا نعلم ما الذي يقال في مدح الملوك اعظم من هذا

(٥) قولهُ ثم عمد الى محاربة ليسنيوس لما رأى من سوء سيرتهِ وعزم على عزلهِ (ف ٩ عد ١٤) وفيهِ ايضاً دلالة صريحة واكيدة على كراهة قسطنطين سوء السيرة ومن يتخلق بها ايضاً

(٦) قولهُ وكان جيش ليسنيوس ١٦٥٠٠٠ مقاتل وسفنهُ ٣٥٠ اما جيش قسطنطين فكان نحو ١٢٠٠٠٠ مقاتل وسفنهُ ٢٠٠ غير ان نظام جيشهِ الذي كان قد هذَّبهُ في حروب البرابرة كان بغاية الاتقان فيما كان ليسنيوس متقاعداً عن الحرب عاكفاً على اللهو والقصف فلما وقع القتال انهزم من وجه قسطنطين الذي ابدى من البسالة ما حير النواظر وادهش العقول .... فنسب الناس الغلَبة الى شجاعتهِ وبأسهِ (ف ٩ عد ١٤) او ترى بماذا يمدح الملوك والقواد بافضل من هذا

(٧) قولهُ . وبالتالي اسلم (اي ليسنيوس) امرهُ الى خصمهِ (اي الى قسطنطين) فعفَّ عنهُ واستحياهُ (ف ٩ عد ١٤) وفي هذا برهان ساطع قاطع على حلم قسطنطين و كرم اخلاقهِ وشرف نفسهِ ووثيق ذمامهِ ومجانبتهِ اهراق الدماء . وهو بعد ذلك يصمهُ بالطيش والتسرُّع والظلم وعدم

التورُّع والشرارة والازدهاء والتمادي في سفك دماء الاقرباء الانقياء الانقياء الامناء من اهل بيتهِ اعني ابنهُ البكر كرسبس وامرأتهُ فوستا

(٨) قولهُ ومن اهم اعمال قسطنطين بناء القسطنطينية ... وقد دلَّ بذلك عَلَى حسن درايتهِ وبصيرتهِ (ف ٩ عد ١٥) وليراجع في محله ففي مراجعتهِ مزيد فائدة . وخصوصاً في سمو مدارك قسطنطين وحصافة عقله وثقوب رأيه . وبعد ذلك يتكلم الدكتور في حقهِ كما في حق جاهلٍ طيّاشٍ غاشمٍ

(٩) قولهُ ورتب قسطنطين سياسة المملكة الى آخره (ف ٩ عد ١٦) وفيه ما يدلُّ عَلَى ان قسطنطين من اعاظم الملوك الذين اجتمعت فيهم الحكمة والسياسة والشجاعة والمعرفة وسعة المدارك وبعد النظر وحصافة العقل ورصانة الرأي وشدة العزيمة وعلو الهمة وجرأة الاقدام عَلَى عظائم الامور واتمام المشاريع عَلَى الكمال والاتقان وبالتالي وضع القوانين الملكيَّة

(١٠) قولهُ اما قسطنطين فزاد عَلَى كلّ من تقدمهُ في حماية المسيحيين ولما قويت شوكتهُ في ايطاليا كتب منشوراً اطلق به الحرية الدينيَّة لجميع رعاياهُ عَلَى اختلاف قبائلهم والسنتهم بدون استثناء وهو المعروف بمنشور ميلان وكان هذا امراً عجيباً وحادثاً غريباً لم يسبق لهُ مثيل في القرون الغابرة الى آخر ما قال في هذا الشأن (ف ١٠ عد ١٤)

(١١) وقولهُ ولما انفرد قسطنطين بالملك بعد هزيمة ليسنيوس جعل الدين المسيحي ديانة المملكة لانهُ لما تغلب عَلَى خصمهِ الوثني نسب ذلك الى مساعدة الله الهِ المسيحيين لهُ فانماهُ دون غيرهِ واشعاراً بذلك اصدر

منشوراً يذكر فيهِ ما اتاهُ الله علَى يدهِ من الفوز والغلبة ويدعو الناس جميعاً للخضوع لهُ تعالى والتدين بالدين المسيحي الذي جعلهُ ديانة المملكة غير انهُ لم يكره احداً عليها (ف ١٠ عد ١٥)

وفق ايها المطالع اللبيب ان استطعت بين قولهِ هذا وقولهِ الآتي في نفس هذا العدد ان قسطنطين كان فاسد المعتقد وانهُ بقي متردداً بين الديانة الوثنية والديانة المسيحية الى اواخر حياته

(١٢) وقولهِ · هذا ما افضت اليهِ سياسة قسطنطين بجعلهِ الديانة المسيحية ديانة الوُلاة والحكام وبالحقيقة ان المنافع التي استأثرت بها المملكة في ايامهِ تستحق الالتفات لانهُ كان مشهوراً بكمال الشفقة منفرداً بالاوصاف الحميدة لا يغفل عن صوالح الحكومة واستجلاب رضى الامة وبالاجمال كان من الافراد الذين نالوا المقام الاول في تاريخ الرومانيين وحصلوا علَى الاعتبار لدى كل من طالع اخبارهم (ف ١٠ عد ١٥)

نقول هذا الذي يقول الدكتور بورتر انهُ كان مشهوراً بكمال الشفقة ومنفرداً بالصفات الحميدة ولا يغفل عن مصالح الحكومة اي المملكة هو هو نفسهُ قسطنطين الذي يقول في حقهِ · فكفانا ذلك دليلاً علَى ان قسطنطين كان قاسياً صارماً حتى علَى آلهِ وعترتهِ : فقف وتروَّ وتأمل ·

ولو سلمنا للدكتور بورتر تنزلاً ومجاراةً ما قالهُ في حق قسطنطين ووالدة قسطنطين وبيت قسطنطين اتراه بحسب ما وقع في بيت قسطنطين اكبر مما وقع في بيت ابراهيم (انظر تك ٢١ : ٩—١٦ و ٢٥ : ١—٦) واكبر مما وقع في بيت اسحاق (انظر تك ٢٧ : ١ — ٤١ و ٤٦) واكبر مما

وقع في بيت يعقوب (انظر تك ٣٠:١ — ٢٤و ٣١:٣ — ٣٥) .واكبر مما وقع في بيت داوود (انظر ٢ مل وفي الترجمة الاميركانية ٢ صم ص ١٣— ص ١٨ : ١٧) وهل ثلم او خدش كل ذلك شيئاً من شرف وصلاح وقداسة اولئك الآباء العظام او منع من ان يُعَدُّوا من رجال الله وقديسي شعب الله

وربَّ جاهلٍ او متجاهلٍ يقول ان الكتاب المقدَّس نفسهُ كما يذكر حسنات اولئك الرجال العظام يذكر سيئّاتهم ايضاً والدكتور بورتر قد جرى عَلَى نهجهِ فلا وجهَ للومهِ في ذلك

فنقول لهُ من باب التسليم لا من باب التنظير ان هذا التمحُّل انما هو مغالطة حاصلها قياس مع الفارق وان بين نهج الكتاب وصنيع الدكتور بورتر فرقاً ناصعاً وبوناً شاسعاً فان الكتاب يذكر تلك الحوادث ذكراً بسيطاً مشيراً او ملمعاً الى الضعف البشري ليكون عبراً للطالعين وتعليماً وتحذيراً لهم من الوقوع في مثلهِ ولا يجمع اخبار تلك السيئات صُبْرةً ولا يوردها بلهجة العدوان والتقبيح ولا يعقبها بالذم والقدح والدكتور بورتر يجرى عَلَى خلافهِ في كل ذلك

فالكتاب في خبر حياة ابراهيم ابي الآباء يذكر ما وقع منهُ في (تك ١٢:١١—٢٠و ٢٠:١—١٤) وفي خبر حياة اسحاق يذكر ما وقع منهُ في (تك ٢٦:٧—١١) وفي خبر حياة يعقوب يذكر ما وقع منهُ في (تك ٣٠: ٣٧—٤٣) وهذا قليل من كثير اكتفينا بالاشارة اليهِ ولم يقل في حقّ احدٍ منهم كلمة طعنٍ واما الدكتور فقد صدَّر ما عمد الى نفثهِ في حقّ

قسطنطين بقولهِ · امَّا اوصافهُ (يريد صفاتهِ) الادبية فمنها ما يمدح ومنها ما يذمُّ وجعل كل ما تيسر لهُ من المطاعن والمعايب والمذام فيهِ صُبرَةً واحدةً وانهى كلامهُ فيه بقولهِ : فكفانا ذلك دليلاً على ان قسطنطين كان قاسياً صارماً حتى على آلهِ وعترتهِ : فاقول بان صنيع الدكتور بورتر موافقاً نهج الكتاب المقدَّس دعوى باطلة ساقطة مدحوضة عقلاً وعلماً وادباً

وهذه ترجمة القديسين العظيمين في القديسين والملوك
قسطنطين وهيلانة

نقلاً عن كتاب السواعي الكبير المطبوع بمطبعة القبر المقدَّس البطريركية
المختصة بدير الروم العامر سنة ١٨٨٦
قال في تذكارات ٢١ ايار

القديسين العظيمين في الملوك قسطنطين وهيلانة المعادلَي الرسل ·

ان قسطنطين الكبير السعيد الذكر الذي كان اول ملكٍ للمسيحيين كان ابن قسطنطينوس خلوروس ملك الجهات الغربية من المملكة الرومانية مولوداً لهُ من امرأَتهِ هيلانة المغبوطة وكانت ولادتهُ سنة ٢٧٢ في مدينة نيسةً في دردانية وهي مدينة كانت في ما قبل على بوغاز القسطنطينيةَ المدعوَّ هلِّيسبنطس وفي سنة ٣٠٦ توفي ابوهُ فبويع هو بالملك ثمَّ في سنة ٣١٢ بلغهُ ان مكسنتيوس ومكسيمنس الملكين اتحدا ضدَّهُ فجهز على ايطالية وفيما هو ماضٍ يقود الجنود التي كانت معهُ رأى في السماء بعد الظهر عموداً تحت الشمس مضيئاً على رسم الصليب مكتوباً عليهِ هذه العبارة " بهذا تغلب " وفي الليلة التالية ظهر يسوع المسيح لهُ في الحلم واوصاهُ ان يستعمل ذلك

الرسم واضعاً اياهُ عَلَى الالوية والرايات فلما استيقظ صباحاً امر في الحال بصنيعهِ وسماهُ (لابرون) وهي لفظة لاتينية مشتقة من لفظة لا فِرون اليونانية التي معناها الغنيمة فيكون المراد ان الرايات بذلك الرسم هي رايات التغلب عَلَى العدو واغتنامهِ وكان مكتوباً عَلَى كلٍ منها اسم يسوع المسيح مقتصراً فيهِ عَلَى اوائل حروف الاسمين المذكورين هكذا ي م ثم في ٢٨ من شهر تشرين الاول التقى بمكسنتيوس واستظهر عليهِ ممزقاً شملهُ وطردهُ فوقع في نهر تيبر واختنق واما قسطنطين فدخل في غد ذلك اليوم الى رومية بموكب عظيم غالباً ظافراً فبايعتهُ المشيخة بمُلك الغرب وقد كان اذ ذاك ملكاً عَلَى الشرق ليكينيوس ثم اذ رأى قسطنطين ان ليكينيوس ايضاً اخذ يغايرهُ وينتقم من المسيحيين نقم عليهِ ذلك فجهز عليهِ وواقعهُ مرتين حتى نال الغلبة عليهِ سنة ٣٢٣ وحينئذٍ انفرد بالملك عَلَى الغرب والشرق وانكفت الاضطهادات في ايامهِ عن الكنيسة فنمى الدين المسيحي واضمحلت عبادة الاصنام ثم في سنة ٣٢٥ عقد المجمع الاول المسكوني في نيقية واكرمهُ بحضورهِ فيهِ وفي ٢٩ من شهر تشرين الثاني سنة ٣٢٨ وضع اساسات مدينة القسطنطينية التي سُميت بذلك نسبةً اليهِ ونقل اليها كرسيّ المُلك من رومية فلقبت برومية الجديدة ثم اذ كان حالاً في نيقوميدية اصابهُ مرض فطلب ان يعتمد فاعتمد فيها كما يخبرنا افسابيوس (في الكتاب ٤ الرأس ٦١ و ٦٢ من ترجمة قسطنطين وسقراطوسزومنس ونال التمتع بباقي الاسرار المقدسة ويوم العنصرة في ٢١ او ٢٢ من شهر ايار سنة ٣٣٧ توفي وله من العمر ٦٥ سنة ملك منها ٣١ سنة اما جسدهُ فنقل الى القسطنطينية

ووضع في كنيسة الرسل القديسين التي كان قد بناها وروى آخرون انهُ أعتمد في رومية سنة ٣٢٤ من القديس سلبسترس · انتهت ترجمته

وهذا نصّ الطروبارية اي المدحة التي ترتلها الكنيسة في يوم عيد قسطنطين وهيلانة

ان قسطنطين الذي هو رسولك يارب في الملوك شاهد رسم صليبك في السماء عياناً ومثل بولس اقتبل الدعوة ليس من البشر ولانهُ اودع بيدك المدينة المتملكة فانقذها ونجها بالسلامة كل حين بوسائل والدة الاله يامحب البشر وحدك

وهذا ايضاً نص المدحة التي ترتلها في مديح قسطنطين وامهِ

اليوم قسطنطين مع هيلانة أمهِ اظهرا لنا عود الصليب الكلي الوقار · الذي هو آلة خزي لليهود وسلاح للملوك المؤمنين · فلنمدحهما اذاً باستحقاق واجب لان بهما ظهرت العلامة العظيمة الرهيبة التي قبل الدهور

فلينظر البروتستان وخاصةً ايمتهم والمؤلفون منهم ويتعلموا من الكنيسة الارثوذكسيةً ايراد الاخبار بامانةٍ وصدق واعتدالٍ ولا ينقادوا بعد بهوى انفسهم الى ما لا يصح ولا يحسن ولا يليق

وهنا لا يستبعد بل لا يبعد ان يندفع البروتستاني ويقول انك قدقلت ان الكنيسة الارثوذكسية تقيم تذكاراً لقسطنطين وهيلانـة وهذا ليس مذكوراً في الكتاب المقدّس فهو بدعة مفسدة للعبادة والدين معاً واما نحن البروتستان فلا اعياد ولا تذكارات عندنا فنحن المسيحيون الانجيليون حقاً فنقول لمثل هذا عَلَى طريق التعليم والتقويم لا عَلَى طريق اعتبار

الخطاب واعطاء الجواب ان المخلوقات الحيَّة التي تعيش على الارض وليس عندها اعياد ولا تذكارات ولا احتفالات انما هي طبقات دون طبقة الانسان واما الناس ففي كل دين وفي كل رتبة وفي كل صقع تحت السماء عندهم اعياد وتذكارات واحتفالات وكم كان من ذلك عند اليهود وهي منها ما هو بامرهِ تعالى ومنها ما هو باستحسانهم وكلها قد قبلها الله وتمجَّد بها عَلَى ان صنع التذكارات للانبياء والقديسين والشهداء وامثالهم مما امر بهِ السيّد امراً موكداً وهو يسرُّهُ ويمجدهُ

وكيف يتفق تعليم البروتسان بل تيههم في هذا الشان مع قول الانجيل وفيما هو (اي السيّد لهُ المجد) في بيت عنيا في بيت سمعان الابرص وهو متكئ جاءَت امرأَةٌ معها قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن فكسرت القارورة وسكبتهُ على رأْسهِ وكان قوم مغتاظين في انفسهم فقالوا لماذا كان تلفُ الطيب هذا لانهُ كان يمكن ان يباع باكثر من ثلاث مئة دينار ويعطى للفقراء وكانوا يؤنبونها اما يسوع فقال اتركوها لماذا تزعجونها قد عملت بي عملاً حسناً لان الفقراء معكم في كل حين ومتى اردتم تقدرون ان تعملوا بهم خيراً واما انا فلست معكم في كل حين عملت ما عندها قد سبقت ودهنت بالطيب جسدي للتكفين · الحق اقول لكم حيثما يكرز بهذا الانجيل في كل العالم يخبر ايضاً بما فعلتهُ هذه تذكاراً لها (مر ١٤ : ٣ — ٩)

فاذا كان لاجل دهن امرأَة رأْسهُ (لهُ المجد) بطيب قد قرن خبر فعلها بخبر بشرى الخلاص وقال حيثما يكرز بالانجيل في كل العالم يخبر ايضاً بما فعلتهُ تلك المرأَة تذكاراً لها فما يرى العاقل ان السيد (لهُ المجد) يقول في

حقّ الذين يكرّسون انفسهم واجسادهم وحياتهم لعبادتهِ وتسبيحهِ وتمجيده وللبناء في كنيستهِ وفي حق الذين يحتملون الاضطهادات والتعذيبات المختلفة واخيراً يقبلون الموت راضين فرحين حباً بهِ وباولى من ذلك في مثل قسطنطين وأُمّهِ هيلانـة وقد تقدم ذكر تقواهما واعمالهما العديدة والمجيدة والعظيمة والشريفة وعَلَى الاخص كف قسطنطين الاضطهاد عن المسيحيين واعزازهِ لهم وجعلهِ الديانة المسيحية ديانة المملكة وافرازهِ الكميات الوافرة من خزائنهِ لبناء الكنائس وسفر امّهِ عَلَى كبر سنّها من القسطنطينيّة الى اورشليم وعطاياها الكثيرة والعظيمة لفقراء المسيحيين وبنائها الكنائس العظيمة واغنائها بالعطايا والتقادم وعنايتها الفائقة بالكشف عن عود الصليب الكريم . وليس هذا فقط بل هو من فمهِ العزيز قال . من سقى احد هولاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ لا يضيع اجرهُ (مت ١٠ : ٤٢) وما قيمة كأس الماء أفتراهُ لاجل انحراف فهم البروتستاني ينكث بوعدهِ ويضيع ثواب العبّاد والشهداء والذين كرسوا لهُ نفوسهم واجسادهم وقواهم واموالهم مثل قسطنطين وامهِ هيلانة

ومما هو معلوم ومتكرّر الوقوع والمشاهدة انـهُ متى كشفت جهالة البروتستاني في اعتراضاتهِ وتهورهِ في مزاعمهِ يلتحف حالاً بالتظاهر بالغيرة عَلَى مجد المسيح فيقول ان كل اكرام واحترام ومديح وشكر وثناء وكل تمجيد يجب ان يكون للمسيح لانهُ هو الذي تجسّد وخلّصنا واما الاتقياء والشهداء والقديسون وامثالهم فانما هم يخلصون بالمسيح فلا يستحقون الذكر معهُ فضلاً عن اقامة الاعياد لهم والاحتفالات بتذكاراتهم والاشادة بالمدائح

لهم وهذا التمويهُ البروتستاني مخالف ومضادٌ ومناقض لتعاليم السيد المسيح من وجوهٍ نذكر منها ما يأتي

(١) ان السيد نفسهُ لهُ المجد يمدحهم ويعظمهم بما لا نقدر نحن ولا غيرنا من البشر ان نأتي بمثلهِ ولا بما يقرب منهُ ومن ذلك

اولاً قولهُ لهم انتم ملح الارض ... انتم نور العالم (مت ٥ : ١٣ و ١٤) ثانياً قولهُ حينئذٍ يضيء الابرار كالشمس في ملكوت ابيهم (مت ١٣ : ٤٣)

ثالثاً قولهُ الحقَّ اقول لكم انكم انتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الانسان على كرسي مجدهِ تجلسون انتم ايضاً على اثني عشر كرسياً تدينون اسباط اسرائيل الاثني عشر (مت ١٩ : ٢٨)

(٢) ان هذا التمويهَ الجهليّ يؤُول الى اقبح الذمّ والقدح والطعن بسفالة الطباع والآداب والاخلاق مما يتنزَّهُ عنهُ الاجلاء من الناس فضلاً عما يتعالى ويتسامى ويتنزَّهُ عنهُ السيد المسيح جلَّ اسمهُ مما لم يتجاسر الوثنيون ولا اليهود صالبوهُ انفسهم ان ينسبوا اليهِ شيئاً منهُ

فماذا ترى يرى عقلاء العالم وادباؤُهم وفضلاؤُهم في من يسوؤُه ويغيظهُ ويغضبهُ حبٌّ واكرام ومدح خاصتهِ كوالدتهِ وتلاميذهِ وشهدائهِ ومكرّمي نفوسهم واجسادهم لهُ وصار في اعمارهم واعمالهم وباذلي قناطير الذهب والفضة ومعملي الانظار والافكار ومتجشمي الاتعاب والاسفار فيما يرفع شأن ديانتهِ ويزيد ويعظّم ويعمّ مجدهُ ايرون فيهِ ما يرى البروتستان او ينزّهونهُ عن ذلك كلَّ التنزيهِ اوليس انهُ لو قبل ذلك في ايّ انسان كان من

ادنى طبقات الناس وممَّن يعاب ويذم ويشان بامور كثيرة لكان اكبر معايبهِ ومذامهِ ومشابنهِ

ولا نعلم كيف يوفق البروتستاني زعمهُ هذا مع قول السيّد لهُ المجد لست اسأل من اجل العالم بل من اجل الذين اعطيتني لانهم لك وكل ما هو لي فهو لك وما هو لك فهو لي . وانا ممجَّدٌ فيهم ... كما ارسلتني الى العالم ارسلتهم انا الى العالم ... ولست اسأل من اجل هولاء فقط بل ايضاً من جل الذين يومنون بي بكلامهم ... وانا قد اعطيتهم المجد الذي اعطيتني انا فيهم وانت فيَّ ... وليعلم العالم انك ارسلتني واحببتهم كما احببتني (يو ١٧ : ٩ — ٢٣)

اترى يشعر البروتستاني من هذه الاقوال الناصعة الساطعة القاطعة ان تعليمهُ مع تعليم السيد المسيح علَى طرفي نقيض وان ما يزعمهُ من الغيرة علَى مجد المسيح انما هو الغيرة التي بدون معرفة

ثالثاً ان كان السيد المسيح يستاء من حب واكرام ومدح خاصتهِ فهو يُسَرُّ من كراماتهم واهانتهم وذمهم ولكن السيد المسيح يعلّم ان كل فعل حسناً كان او قبيحاً مفعول مع خاصتهِ واصل اليهِ نفسهِ ومفعول معهُ بقولهِ من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي ارسلني (مت ١٠ : ٤٠)

وقولهِ الذي يسمع منكم يسمع مني والذي يرذلكم يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي ارسلني (لو ١٠ : ١٦) ولا يصح في العقل ولا ورد في النقل ان احداً من الناس مهما كان حقيراً ووضيعاً وخاملاً فضلاً عن ان يكون ابن الله وابن داوود وابراهيم يرضي لنفسهِ بالكراهة والاهانة والذم ويُسَرُّ بذلك

ولسنا ندري كيف يوفق البروتستاني بين هذه الاقوال الجلية ومزاعمهِ الجهلية

واخيراً نقول للبروتستاني ان اعمال قسطنطين وامهِ في الكنيسة المسيحية ان لم تزد على اعمال مردخاي واستير في الكنيسة اليهودية فلا تقلّ عنها وقد حفظ اليهود تذكار مردخاي واستير بعيد احتفالي وقرّر في الكتاب حيث يقول . وكتب مردخاي هذه الامور وارسل رسائل الى جميع اليهود الذين في كلّ بلدان الملك احشويروش القريبين والبعيدين ليوجب عليهم ان يعيدوا في اليوم الرابع عشر من شهر اذار واليوم الخامس عشر منهُ في كل سنة . . . فقبل اليهود ما كتبهُ مردخاي اليهم (اس ٩ : ٢٠ — ٢٣) وقد قبل ذلك بعد الرجوع من السبي روءساء كهنة اليهود وعلماؤهم ولا يزالون يعيدونهُ الى اليوم افلا يليق ولا يحسن ولا يجوز ان يحفظ في الكنيسة المسيحية تذكار قسطنطين وامهِ هيلانة بعيد احتفالي مع كون السيّد لهُ المجد قد اوجب حفظ تذكار صاحبة قارورة الطيب

واذ قد بلغنا هذه الغاية من التمحيص والتلخيص والتحقيق والتدقيق في الامور المتقدمة على تعدادها واختلاف جهاتها وجاءت نتائجها كلها داحضة وداحرة المزاعم البروتستانية فكأني ببروتستانيّ متعمق في البدعة متحرّق في السمعة متخلّق بالسرعة قد انتصب ماثلاً واندفع قائلاً

ان غاية ما يتحصل من كلامك الطويل في هذا الشأن انما هو الدفاع عن قسطنطين وأمهِ هيلانة بنفي ما قالهُ الدكتور بورتر في حقهما ومدحكهما بتسميتهما قديسين ومعادلي الرسل واخصّ الاسباب في ذلك ان قسطنطين

رأى الصليب في الجوّ لامعاً وأُمهُ اكتشفت خشبة الصليب الذي صلب عليه مخلصنا يسوع المسيح والامر كلهُ قليل الاهمية عندنا نحن البروتستان لاننا انما نؤمن بيسوع المسيح انهُ مخلصنا وهذا كل ما يلزم الانسان للخلاص واما انَّ قسطنطين رأى الصليب لامعاً في الجوّ او لم يرهُ وانَّ أُمهُ هيلانة عُنيت وفتَّشت وجهدَت في اكتشاف خشبة الصليب فنحن الانجيليين الكلوينيين لا قيمة ولا اعتبار عندنا لهيئة الصليب ولا لمادَّة الصليب فنعتقد ان هيئة الصليب ليست سوى صورة الاداة التي كان يُسمَّر عليها المجرم ويُعلَّق حتى يموت فلا مزيَّة لها في شيءٍ عن غيرها من صور تقاطع الخطوط ولا لمادَّة الصليب سواءٌ كانت من خشَبٍ او ذهَبٍ او ايّ مادَّةٍ أُخرى كانت ولذلك لا ترى في معابدنا ولا في مدارسنا ولا في بيوتنا رسماً للصليب اصلاً ولا ترانا نرتسم بالصليب كغيرنا في ابتداء الاعمال وفي نهايتها بل نقول انهُ ان كان قسطنطين قد رأى الصليب في الجوّ فان أُلوفاً من الناس قد رأوا الصليب ويسوع المسيح معلقاً عليهِ ولم يفدهم ذلك شيئاً وان كانت أُمهُ قد وجدت خشبة الصليب فلا فرق عندنا بين تلك الخشبة وسائر الخشب والحطَب الذي يطبخ عليهِ الطبَّاخون ويغسل عليهِ الغسَّالون ودليلنا عَلَى صوابية ما نعتقدهُ هو ان السوس ينخرها والنار تحرقها والفأس تكسرها كسائر الخشب وما سوى اعتقادنا الأَ وهمٌ ووسواسُ وتقاليدُ وضعها الناس وحملها اناس عن اناس

ونحن نقول ان هذا الشَطَط البروتستاني يشتمل كما لا يخفى على الامور الآتية وهي

الاول ادّعاء البروتستان ان الخلاص انما هو بالايمان فقط دون ان يكون للاعمال أثرٌ في امر الخلاص اصلاً وهو خطاء لا ينطبق علَى تعليم السيد يسوع المسيح ولا علَى تعليم الرُسُل ولا علَى نصوص الكتاب المقدَّس وبالتالي هو ايمان مخالف للايمان الحقّ فلا يوصل الى الخلاص

الثاني القاء الريب علَى رؤية قسطنطين الصليب وعلَى ان ليس لعناية هيلانة وتفتيشها وجهدها في ايجاد خشبة الصليب قيمة ولا اعتبار

الثالث مساواة قسطنطين في رؤيته الصليب في الجوّ لامعاً بألوف اليهود الذين رأوا الصليب ويسوع المسيح معلَّقٌ عليهِ يوم صلبه علَى الجلجلة

الرابع مساواة خشبة الصليب بغيرها من الخَشَب والحَطَب

الخامس الاستدلال علَى صوابية الاعتقاد البروتستاني وبالاولى الجحود البروتستاني بان خشبة الصليب تقوم فيها الاعراض التي تقوم في غيرها من الخَشَب والحَطَب

السادس الادّعاء بان ما يخالف التعاليم البروتسانية انما هو اوهام ووساوس

السابع ان التعاليم الدينية التى تحفظ عند المسيحيين بالتقاليد انما هي من وضع الناس والتداول من اناس الى اناس

وقد افردنا لكلٍّ من هذه التطوّحات البروتستانية نبذة خاصَّة مختصرة باوجز ما يمكن بهِ بيان كونهِ جهالة بروتستانية وانما اختصرنا واوجزنا في هذه النبذ لان ذكرها هنا ليس الأ الماعاً ولا محل ولا مناسبة في المقام لبسط الكلام فيها

النبذة الاولى

في ادّعاء البروتستان ان الخلاص انما هو بالايمان فقط دون الاعمال

نقول فيهِ انهُ خطاء وجهل وضلالة وانه لا يوصل الى الخلاص واما الايمان الذي يوصل الى الخلاص فانما هو الايمان المبنيُّ على تعاليم السيد يسوع المسيح ورسلهِ وبالتالي عَلَى نصوص الكتاب المقدَّس

اما سبب الضلال في ايمان البروتستان فهو بترهم آيات الكتاب واقتصارهم عَلَى مفهوم المبتور واخصُّ ما يبنون عليهِ اعتقادهم هذا قول الرسول (كما آمن ابراهيم بالله فحُسِبَ لهُ براً غل ٣ : ٦) وقول السيد لنازفة الدم يا ابنة ايمانكِ قد شفاكِ (مر ٥ : ٢٢ — ٣٤)

اما نحن فنبني اعتقادنا عَلَى قول السيد لهُ المجد (١) فان ابن الانسان سوف يأتي في مجد ابيهِ مع ملائكتهِ وحينئذٍ يجازي كل واحدٍ حسبَ عملهِ (مت ١٦ : ٢٧) وفي الترجمة اليسوعية بحسب اعمالهِ وكأنَّ البروتستاني وضع المفرد موضع الجمع تقليلاً للفظ لتحقير المعنى (٢) قولهُ ايضاً ها انا آتٍ سريعاً واجرتي معي لأجازي كلَّ واحد كما يكون عملهُ (رؤ ٢٢ : ١٢) وفي الترجمة اليسوعية وجزائي معي لأُكافي كلَّ واحدٍ عَلَى حَسَبَ اعمالهِ . وكأنَّ البروتستاني وضع الاجرة موضع الجزاء ووضع العمل اي المفرد موضع الجمع اي الاعمال تصغيراً وتحقيراً وتغطيةً للمعنى بقدر ما يمكن املهُ يغفل عنـهُ المطالعون . وانظر ايضاً بتروٍّ تام (مت ٢٥ : ٣١ — ٤٦) حيث يبني السيد المسيح الخلاص والهلاك على الاعمال

ونبرهن عَلَى ان اعتقاد البروتستان مبنيٌّ عَلَى آيةٍ مبتورةٍ بقول اخي الرب . يا اخوتي ان قال احد ان لهُ ايماناً ولكن ليس لهُ اعمال هل يقدر الايمان ان يخلصهُ ... هكذا الايمان ايضاً ان لم يكن لهُ اعمال ميتٌ في ذاته لكن يقول قائل انت لك ايمانٌ وانا لي اعمالٌ أرني ايمانك بدون اعمالك وانا اريك باعمالي ايماني . انت تؤمن ان الله واحد حسناً تفعل والشياطين يؤمنون ويقشعرون ولكن هل تريد ان تعلم ايها الانسان الباطل ان الايمان بدون الاعمال ميتٌ ألم يتبرَّر ابراهيم ابونا بالاعمال اذ قدم اسحاق ابنهُ عَلَى المذبح فترى ان الايمان عمل مع اعمالهِ وبالاعمال أُكمِلَ الايمان وتمَّ الكتاب القائل فآمن ابراهيم بالله فحُسِبَ لهُ برًّا ودُعي خليل الله ترون اذَنْ انهُ بالاعمال يتبرَّر الانسان لا بالايمان وحدَهُ (يع ٢ : ١٤ — ٢٤)

فقد ظهر كل الظهور ان اعتقاد البروتستان مبنيٌّ عَلَى اية مبتورة ولا يظن ان البروتستان يدَّعون انهم اعرف من يعقوب الرسول بالكتاب وبتحرير العقائد والتعاليم في كلام يعقوب هذا بان الخلاص بالايمان والاعمال غنيٌّ عن الاحتياج الى توضيح ولكن فيهِ معنيان آخران ربما احتاجا عند بعض الناس الى بعض الايضاح .

اولهما ان الرسول يساوي الذين يؤمنون ويتكلون عَلَى الايمان بدون الاعمال بالشياطين بل يجعل الشياطين اشدَّ منهم ايماناً . والثاني انهُ يسمي من يقول بهذا القول بالانسان الباطل .

ونورد خبر حادثة المرأة بتمامهِ وهو واذا واحد من رؤساء المجمع اسمهُ يايرس جاء ولما رآهُ خرَّ عند قدميهِ وطلب اليهِ كثيراً قائلاً ابنتي الصغيرة

علَى آخر نسمة ليتك تأتي وتضع يدك عليها لتشفى فتحيا فمضى معهُ وتبعهُ جمع كثير وكانوا يزحمونهُ وامرأة بنزف دم منذ اثنتي عشرة سنةً وقد تألمت كثيراً من اطباء كثيرين وانفقت كل ما عندها ولم تنتفع بل صارت الى حال اردأ لمّا سمعت بيسوع جاءت في الجمع من ورائهِ ومسّت ثوبه لانها قالت ان مسستُ ولو ثيابهُ شفيت فللوقت جفَّ ينبوع دمها وعلمت في جسمها انها قد برئت من الداء فللوقت التفت يسوع بين الجمع شاعراً في نفسهِ بالقوة التي خرجت منهُ وقال من لمس ثيابي فقال لهُ تلاميذهُ انت تنظر الجمع يزحمك وتقول من لمسني وكان ينظر حولهُ ليرى التي فعلت هذا واما المرأة فجاءت وهي خائفة ومرتعدة عالمة بما حصل لها فخرّت وقالت لهُ الحقَّ كلَّهُ فقال لها يا ابنة ايمانكِ قد شفاكِ (مر ٥ : ٢٢—٣٤)

فانت ترى انها لو لم تقم وتسعى بين الجمع مزاحمةً هذا وذاك وتتقدّم وتمسّ ثوبهُ لما افادها قولها ان مسستُ ولو ثيابهُ شفيت بل لولا قول السيد لها ايمانك قد شفاكِ لم يفهم من المقام ان قولها ذلك كان لهُ تأثير في شفائها وغاية ما في الحادثة ان المرأة آمنت وعملت وكان شفاؤُها نتيجة ايمانها وعملها وقد المّ الانجيلي بتقرير الحادثة هكذا تعليماً انهُ كان لايمانها تأثير في شفائها لا انها شفيت بدون ايمان والاَّ كان الكلام عن قيامها وسعيها ومزاحمتها الناس ولمسها ثوب السيد عبثاً ولغواً ولا يخفى فظاعة القول بهِ

ونقتصر في هذا هنا علَى هذا القدر وسيكون ان شاء الله بسط الكلام فيهِ في تأليفنا المسمَّى (تحقيق المقال في ان الخلاص بالايمان والاعمال)

واذ قد علمت ايها المطالع اللبيب ان الايمان البروتستاني باطل وانت

تعلم ان المبني عَلَى الباطل باطل فانظر ما يكون التعليم البروتستاني والدين البروتستاني والخلاص البروتستاني

النبذة الثانية

في مساواة قسطنطين في رؤيتهِ الصليب في الجوّ منيراً لامعاً بالالوف من اليهود الذين رأوهُ على الجلجلة ويسوع معلقاً عليهِ

ونحن نقول ان رؤية اليهود الصليب عَلَى الجلجلة كانت للآلام والعار والاستهزاء تتميماً لعمل الخلاص ورؤية قسطنطين الصليب كانت للمجد وللايمان وللخلاص وبالتالي ان رؤية اليهود الصليب عَلَى الجلجلة كانت لانذارهم بالهلاك واما لقسطنطين فكانت لاتخاذ الرب يسوع قسطنطين عاملاً مثل بولس ولتبشيرهِ بالانتصار واقامتهِ ملكاً مسيحياً كافاً الاضطهادات عن المسيحيين ورافعاً شأن كنيسة المسيح ومعزّاً للديانة المسيحية . فالذي يصحُّ انما هو تشبيهُ قسطنطين ببولس مدعوّ المسيح لا تشبيههُ باليهود صالبي المسيح

النبذة الثالثة

في عدم اعتبار البروتستان الصليب اصلاً اي هيئةً ومادةً حتى انهم لا يرون مزيةً لهيئة الصليب عَلَى اي صورة اخرى كانت من صور لقاطع الخطين سواءٌ كانا متعامدين او متوازيين ولا لخشبة الصليب التي صلب عليها السيد يسوع المسيح عَلَى ما سواها من الخشب والحطب ومن ثمَّ لا يجعلون للصليب رسماً في معابدهم ولا في مدارسهم

ولا في بيوتهم ولا يرسمونهُ عَلَى وجوههم في صلواتهم ولا في اعمالهم بل قد يسخرون ممن يرسم الصليب عَلَى وجههِ كما يسخر منهُ الأُمي الأُمي · عَلَى ان هذا الافراط في الاشتطاط انما هو في الكلوينيين (وان شئت فقل الزونكليين) ومن اخذ اخذهم دون الانكليكان ومن ماثلهم

ونحن نقول لهولاء الكلوينيين ما هذا المقال سوى جهل وضلال وتهوُّر في مهاوي المحال المحتال وان التعليم الصواب والاعتقاد الذي لا يعاب هو ان هيئة الصليب منذ يوم علق السيد المسيح عليهِ قد صارت هي العلامة المختصة بيسوع المسيح وشعار المؤمنين بهِ وان السيد لهُ المجد بعلامة الصليب يحفظ المؤمنين بهِ من مكايد ومعاثر اعدائهِ واعدائهم المنظورين والغير المنظورين ويعطي بها للمؤمنين القوَّة والسلامة والظفر · وان خشبة الصليب الذي صلب عليهِ المخلص مقدَّسة وهي تفضل قيمةً واعتباراً جميع ما في ايدي الناس من الجواهر والذهب والفضة وانهُ ليس خشبة صليب المسيح وحدها مقدَّسة بل جميع آثارهِ من ملابسهِ والادوات التي استعملها كالاقداح التي شرب بها والقصاع التي اكل فيها وما شاكل ذلك وان آثار رُسُلِهِ وقديسيهِ وشهدائهِ ايضاً مقدَّسة وذات قيمة واعتبار جزيلين جداً وانهُ قد تصدر عنها العجائب وقوَّات الشفاء واخراج الشياطين

ولاثبات كلّ ما قلناهُ بالنصوص الناصعة من الكتاب المقدَّس نجعل لهذه المعاني الاربعة اربعة مطالب نقتصر فيها عَلَى ما قلَّ ودلَّ واثبت الصحيح ودحض المختلّ

المطلب الاول

في ان الصليب من حيث هيئتهِ منذ يوم صلب السيد المسيح صار

علامةً خاصةً بهِ وشعاراً للمؤْمنين بهِ والنصُّ الصريح في ذلك قول السيد لهُ المجد · وللوقت بعد ضيق تلك الايام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءَهُ والنجوم تسقط من السماء وقوَّات السماوات تتزعزع وحينئذٍ تظهر علامة ابن الانسان في السماء وحينئذٍ تنوح جميع قبائل الارض ويبصرون ابن الانسان آتياً علَى سحاب السماء بقوَّةٍ ومجدٍ كثير (مت ٢٤ : ٢٩و٣٠)

او ترى يجسر البروتستاني ان يقول ان علامة ابن الانسان شيء آخر غير الصليب · ويؤيد قولنا ويؤكدهُ قول الانجيلي · وايضاً يقول كتاب آخر سينظرون الى الذي طعنوهُ (يو ١٩ : ٣٧) وهو في قولهِ يقول كتاب آخر يشير الى قول زكريا النبي · فينظرون اليَّ انا الذي طعنوهُ وينوحون عليهِ كنائحٍ عَلَى وحيدٍ لهُ ويكونون في مرارةٍ عليهِ كمن هو في مرارةٍ عَلَى بكرهِ (زك ١٢ : ١٠) ويلزم من ذلك ان من لا يكون الصليب شعاراً لهُ لا يكون من المؤمنين بالمسيح وبالتالي لا يعدُّ مسيحياً

(٢) قول السيد ايضاً · من لا يأْخذ صليبهُ ويتبعني فلا يستحقني (مت ١٠ : ٣٨ و١٦ : ٢٤ ولو ٩ : ٢٣ و١٤ : ٢٧) علَى اختلاف العبارات بالالفاظ · وانما خص الصليب بالذكر من بين آلات التعذيب والاماتة الاليمة لانهُ العلامة المختصة بهِ

فان قيل انهُ حين قال هذا القول لم يكن بعد شرَّف الصليب بموتهِ عليهِ نقول انهُ لهُ المجد يعلم المستقبلات كما يعلم الحاضرات والماضيات ومن ثمَّ كان التعليم في هذه الآيات بان الصليب علامة مختصة بالمسيح اقوى مما لو كانت بعد موتهِ عليهِ لانها هكذا بصورة النبوة والنبوة اقوى من الخبر

(٣) قول بولس · ايها الغلاطيون (وما اقوى ما تنبهُ اليهِ مادّة هذا الاسم الى ان تكون العبارة ايها الغالطون او المغالطون) الاغبياء من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق انتم الذين قد رُسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً (غل ٣ : ١) وهو يفيد ان تصوير الصليب والسيد معلق عليهِ قد كان منذ ايام الرُسل والاَّ فما معنى قولهِ قد رُسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً ويؤكد قولنا النصّ في الترجمة اليسوعية وهو · ايها الغلاطيون الاغبياء من الذي سحركم حتى لا تطيعوا الحقّ وقد رُسمَ أمامَ عيونكم يسوع المسيح بينكم مصلوباً

(٤) قول بولس ايضاً · فان كلمة الصليب عند الهالكين جهالة واما عندنا نحن المخلَّصين فهي قوّة الله (اكو ١ : ١٨)

(٥) ظهوره ُ لهُ المجد لقسطنطين وبيدهِ الصليب وقوله ُ لهُ اتخذه ُ راية في حروبك فتنتصر علَى اعدائك كما تقدم عن السواعية الكبرى وعن كتاب الكنز الثمين وعن كتاب النهج القويم

المطلب الثاني

في ان جميع آثار السيدّ لهُ المجد مقدّسة لا الصليب الذي صلب عليهِ فقط بل ملابسهُ والاقداح التي شرب بها والقصاع التي اكل فيها والادوات التي استعملها حتى حذاءه ُ فهو مقدّس واعلَى قيمةً واعتباراً من جميع ما تملكهُ ايدي الناس والنصوص الناصعة في ذلك هي

اولاً كلام يوحنا السابق والصابغ والنبي هو افضل من نبيٍّ والى ميلادهِ لم يقم بين المولودين من النساء اعظم منهُ حيث يقول الذي يأتي بعدي هو اقوى مني الذي لستُ اهلاً ان احمل حذاءهُ (مت ٣ : ١١)

وايضاً وكان يكرز قائلاً يأتي بعدي من هو اقوى مني الذي لستُ اهلاً ان انحني واحلَّ سيور حذائهِ (مر ١: ٧) وايضاً واذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعلَّهُ المسيح اجاب يوحنا الجميع قائلاً انا اعمدكم بماء ولكن يأتي من هو اقوى مني الذي لستُ اهلاً ان احلَّ سيور حذائهِ (لو ٣: ٥ او ١٦) وايضاً هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق ان احلَّ سيور حذائهِ (يو ١: ٢٧) وايضاً ولما صار يوحنا يكمل سعيهُ جعلَ يقول من تظنون اني انا لستُ انا اياهُ لكن هوذا يأتي بعدي الذي لستُ مستحقاً ان احلَّ حذاء قدميهِ (اع ١٣: ١٥) وملخص ما يقال في كلام يوحنا هذا

(١) ان هذا الكلام مقرَّر في البشائر الاربع وفي اعمال الرسل بالمعنى لا بنفس اللفظ الذي قالهُ يوحنا بدليل اختلاف العبارات

(٢) ان من له معرفة بقراءة العهد الجديد يعلم ان كثيراً من الحوادث والتعاليم انما يذكر في بشارةٍ واحدةٍ او في اثنتين وان ما يذكر في ثلاث من البشائر يكون اكثر اهميةً في تعليم المؤمنين والزم لهم واكثر من ذلك اهميةً ولزوماً ما يذكر في البشائر الاربع وكلام يوحنا هذا قد ذكر في البشائر الاربع وفي سفر الاعمال ايضاً فهو اذن في غاية الاهمية في التعليم وفي وجوب القبول والاذعان فمن يقول بحسب عادتهِ ان هذا غير مهمٍ في عمل الخلاص فانهُ يناقض علَى خطٍ مستقيم تعليم الكتاب

(٣) انهُ لما كان في سابق علمهِ تعالى انهُ سيظهر في اواخر الازمنة قوم يغترُّون بانفسهم ويتعرَّون من كل واجب احترام او اكرام او توقير للرسل

والآباء والانبياء والقديسين والرؤساء والمعابد والاشياء المقدّسة والاشياء المحرّكة الى التقوى قد ألهم سبحانهُ وتعالى كَتَبَةَ اسفارهِ ان يكتبوا مايكون نصوصاً للتعاليم الصحيحة من حيث العقائد وفروض وصور التعبُّد والتمسُّك والاستسارة بالتهذيبات الحسنة واللائقة بالمسيحيين الخاماً وابكاماً والجاماً لاولئك المبتدعين الذين سيظهرون

(٤) ان يوحنا هذا ابن زكريّا الكاهن من فرقة ابيا وامّهُ اليصابات من بنات هارون ايضاً وهما بارّانِ امام الله وسالكانِ في جميع وصاياهُ بلا لوم وهو اي يوحنا مولود بوعدٍ ومتنبأ عنهُ انهُ سيكون عظيماً امام الرب ومن بطن أُمّهِ يمتلئُ من الروح القدس ويتقدم امام المسيح بروح ايليا وقوته لكي يهيئ للرب شعباً مستعدّاً (انظر مت ٣: ١—١١ ومل ٤: ٥) وهو الذي عمد المسيح في الاردن (مت ٣: ١٣—١٧) اتراهُ مع هذه الصفات كلها ليس اهلاً ان يحلَّ سيور حِذاء احدٍ من الناس ام كما قال عن نفسهِ ليس اهلاً ان يحلَّ سيور حذاء يسوع المسيح فقط وهل كان ذلك الحِذاء في نفسهِ الأكسائر الاحذية وانما اكتسب هذا القدر لانه حِذاء السيد المسيح

(٥) فمن يا ترى يكون اعلم واتقى واشرف واعظم من يوحنا المعمدان هذا حتى يعدل كلامهُ كلامهُ او يرجح عليهِ فكل من يتكلّم ضدّ كلام يوحنا هذا فكلامهُ ساقط وهو اكثر سقوطاً

ومن نصوص العهد القديم في هذا المعنى

ثانياً قولهُ ايضاً فيكون المذبح قدس اقداس كلُّ ما مسَّ المذبح يكون مقدّساً (خر ٢٩: ٣٧)

ثالثاً وقولهُ ايضاً في آخر الكلام عَلَى آنية وادوات خيمة الاجتماع وتقدّسها فتكون قدس اقداس كلُّ ما مسها يكون مقدَّساً (خر ٣٠: ٢٩)

افبعد هذه النصوص الصريحة بان يوحنا المعمدان لا يرى نفسهُ اهلاً لان يحل سيور حِذاء المسيح وبان ما يمسُّ آنية خيمة الاجتماع او المنارة وما يمسُّ المذبح والثياب التي تمسُّ جسم هارون الكاهن تكون مقدّسة ترى يجسر البروتستاني ان يقول ان الصليب الذي صلب عليهِ المسيح وعليهِ سال دمهُ من جروحهِ وعليهِ مات ليس مقدَّساً

المطلب الثالث

في ان اواني الكنائس التي للتقديس وحلل الكهنة الكهنوتية وآثار الرُسل والانبياء والقديسين والشهداء كلها مقدَّسة وبالاجمال كل ما هو منتسب الى الله بوجهٍ ما من وجوه الاختصاص سواء كان من افراد الناس او مماَّ يستعمل في التقديس او يلزم للمعابد للاستعمال فيها فهو مقدَّس وهذه نصوص الكتاب المقدَّس عَلَى ذلك

(١) فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران وصادف مكاناً وبات هناك لان الشمس كانت قد غابت · واخذ حجراً من حجارة المكان ووضعهُ تحت رأسهِ فاضطجع في ذلك المكان ورأى حلماً واذا سُلَّمٌ منصوبة عَلَى الارض ورأسها يمسُّ السماء وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها وهوذا الرب واقف عليها فقال انا الرب اله ابراهيم واله اسحاق · الارض التي انت مضطجعٌ عليها اعطيها لك ولنسلك ويكون نسلك كتراب الارض وتمتدُّ غرباً وشرقاً

وشمالاً وجنوباً ويتبارك بك وبنسلك جميع قبائل الارض وها انا معك واحفظك حيثما تذهب واردُّك الى هذه الارض لاني لا اتركك حتى افعل ما كلمتك بهِ

فاستيقظ يعقوب من نومهِ وقال حقًّا ان الربَّ في هذا المكان وانا لم اعلم وخاف وقال ما ارهب هذا المكان ما هذا الأ بيت الله وهذا باب السماء وبكرَّ يعقوب في الصباح واخذ الحجر الذي وضعهُ تحت رأسهِ واقامهُ عموداً وصبَّ زيتاً علَى راسهِ ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل (اي بيت الله) وكان اسم المدينة اوَّلاً لوز ونذر يعقوب نذراً قائلاً ان كان الله معي وحفظني في هذا الطريق الذي انا سائر فيهِ واعطاني خبزاً لآكل وثياباً لالبس ورجعت بسلام الى بيت ابي يكون الربُّ لي الهاً . وهذا الحجر الذي اقمتهُ عموداً يكون بيت الله وكلُّ ما تعطيني فاني اعشرهُ لك (تك ٢٨: ١٠ — ٢٢)

ولماذا اختصَّ يعقوب الحجر الذي جعلهُ عموداً وصبَّ زيتاً على رأسهِ وقال اخيراً وهذا الحجر الذي اقمتهُ عموداً يكون بيت الله . لان ذلك الحجر كان تحت رأسهِ لما رأى الرؤيا . ولو وجد عندهُ حينئذٍ بروتستاني لضحك منهُ وسخر بهِ وهزأ من فعلهِ وقال لهُ لا مزيةَ لحجر علَى حجر ولا لمكان على مكان ولا معنى لصبِّ الزيت علَى الحجر ولا فائدة منهُ وانما هو اتلاف الزيت عبثاً ولكن يعقوب لم يكن بروتستانياً ولا ممَّن يستمع لقول البروتستاني

ونحن نرجو ان لا يسخر منا بعد الآن البروتستان في تكريمنا الصليب لانهُ علَى مثلهِ صلب مخلصنا وفي تكريم المواد التي تكون عليها صورة أُمهِ المباركة في النساء او صورة احد من رسلهِ اوقديسيهِ او شهدائهِ

(٢) قولهُ تعالى لموسى . والثياب المقدَّسة التي لهارون تكون لبنيهِ

بعدهُ ليمسحوا فيها ولتملأ فيها ايديهم (خر ٢٩:٢٩)

(٣) قوله · فيكون المذبح قدس اقداس كل ما مسَّ المذبح يكون مقدَّساً (خر ٣٧:٢٩) وقد تقدَّم آنفاً

وبعد هذه النصوص الصريحة بان ثياب هارون مقدَّسة وان ما يمسُّ المذبح يكون مقدساً ارى البروتستاني يمتري في ان الهيا كل مقدسة والحلل الكهنوتية مقدسة وكل ما يمسُّ اجساد الرسل والانبياء والقديسين والشهداء ورؤساء الكهنة والكهنة والنسَّاك والقاء المسيحيين التي هي هيا كل الروح القدس (اكو ٣:١٦و١٩:٦) يكون مقدَّساً

المطلب الرابع

في انهُ قد تصدر عن آثار الانبياء والرُسُل والقديسين والشهداء عجائب وقوات شفاء من الامراض واخراج شياطين · ومن نصوص الكتاب المقدَّس عَلَى ذلك ما يأتي

(١) قولهُ · ومات اليشعُ فدفنوهُ وكان غُزاة موآب يدخلون عَلَى الارض عند دخول السنة · وفيما كانوا يدفنون رجلاً واذا بهم قد رأَوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر اليشع فلما نزل الرجل ومسَّ عظام اليشع عاش وقام عَلَى رجليهِ (٢ مل ١٣:٢٠ و٢١)

(٢) فأَخذ (اليشع) رِداء إيليا الذي سقط عنهُ وضرب الماء وقال اين هو الهُ ايليا ثم ضرب الماء ايضاً فانفلق الى هنا وهناك فعبر اليشع (٢ مل ٢ : ١٤)

(٣ كانوا يحملون المرضى خارجاً في الشوارع ويضعونهم عَلَى فرش

وأَمِرَّةٍ حتى اذا جاء بطرس يخيّم ولو ظلّهُ عَلَى أَحدٍ منهم واجتمع جمهور المدُن المحيطة الى اورشليم حاملين مرضى ومعذبين من ارواحٍ نجسةٍ وكانوا يبرأون جميعهم (اع ٥: ١٥و١٦)

(٤) وكان الله يصنع عَلَى يدَي بولس قوّاتٍ غير المعتادة حتى كان يؤتى عن جسدهِ بمناديل ومآزر الى المرضى فتزول عنهم الامراض وتخرج الارواح الشريرة (اع ١٩ : ١١و١٢)

واذا قال البروتستاني بحسب عادتهِ ان هذا كان قبل واما الآن فلا اذ قد انقطع فعل العجائب ولذلك منذ عصور ودهور لم نشاهد حدوث عجيبة فاقلُ ما نقولهُ لهُ عَلَى ماذا تستند في قولك قد انقطع فعل العجائب أعلى مجرَّد انكارك فهو لا يصلح سنداً وانت بين امرين اما ان تعترف بصدق قول السيد المسيح انا معكم كلَّ الايام الى انقضاء الدهر (مت ٢٨ : ٢٠) وقول رسولهِ . يسوع المسيح هو هو امساً واليوم والى الابد (عب ١٣ : ٨) وتجحد وترفض بروتستانيتك او تنكر ذلك وتكون ممَّن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعضهِ وهذه شرٌّ واخزى

واما انكم انتم البروتستان منذ ازمان لم تشاهدوا حدوث عجيبة فذلك لعدم ايمانكم فان السيد المسيح نفسهُ لهُ المجد لم يقدر ان يصنع هناك ولا قوةً واحدةً غير انهُ وضع يديهِ عَلَى مرضى قليلين فشفاهم وتعجب من عدم ايمانهم (مر ٦ : ٥) وايضاً (مت ١٣ : ٥٨)

النبذة الرابعة

في بيان بطلان استدلال البروتستاني عَلَى صحة اعتقادهِ بعدم اعتبار

خشب الصليب الذي صلب عليهِ السيد يسوع المسيح الأ كسائر الاخشاب واستناده في ذلك على ان الاعراض التي تقوم في سائر الاخشاب تقوم فيهِ واستطراده من ذلك الى عدم اعتبار شيءٍ من آثار الانبياء والرسل والقديسين والشهداء

فنقول للبروتستاني انك قد رأيت ان عظام اليشع اقامت الميت ورداء ايليا فلق الاردنَّ وظلَّ بطرس شفى المرضى واخرج الارواح النجسة ومناديل بولس ومآزرهُ شفت المرضى واخرجت الارواح الشريرة

ولا شكَّ في ان عظام اليشع تنخر وتبلى كعظام سائر الناس ورداء ايليا يتشقق ويتمزَّق ويبلى كسائر الاردية وظلّ بطرس يرى في النور دون الظلمة كسائر الاظلال ومناديل بولس ومآزره تتشقق وتبلى كسائر المناديل والمآزر وقد صدرت عنها المفاعيل التي ذكرت آنفاً

بل ثوب السيد يسوع المسيح له المجد الذي مسهُ شفى نازفة الدم قابل التشقق والتمزُّق والانخراق والاحتراق كسائر الاثواب وحذاؤهُ الذي قال يوحنا المعمدان عن نفسهِ انهُ ليس اهلاً ان يحلَّ سيورهُ قابل التوسُّخ والتفسُّخ والبلى

وهكذا انت بين ان تعترف بانَّ اعتقادك البروتستاني باطل عاطل او تكابر نصوص الكتاب المقدَّس وتكون مكابراً وانجيلياً في وقت واحد

واخيراً نقول للبروتستاني هذا الكتاب المقدَّس وهو حاوٍ كلام الله وانت تعترف بذلك وهو الماء يبلُّهُ والعثة تفسدهُ والنار تحرقهُ والطفل يشققهُ والزمان يبليهِ والبروتستاني يتلاعب فيهِ افتنكر كونهُ حاوياً كلام

الله لاجل ذلك

وكل ما نرجوهُ من البروتستان الكرام الاخلاق انهم اذا رأى احدهم بعد الان ايقونةً عليها صورة السيّد المسيح او صورة أمّهِ المباركة في النساء او صورة احد الرسل او الانبياء او القديسين او الشهداء باليةً اومكسورة او محروقة اومشققة اوممسوسة لا يسخر منها بل يتذكر ان لوحي الشهادة اللذين كتب الله جلّ جلالهُ عليهما الوصايا العشر باصبعهِ قد تكسَّرا (خر ٣٢ : ١٩)

النبذة الخامسة

في تزييف تعريض البروتستاني بان ما يخالف التعاليم البروتستانية انما هو اوهام ووساوس

نقول للبروتستاني انك قد رأيت ان تعاليم المسيحيين مبنيَّة عَلَى اقوال السيد المسيح وسائر نصوص الكتاب عَلَى صحتها واستقامتها لفظاً ومعنىً وعلمت بلا شك من ذلك ان تعاليم بدعتك التي تخالف تعاليم المسيحيين مبنيَّة اما عَلَى آيةٍ مبتورة او عَلَى معنى منحرف او عَلَى جهالة في اللفظ او المعنى او فيهما معاً وان قوام البروتستانية انما هو المماحكة والمشاغبة والمكابرة مما لا يغني يوم الدين شيئاً واذ ذاك فان كنت في نفسك تعتقد ان الكتاب المقدَّس حقٌّ ونصوصهُ وحيٌ من الله فلا مناص لك من ان تعترف ان تعاليمك البروتستانية التي تخالف تعاليم المسيحيين هي ضلال ووساوس واوهام وتقلع عن الابتداع وترجع الى حظيرة الايمان وان كنت في نفسك تعتقد خلاف الذي تقولهُ بفمك فان حالك شرٌّ مما نعرفهُ منك ومما نظنهُ

بك ومما نخشى عليك من الانتهاء اليهِ

النبذة السادسة

في بيان جهالة البروتستاني في قولهِ ان التعاليم التي تحفظ بالتقليد انما هي من وضع الناس والتفشي من اناس الى اناس

هذا القول في شأن التعاليم الدينية التي تحفظ بالتقليد فاشٍ في اكثر الفِرَق البروتستانية التي ابتدأت من لوثير سنة ١٥١٦ مسيحية والى الآن قد تحوَّلت وتلونت وتشققت وتمزَّقت الى زُمَرٍ او جماعاتٍ تساوي عدتها عدة سني تاريخها او تزيد · وهذا بالنظر الاجماليّ في انضواء كلّ جماعةٍ منهم تحت اسم خاصٍ من اسامي بدعهم وقد سمعنا انهُ اذ ثقلت عليهم كثرة الاسامي قد اعتاضوا عنها بالنمر فيسأل احدهم الآخر من ايّ نمرةٍ أنت واما بنظر التحقيق فان لكل بروتستاني مذهباً خاصاً وكل بروتستاني فرقة وان شئت فقل بدعة على حدةٍ كما علمت مما نقلناهُ قبل من تاريخ افضل مؤرخيهم في البروتستانية موسهيم ونعيد بعضهُ هنا لمقتضى المقام وهو قولهُ في صفحة ٧٨٧ في تعريف المبدا البروتستاني على الاطلاق

ان المبدا الاصليّ في الديانة الانجيليَّة (اي البروتستانية) هو انَّ لكلّ انسان حقَّ الحكم من جهة الامور الدينيَّة وحريَّة الضمير لجميع الناس من دون معارضة لكون الديانة بين الله وبين كل انسان والتعليم الجوهري في هذه الكنيسة ان التبرير انما هو بالايمان بالمسيح وحدهُ · ولا عجب من وجود مذاهب مختلفة كثيرة في كنيسة كهذهِ مانحة الحريَّة للجميع انتهى النقل عن موسهيم

ونحن نقول والمشاهدات المتكررة الى غير نهاية تبرهن صحة قولنا ان اختلاف الناس في عقولهم واميالهم وافهامهم مثل اختلافهم في خلقهم واخلاقهم واجسامهم وكما انهُ لا يوجد اثنان متماثلين تمام المماثلة في الخلقة والخلق والجسم لا يوجد اثنان متماثلين تمام المماثلة في العقل والميل والفهم واذ ذاك فعلى المبدا البروتستاني يكون لكل واحد منهم اعتقاد خاصٌ ومذهب خاصٌ وتعبّد خاصٌ وبالتالي يكون كل البروتستاني بدعة على حدتهِ

ولهذا كان في الدين المسيحي الحقيقي عند ما يقع خلاف في الكنيسة في امر دينيّ يجتمع الرؤساء والآباء والعلماء من الاقطار لتحرير الحقيقة ونفي الزيغ اقتداءً بالرسل حيث يقول . وانحدر قوم من اليهودية وجعلوا يعلّمون الاخوة انهُ ان لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم ان تخلصوا فلمَّا حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة رتّبوا ان يصعد بولس وبرنابا واناس آخرون منهم الى الرسل والمشايخ الى اورشليم من اجل هذه المسألة ... ولما حضروا الى اورشليم قبلتهم الكنيسة والرسل والمشايخ ... وقام اناس من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين وقالوا انهُ ينبغي ان يختتنوا ويوصوا بان يحفظوا ناموس موسى فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا في هذا الامر (اع ١٥: ١-٦) فترى ان جمهور المؤمنين في انطاكية وكانوا قد كثروا وبولس وبرنابا فيهم لم يروا ان يستبدوا بالحكم في هذه المسألة بل قرّروا انهُ لا بدَّ للحكم فيها من مجمع ومن ثم جاء بولس وبرنابا من انطاكية الى اورشليم واجتمع الرسل والمشايخ في اورشليم للنظر فيها ولم ينفرد واحد ولا جماعة بالحكم فيها كما يفعل البروتستان

الاَّ ان هذا كلَّهُ يذهب كالهباء عندما يقول البروتستاني نحن البروتستان لا نتقيد بشيء مما ذكرت بل كل واحدٍ منَّا يقرأُ ويفهم ويعتقد ويتعبَّد ويعلّم بحسب عقلهِ وفهمهِ وميلهِ كما افهمكم مؤرخنا موسهيم

ومن تعاسة الحظ ان الفرقة الكبيرة منهم في بلادنا التي لها اهمُّ المراكز البروتستانية في بيروت من الفرق التي ترفض التقليد وليس المعنى انهم كلهم عَلَى مبدإٍ واحد وايمان واحد وتهذيب دينيّ واحد بل كل قسيس من قسيسيهم وكل فرد من عامتهم وكلّ صبيّ منهم وكل صبيةٍ عَلَى مبدإٍ واعتقاد يخالف ما عليهِ الآخرون ولكنهم يتفقون في هذا الامر اي رفض التقليد . وهم في ذلك كما هم على حدّ السواء في هذا القول هم عَلَى حدّ السواء فيهِ في الجهالة

ونحن ننقل اولاً تعريف التقليد عن محيط المحيط ثم نقرّر ما ينبغي ان يقال فيهِ قال . التلقيد عند النصارى واليهود ما تسلموهُ وتداولوهُ خلفاً عن سلفٍ جيلاً بعد جيل من العقائد وشعائر الديانة مشافهةً مماَّ لم يدوَّن في كتبهم المنزلة اه ونحن سننظر فيهِ من الوجوهِ الآتية وهي

الوجهُ الاول

ان يكون لا يخالف الكتاب المقدس بل يوافقهُ في الجهة والغاية وموافقتهُ في الجهة ان يكون وارداً عن جهة دينيةٍ من تعليم او حادثةٍ اوتاريخ ونحو ذلك وموافقتهُ في الغاية ان يكون مما يشدّد او يكمل في الايمان او يحرّك الى التعبُّد او يوطّد في التقوى او يجمّل بالتهذيب الدينيّ فان وجد عندنا المنكرون تقليداً ليس كذلك فليذكروهُ لنا

الوجهُ الثاني

ان يكون مما يقتضيهِ الكتاب فالكتاب مثلاً يعلّم بوجوب عمل سرّ الشكر بقولهِ (اصنعوا هذا لذكري لو ٢٢ :١٩) وبوجوب المعمودية بقوله (وعمدّوهم باسم الآب والابن والروح القدس مت ٢٨:١٩) وكذلك سائر الاسرار ولا يعلم ترتيب العمل فيها وسواءٌ كان الرسل جميعهم قد تمموها بصورة واحدةٍ او بصور مختلفة فان طرائق تتميمها من الرسل محفوظة بالتقليد وعن هذا جاء ما يوجد من الاختلاف في اعمالها احياناً وخصوصاً في الليتورجيات في الشرق والغرب

وان قال قائل بما ان الرسل اختلف عمل بعضهم عن بعض في بعض الترتيبات فيجوز لي ان اخالفهم واعمل كما أستحسن فنقول لهُ انك لست في رتبة الرسل لنقبل منك كما قبلنا منهم واذا اصررت عَلَى مبداك هذا تكون واقعاً تحت قول الرسول · اني اتعجب انكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر ليس هو آخر غير انهُ يوجد قوم يزعجونكم ويريدون ان يحوّلوا انجيل المسيح ولكن ان بشّرناكم نحن او ملاك من السماء بغير ما بشّرناكم فليكن اناثيما كما سبقنا فقلنا اقول الآن ايضاً ان كان احد يبشّركم بغير ما قبلتم فليكن اناثيما (غل ١ : ٦ — ١٠)

الوجهُ الثالث

ان يكون معروفاً في الكنيسة منذ اجيالها الاولى ولو عند الرؤساء والعلماءِ ان لم يكن معروفاً عند الجميع فمن المعروف عند الرؤساء ترتيب

(طقوس) السيامات في الدرجات الكهنوتية وتميم الاسرار ومن المعروف عند الرؤساء والعلماء الدينيين ترتيب الصلوات الجمهورية والاحتفالات الموسمية ومن المعروف عند الجميع تعميد الاطفال ونقل تقديس يوم السبت الى يوم الاحد . فان وجد عندنا المنكرون تقليداً ليس كذلك فليذكروهُ لنا

الوجهُ الرابع

في حَمَلَةِ التقليد وحَفَظَتِهِ في العهد الجديد

حَمَلَةُ التقليد وحَفَظَتهُ في العهد الجديد بعد الرسل هم الرؤساء والعلماء ممن اذا لم نرد ان نقتصر عَلَى القول ان كلَّ واحد منهم آمن واحرص واصدق واعدل واتقى واعلم واصحى من الوف من هولاء المنكرين نقول كما انهم حَمَلَةُ التقليد وحَفَظَتهُ هم ايضاً حَمَلَةُ الكتاب المقدَّس وحَفَظَتهُ . واذ ذاك فان لم يكونوا أُمناء عَلَى التقليد لا يكونون أُمناء عَلَى الكتاب بل يكون التغيير والتبديل والزيادة والنقص والتحريف والتصحيف في الكتاب اسهل عليهم مما في التقليد ولا سيما في الاعصر المتوسطة اذ كانت نسخ الكتاب نادرة الوجود والموجود منها انما هو عند هولاء الروساء والعلماء واما التقليد فهو في كلّ عصرٍ معروف عند المئات والالوف ان لم يكن عند الجميع

ويؤيد قولنا ان التلاعب في الكتاب اسهل منهُ في التقليد ما وقع في القرن التاسع عشر عصر العلم والمدارس والمطابع والمكاتب من التلاعب في الترجمة الاميركانية البيروتية من الحذف والتغيير والتبدبل والتحريف

الوجه الخامس

في المقابلة بين التقليد والكتاب من حيث قوّة الثبوت وفيهِ اعتبارات

الاعتبار الاول ان التقليد سابق عَلَى الكتاب لانهُ في العهد القديم من آدم الى موسى كان الدين بالتقليد ولم يكن كتاب والمدة بين آدم وموسى بحسب النسخة العبرانية وهي التي تأخذ عنها الكنيسة الغربيَّة وجماعات البروتستان نحو ٢٥٠٠ سنة وبحسب الترجمة السبعينيَّة التي تعتمد عليها دون غيرها الكنيسة الارثوذكسيَّة نحو ٤٠٠٠ سنة وفيها وجد الآباء الكبار الذين يسمَّون البطاركة ومنهم اخنوخ ونوح وابراهيم واسحاق ويعقوب اسرائيل الله

وفي العهد الجديد من صعود المسيح الى كتابة انجيل متَّى كان التبشير بالدين المسيحي بالتقليد ولم يكن كتابٌ وتلك المدة بحسب رأى الكنيسة بين ٨ و٩ سنين وبحسب رأى البروتستان ٥ سنوات وعَلَى كلٍّ فيها انتشر الدين المسيحي في اقطار الارض وجميع الامم المعروفة اذ ذاك وفيها ظهر الانقياء والفضلاء والقدّيسون والشهداء

الاعتبار الثاني ان التقليد يثبت نفسهُ بنفسهِ بدون احتياج الى الكتاب كما انهُ كان في كلٍّ من العهدين مدَّةً طويلة بدون الكتاب واما الكتاب فلا يثبت نفسهُ بدون التقليد فلو جاء ما كتبهُ موسى مخالفاً لما كان معروفاً بالتقليد عند الاسرائيليين لرفضوهُ بدون تردُّد ولو جاء انجيل متى وسائر اسفار العهد الجديد مخالفةً لما كان قد عرف عند المسيحيين بالتقليد لرفضوها

بدون تردُّد

الاعتبار الثالث ان التقليد يستغني في نفسه وفي مفهومهِ عن الكتاب واما الكتاب فلا يستغني في نفسه ولا في مفهومهِ عن التقليد · ومن امثلة ذلك ان في النسخة العبرانية التي تأخذ عنها الكنيسة الغربيَّة وجماعات البروتستان لا يذكر في سلسلة الآباء سوى قينان واحد وهو ابن انوش وفي الترجمة السبعينيَّة التي كان ينظر اليها السيد المسيح وعنها يأخذ رُسُلهُ يذكر قينانان (لو ٣:٣٦) ولا يعرف وجه هذا الاختلاف الأَّ من تقليد اليهود وهو ان قينان الثاني ابن ارفكشاد كان كافراً فاسقطوا اسمهُ من سلسلة الآباء

وفي العهد الجديد قول بولس · والاَّ فماذا يصنع الذين يعتمدون من اجل الاموات ان كان الاموات لا يقومون البتَّة فلماذا يعتمدون من اجل الاموات (اكو ١٥ : ٢٩) ولا يعرف معناهُ الاَّ من التقليد وهو انهُ كان قد بلغ من قوم انهم يعتمدون عن آبائهم واجدادهم الاموات لكي يُعدُّوا في المؤمنين بالمسيح ويكون لهم الخلاص بهِ

الاعتبار الرابع ان السيد يسوع المسيح لهُ المجد لسابق علمهِ بانهُ سيقوم في اخر الزمان قوم ينكرون التقليد بدون معرفة ما هو التقليد ويعترفون بالكتاب بدون معرفة ما هو الكتاب قد ألهم اثنين من كَتَبَة خبر حياتهِ وتعليمهِ ان يكتبا عن مشاهدةٍ وعيانٍ وهما متَّى ويوحنَّا واثنين ان يكتبا عن تقليد وهما مرقس ولوقا فالبشائر الاربع التي هي امَّهات العهد الجديد منها اثنتان عن مشاهدة واثنتان عن تقليد ومرقس ولوقا لم يكونا من تلاميذه الذين تبعوهُ وسمعوا صوتهُ الحي · قال في كتاب ذخيرة الالباب ما ملخَّصهُ كان

مرقس عبرانياً وكان تلميذاً لبطرس ويجب تمييزهُ عن يوحنا مرقس المذكور في (اع١٢:١٢) وقدجمع انجيلهُ في سنة ٤٨ للتاريخ السائر وقال ايضاً وكان لوقا من مدينة انطاكية وظنَّ بعضٌ انهُ يونانيٌ متهود وظن آخرون انهُ وثنيٌ ارتد الى الدين القويم لان بولس يميزهُ عن اليهود في (كو ٤: ٢٤) وكتب انجيلهُ سنة ٥٣ للتاريخ السائر وهذا الكلام في هذين البشيرين اوجه مما هو فيهما في مرشد الطالبين كما يعرف بالتدبُّر · وقد ألهم ايضاً مرتبي اسفار عهده بعضها مع بعض بان يجعلوا البشارتين التقليدتين بين البشارتين العيانيتين كالقلب في الجسد · فليتأمل البروتستاني ويتنبَّه الى خطائهِ في رفض التقليد

الاعتبار السادس

ان المؤمنين مأمورين أمراً محتوماً بالمحافظة عَلَى التقليد فمن يرفض التقليد يعلن نفسهُ بانهُ ليس من المأمورين بذلك وبالتالي ليس بمؤمن · وهذه النصوص الآمرة بالمحافظة عَلَى التقليد

(١) قول بولس · فامدحكم ايها الاخوة عَلَى انكم تذكرونني في كل شيء وتحفظون التعاليم كما سلمتها اليكم (اكو ١١: ٢) وفي الحاشية في سفل الصفحة اشارة انهُ يصحُّ ان يقال التعاليم او التقاليد · وفي ترجمة الآباء اليسوعيين واني امدحكم ايها الاخوة لانكم تذكروني في كلّ شيء · وتحافظون عَلَى التقاليد كما سلمتها اليكم وهو كما ترى اصوب لان مراد الرسول المحافظة عَلَى التقاليد لا مجرَّد حفظها كما يفهم من المقام

(٢) قولهُ ايضاً فاثبتوا اذن ايها الاخوة وتمسكوا بالتعاليم التي تعلمتموها سواءٌ كان بالكلام ام برسالتنا (٢ تس ٢: ١٥) وفي الحاشية في سفل الصفحة

اشارة الى انهُ يصحُّ ان يقال بالتعاليم او بالتقليدات · وفي الترجمة اليسوعية فاثبتوا اذن ايها الاخوة وتمسكوا بالتقاليد التي تعلّمتموها اماً بكلامنا واماً برسالتنا

وكلُّ ذي عقل سليم وكلُّ ذي علم صادق الاسم وكلُّ من يحاسب نفسهُ في ما يتكلّم وخصوصاً في الامور الدينيَّة متذكراً قول السيد · اقول لكم ان كلَّ كلمةٍ بطَّالةٍ يتكلّم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين (مت ١٢ : ٣٦) يحكم بان التقاليد التي امر الرسول بالتمسُّك بها غير ما كتب في الرسالة والاَّ كان فرقهُ بينهما بقولهِ بالكلام ام برسالتنا لغواً ولا يقول بذلك مؤمن ولا كافرٍ عاقل وانها توافق ما في الرسالة والاَّ لما امر بالتمسُّك بها

الاعتبار السابع

هو ان التقليد كما كان اولاً اساساً ورسماً لكتابة الكتاب ولقبولهِ هو الآن والى آخر الازمان سور للكتاب وحافظ لمفهومهِ والمشاهدة شاهدة فان الكنيسة التي تحفظ التقليد وقد انتشرت في جميع اقطار الارض منذ عهد الرسل الى الآن لم تزل في اعتقاد واحد وتعاليم واحدة وتهذيب دينيّ واحد · والجماعة التي رفضت التقليد علَى حداثة عهدها قد صارت مِئات فِرَقٍ مختلفة ومن يدري الى ماذا تنتهي · وكفى بالتقليد نفعاً ان تكون لهُ هذه الفائدة

النبذة السابعة

في ورود التقليد في اسفار العهد الجديد ليس عن مصدر معين او موجود · وهذه نصوص بعض ذلك

(١) قول متَّى البشير · واتى وسكن مدينة يقال لها ناصرة لكي يتمَّ

ما قيل بالانبياء انهُ سيُدعَى ناصريًّا (مت ٢ : ٢٣)

هذه الآية موردة عن تقليد كان محفوظًا عند اليهود عن الانبياء كما هو صريح نصها • فان قال البروتستاني انها كانت مكتوبة في الاسفار المفقودة من اسفار العهد القديم نقول لهُ

اولاً انهُ يبعد من التصديق ان تكون مكتوبة في عدة اسفار وتفقد تلك الاسفار جميعها حتى لا يبقى ولا واحد منها وهذا فضلاً عن اننا نسأَلهُ على ماذا يستند في ادّعائهِ سوى الظن الذي سيأتي بيان بطلانه

ثانيًا ان نصّ الآية يعارض القول انها كانت مكتوبة في شيء من الاسفار لانها تقول كما قيل بالانبياء لا كما كتب في الانبياء

ثالثًا لدى التنزُّل والمجاراة انها كانت مكتوبة في اسفار قد فقدت نقول ان حفظها بعد فقد تلك الاسفار هو عين التقليد

(٣) قول استيفانوس • ظهر إلهُ المجد لابينا ابراهيم وهو في ما بين النهرين قبل ما سكن في حاران وقال لهُ اخرج من ارضك ومن عشيرتك وهلمَّ الى الارض التي اريك فخرج حينئذٍ من ارض الكلدانيين وسكن في حاران (ا ع ٧ : ٢ و٣)

هذا غير مكتوب في شيء من اسفار موسى وانما هو تقليد كان محفوظًا عند اليهود • وليس في الكتاب ان الله ظهر لابراهيم قبل مخاطبتهِ اياهُ في حاران وهذا نصّ الخبر وكانت ايام تارح مئتين وخمس سنين ومات تارح في حاران وقال الرب لابرام اذهب من ارضك ومن عشيرتك ومن بيت ابيك الى الارض التي اريك (تك ١١ : ٣٢ و١٢ : ١)

وبما ان الكتاب يقول ان اعداء استيفانوس من اليهود لما لم يقدروا ان يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم بهِ (ا ع ٦ : ١٠) قدّموهُ الى المجمع فشخص اليهِ جميع الجالسين في المجمع وسألهُ رئيس الكهنة اترى هذه الامور هكذا اي كما شكاهُ

اعداؤُه وهو افتتح كلامهُ اليهم بقوله ايها الرجال الاخوة والآباء اسمعوا · ظهر اللهُ المجد لابينا ابراهيم الى آخره ولم يردُّوه ولا عارضهُ احد منهم يكون هذا التقليد معروفاً عندهم وبما انهُ استعملهُ استيفانوس وهو من رجال العهد الجديد ومشهود لهُ في الكتاب بالمعرفة والحكمة والتقوى وقد كتبهُ لوقا وهو كاتب البشارة المنسوبة اليهِ وكاتب سفر اعمال الرسل ايضاً يكون تعليماً بقبول التقليد في العهد الجديد

(٣) قولهُ ايضاً · فنزل يعقوب الى مصر ومات هو وآباؤُنا ونقلوا الى شكيم ووضعوا في القبر الذي اشتراه ابراهيم بثمنٍ فضةٍ من بني حمور ابي شكيم (١ ع ٧ : ١٥ و١٦)

هذا تقليد في نقل الآباء ابناء يعقوب ودفنهم في فلسطين وايضاً في القبر الذي في شكيم · ولا ذكر لهذين الامرين في سفر التكوين ولا في سفر الخروج الاَّ لنقل عظام يوسف معهم يوم خرجوا من مصر مع موسى (خر ١٣ : ١٩)

وهذا القبر الذي ذكرهُ استيفانوس غير القبر الذي اشتراهُ ابراهيم من بني حثّ الذي يسمى مغارة المكفيلة لان هذا في شكيم (اي نابلس) وذاك في حبرون (اي الخليل) وهذا مشترى من بني حمور وذاك مشترى من بني حثّ

(٤) قولهُ ايضاً · فتهذَّب موسى بكلّ حكمة المصريين (١ ع ٧:٢٢)

وهذا ايضاً تقليد لا ذكر لهُ في حادثة التقاط ابنة فرعون موسى وتربيتها لهُ · وهذا نصّ الخبر في ذلك بحروفهِ · وذهب رجل من بيت لاوي واخذ بنت لاوي فحبلت المرأة وولدت ابناً ولما رأت انه حسنٌ خبأته ثلاثة اشهر ولما لم يمكنها ان تخبئهُ بعدا اخذت لهُ سفطاً من البرْدي وطلتهُ بالحمرَ والزفت ووضعت الولد فيهِ ووضعتهُ بين الحلفاء عَلَى حافة النهر ووقفت اختهُ من بعيد لتعرف ماذا يفعل بهِ

فنزلت ابنة فرعون الى النهر لتغتسل وكانت جواريها ماشيات عَلَى جانب النهر فرأت السفط بين الحلفاء فأرسلت أمتها واخذتهُ ولما فتحتهُ رأت الولد واذا هو صبيٌّ

يبكي فرقت لهُ وقالت هذا من اولاد العبرانيين فقالت اختهُ لابنة فرعون هل اذهب وادعو لكِ امرأةً مرضعةً من العبرانيات لترضع لكِ الولد فقالت لها ابنة فرعون اذهبي فذهبت الفتاة ودعت امَّ الولد فقالت لها ابنة فرعون اذهبي بهذا الولد وارضعيهِ لي وانا اعطي اجرتك فاخذت المرأة الولد وارضعتهُ . ولما كبر الولد جاءت بهِ الى ابنة فرعون فصار لها ابناً ودعت اسمهُ موسى وقالت اني انتشلتهُ من الماء وحدث في تلك الايام لما كبر موسى انهُ خرج الى اخوتهِ لينظر في اثقالهم فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً الخ (خر ٢ : ١ — ١١) وليس فيهِ ان موسى تعلم حكمة العبرانيين ولا حكمة المصريين كما ترى

(٥) قولهُ ايضاً . فظنَّ (اي موسى) ان اخوتهُ (اي العبرانيين) يفهمون ان الله عَلَى يدهِ يعطيهم نجاةً واما هم فلم يفهموا (ا ع ٧ : ٢٥)

وهذا ايضاً تقليد لا ذكر لهُ في حادثة قتل موسى المصريَّ وهذا نصُّ الخبر . فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من اخوتهِ فالتفت الى هنا وهناك ورأى ان ليس احدٌ فقتل المصري وطمرهُ في الرمل (خر ٢ : ١١ و١٢)

(٦) قول بولس . في كل شيء اريتكم انهُ هكذا ينبغي انكم تتعبون وتعضدون الضعفاء متذكرين كلمات الربَّ يسوع انهُ قال مغبوط العطاء اكثر من الاخذ (اع ٢٠ : ٣٥) ونصهُّ في الترجمة اليسوعية هكذا . في كل شيء بينت لكم كيف ينبغي ان نتعب لنساعد الضعفاء وان نتذكر كلام الربَّ يسوع حيث قال العطاء اعظم غبطةً من الاخذ

وهذا ايضاً تقليد لا ذكر لهُ في شيء من البشائر الاربع

(٧) قول يوحنا المعمدان . انا اعمد كم بماء للتوبة (مت ٣ : ١١)

وهذا ايضاً تقليد والا فليرنا البروتستاني اين مكتوب في العهد القديم معمودية التوبة . وهذا التقليد قد عمل بهِ الربُّ يسوع المسيح اذ تعمد من يوحنا . وهذه بعض النصوص من العهد الجديد عَلَى ان معرفة معمودية التوبة كانت عمومية بينهم بدون ان تكون مكتوبة ولكن بالتقليد

اولاً قول مرقس كان يوحنا يعمد في البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا (مر ١ : ٤)

ثانياً قول لوقا · في ايام رئيس الكهنة حنان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية فجاء الى جميع الكورة المحيطة بالاردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا (لو ٣ : ٢ و٣) والكلام الذي يورده البشير بعد هذا وهو (كما هو مكتوب في سفر اقوال اشعيا النبي القائل صوتُ صارخٍ في البرية أعدُّوا طريق الربِّ اصنعوا سبله مستقيمة كلُّ وادٍ يمتلئ وكلُّ جبل وأكمةٍ ينخفض وتصير المعوجات مستقيمة والشعاب طرقاً سهلة ويبصر كل بشرٍ خلاص الله) لا يحوي التعليم بمعمودية التوبة ولا يستلزم معمودية التوبة ولا نفهم منهُ معمودية التوبة وكذلك اورده متى ولم يذكر صراحةً ولا اشارةً معمودية التوبة انظر (مت ٣ : ١ — ٦) ولم يسمها معمودية التوبة · الا ان يقول البروتستاني ان قولهُ معترفين بخطاياهم يفهم منهُ التوبة لان الاعتراف يستلزم التوبة كما هو مفهوم احد الاسرار السبعة في الكنيسة فيكون البروتستاني قد اعترف بسر التوبة اي سرّ الاعتراف الذي ينكرهُ كثير من الفرق البروتستانية بدون ان يثبت انهُ في العهد القديم معمودية تسمى معمودية التوبة

ثالثاً قول لوقا · فحدث فيما كان أبلوس في كورنثس ان بولس بعد ما اجتاز في النواحي العالية جاء الى افسس فاذ وجد تلاميذ قال لهم هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم قالوا لهُ ولا سمعنا انهُ يوجد الروح القدس فقال لهم فبماذا اعتمدتم فقالوا بمعمودية يوحنا فقال بولس ان يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب ان يؤمنوا بالذي يأتي بعدهُ اي بالمسيح فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع (اع ١٩ : ١ — ٥)

ونقتصر على هذا القدر من ورود التقليد في اسفار العهد الجديد ولو اردنا الاستقصاء للزمنا وضع تأليف خاصٍ لذلك

تتمة

في ما يدفع البروتستان الى رفض التقليد

البروتستان في رفض التقليد يصحُّ على وجه التساهل جعلهم اربعة اقسام

قسم يدفعهم الى رفض التقليد جهلهم بجهلهم فانهم اذ يسمعون قول

السيد لهُ المجد باطلاً يعبدونني وهم يعلّمون تعاليم هي وصايا الناس يفهمون بوصايا الناس كل ما ليس منصوصاً في الاسفار المقدَّسة وان ذلك يجعل العبادة باطلة ومن ثم يرفضون التقليد حتى كأنهُ جحود الايمان ولجهلهم بجهلهم لا يعلمون انهم فهموا خطاء وقالوا خطاء واعتقدوا خطاء ولو كان لهم حظ من المعرفة ولو قليلاً لراجعوا الحادثة الوارد فيها قولهُ لهُ المجد هذا وعلموا انهم هم انفسهم باستبدادهم هذا يمثلون الذين قال فيهم السيد انهم يعبدون الله باطلاً بما انهم يبطلون تعاليمهُ ووصاياهُ بما يعلّمونهُ من تعاليم ووصايا الناس · ولكي يتحقق البروتستاني صحة ما قلناهُ ويقتنع بانحراف مبداهُ وتعاسة منتهاهُ نورد هنا الحادثة بتمامها وننبهُ منها الى محل خطائهِ وهذا نصُّها بحروفها

حينئذٍ جاء الى يسوع كَتَبَةٌ وفرِّيسيُّون الذين من اورشليم قائلين لماذا يتعدَّى تلاميذك تقليد الشيوخ فانهم لا يغسلون ايديهم حينما يأكلون خبزاً فاجاب وقال لهم وانتم ايضاً لماذا تتعدُّون وصيَّة الله بسبب تقليدكم فان الله اوصى قائلاً أكرم أباكَ وأمَّكَ ومن يشتم ابًا او أمًّا فليمت موتًا واما انتم فتقولون من قال لابيهِ او أمّهِ قُربانٌ هو الذي تنتفع بهِ مني فلا يكرم أباهُ او أمَّهُ (اي بعد ذلك) فقد ابطلتم وصيَّة الله بسبب تقليدكم · يامراؤُون حسنًا تنبأَ عنكم إشعيا قائلاً يقترب اليَّ هذا الشعب بفمهِ ويكرمني بشفتيهِ واما قلبهُ فمبتعدٌ عني بعيداً و باطلاً يعبدونني وهم يعلّمون تعاليم هي وصايا الناس (مت ١٥ : ١ — ٩)

فالسيد اراد بالتقليد الذي يجعل العبادة باطلة التقليد المناقض والمنافي

وصايا الله وتعاليمهُ في الاسفار المقدَّسة كما هو صريح في قولهِ فقد ابطلتم وصيَّة الله بسبب تقليدكم وليس شيء من التقليدات التي عندنا يناقض او ينافي ما في الاسفار المقدَّسة بل كلُّ ما عندنا يوافق الكتاب والكتاب يوافقهُ بل بعضهُ يتوقَّف عليهِ ثبوت الكتاب وبعضهُ يتوقف عليهِ فهم الكتاب وبعضهُ يتوقف عليهِ اتمام اوامر الكتاب فلا يكون التقليد الذي عناهُ السيد لهُ المجد واقعاً على شيء مما عندنا من التقاليد كما يفهم الجهلة · وهذا فضلاً عن ان الكتاب يأمرنا أمراً متحتماً بحفظ التقليد والمحافظة عليهِ كما في (١ كو ١١: ٢ و٢ تس ٢: ١٥) وقد تقدَّم لنا الكلام في ذلك · فالبروتستاني بمجرَّد انهُ يسمع او يقرأ قول السيد قد ابطلتم وصيَّة الله بسبب تقليدكم يفهم ويعتقد انهُ يجب ان يرفض كلَّ تقليد وهو جهل وطيش وتيهٌ في الضلال

وقسم ثانٍ يدفعهم الى رفض التقليد كونهُ يضيق عليهم دائرة تلاعبهم في الكتاب لان منهُ ما يمنع بعض مزاعمهم ومنهُ ما يدحض بعض تمحلاتهم وهولاء ارسخ في البروتستانية من القسم الاول

وقسم ثالث يرفضون التقليد ليتدرَّجوا منهُ الى رفض بعض الاسفار التي فيها النصوص الاكثر صراحاً ووضوحاً في بيان جهالاتهم وضلالاتهم كما كان لوتير منشئ البدعة يسمي رسالة اخي الرب يعقوب الرسول الرسالة التبنية يريد انها لا معنى لها كما ان التبن لا طعم لهُ

وقسم رابع لا لشيء ولا على شيء ولكنهم سمعوا ممن هم متقدمون عليهم القول برفض التقليد فقالوا بهِ

وقد اطلنا الكلام مع من ذكرنا من كتبة البروتستان ولا سيما مع

الدكتور بورتر للاسباب الآتية وهي

اولاً كثرة وفظاعة وجسامة مجازفاتهم وتطوحاتهم واختلاقاتهم فدحض ما رايناهُ منها متحتم وجوب الدحض والردّ وليس كلها اقتضى بسطاً في الكلام فطال مع انهُ لم يزل في ايفاء حق المقام مختصراً كما لا يخفى على المطالع اللبيب

ثانياً قد اطلنا الكلام مع حضرة الدكتور بورتر اكثر مما مع غيرهِ لانهُ لم يزل حياً حتى اذا كان لهُ جواب او عذر عن شيء مما دحضناهُ ورددناهُ عليهِ يأتي بهِ والاَّ فيكون في صنيعنا فائدة لهُ ولغيرهِ ايضاً من اخوانهِ ممن يكتب في مثل هذه الامور فيما بعد ان يلتزموا التنقيب في الفحص والصدق في الخبر والاعتدال في التقرير

ثالثاً لكي نبين ونحقّق ونؤكد للمطالعين عموماً ولابناء طائفتنا خصوصاً لانهم اكثرهم بسطاء لم تساعدهم ظروفهم واحوالهم على التعلُّم واقتناء المكاتب والاطّلاع على اخبار القدميَّة من دينيَّة وزمنيَّة مما وقع في الكنيسة او كان لهُ دخل او علاقة او تأثيرٌ فيها ما هو حدُّ معرفة هولاء البروتستان في الدين وما هو حدُّ صدقهم في التكلُّم فيهِ وما هو حدُّ امانتهم في النقل والاخبار وما هو حدُّ اعتدالهم في التدبرُّ والتروّي والحكم في القضايا وما هي آراؤُهم واقوالهم وافعالهم في افاضل الناس وخصوصاً رجال الكنيسة العظام

ومن ثمَّ ننصح لاخوتنا الارثوذكسيين ولمن يقبل ايضاً نصيحتنا من سائر الطوائف المسيحية ان يكونوا على اشدّ الحذر من الاغترار والغرَر في ما يسمعونهُ من هولاء الناس او يقرأُونهُ من كتاباتهم في الامور الدينية وكل ما لهُ علاقة بالدين

فان رأى احدٌ ان قولنا هذا شديدٌ او ثقيل في حقّ هولاء الجماعة فليعلم انهُ خفيف ولطيف ومتساهل بالنسبة الى ما يقتضيهِ المقام فان التلميذ الذي كان يسوع يحبهُ يقول · كل من تعدَّى ولم يثبت على تعليم المسيح فليس الله لهُ ومن ثبت على التعليم فلهُ الآب والابن كلاهما · فمن اتاكم ولم يأتِ بهذا التعليم فلا تقبلوهُ في البيت ولا تقولوا لهُ سلامٌ · فانهُ من قال لهُ سلامٌ فقد اشترك في اعمالهِ الشريرة (٢ يو ٩ ـ ١١)

(٣) فرارهم من الطريق الضيّق الى الطريق الواسع وذلك ان الانسان في الكنيسة الارثوذكسيَّة عليهِ ان يعتقد ويتعبَّد ويعيش بحسب التحديدات الدينيَّة والتعليم القويم المحفوظ عن الرسل وآباء الكنيسة بدون اختلاف ولا اضطراب ولا تغيرٍ ولا تبدُّل · واما في البروتستانيَّة فيفهم كما يريد ويعتقد بما يريد وينكر ما يريد ويعيش كما يريد · وقد قال السيّد لهُ المجد ادخلوا من الباب الضيّق لانهُ واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدّي الى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلون منهُ ما اضيق الباب واكرب الطريق الذي يؤدّي الى الحياة وقليلون هم الذين يجدونهُ (مت ٧: ١٣ و ١٤) ومعلوم ان قلب الانسان الطبيعي الزمنيّ مائل الى الشرّ ويستسهل السلوك في الطريق الواسع على السلوك في الطريق الضيق وحالة هولاء الذين تشيَّعوا بالشيعة البروتستانية بيننا شاهدة بذلك وهذا مع كونهم بيننا اقل من القليل واطفّ من الطفيف ومع كون اكثرهم تربوا قبل في الكنائس المنتظمة المرتبة ومتى انقطع هولاء من بينهم بالموت بعد العمر الطويل لا نعلم ولا نستطيع ان نقدّر ماذا تكون احوالهم

ولكي لا يرتاب المطالع في شيء مما قلناهُ في البدعة البروتستانية نكرر ما قلناهُ قبل من كلامهم في تحديد بدعتهم قليلاً من كثير مما لا يبقى معهُ ريب لاحدٍ في صدق قولنا وصحتهِ ففي تاريخ موسهيم المطبوع بعناية ومناظرة الخواجا هنري جسب في بيروت في صفحة ٥٧٧ منهُ قال في تعريف الكنيسة الكلوينيَّة

ان الكنيسة التي ترغب في ان تسمَّى المصلحة او الكنيسة الانجيلية المصلحة وكان يسميها مقاوموها سابقاً الكنيسة الزونكلية او الكلفينيَّة المصلحة تكاد تختلف عن جميع من سواها لان جميع الكنائس الاخرى ترتبط بنظام واحد من التعاليم والتهذيب وليست كذلك الكنائس المصلحة فانها لا تعتقد اعتقاداً واحداً لان عندها قوانين ايمان مختلفة بعضها عن بعض كثيراً ولا تمارس طرقاً وطقوساً واحدة للعبادة ولم تكن في كل مكان على ترتيب واحد وسياسة واحدة · ومن المعلوم لا تطلب هذه الكنيسة من قسوسها ان يعتقدوا ويعلموا شيئاً واحداً بل تسمح بان يختلف في شرح وتفسير قضايا تعليمية كثيرة ليست بقليلة الاهمية بشرط ان تبقى مبادئ الديانة والتقوى الاولى سالمة فيسوغ ان تسمَّى هذه الكنيسة جماعة كبيرة مؤلفة من كنائس عديدة يحفظها رفقها وتساهلها من الانشقاق الى احزاب متنوعة · اه بحروفه

وقال في صفحة ٧٨٧ منهُ في تعريف المبدا البروتستاني على الاطلاق ما نصهُ ان المبدا الاصلي في الديانة الانجيليَّة هو ان لكل انسان حق الحكم من جهة الامور الدينية وحريَّة الضمير لجميع الناس من دون معارضة لكون الديانة بين الله وبين كل انسان والتعليم الجوهري في هذه الكنيسة ان التبرير انما هو بالايمان بالمسيح وحدهُ · ولا عجب من وجود مذاهب مختلفة

كثيرة في كنيسة كهذه مانحة الحرية للجميع ولكن اهمّ الحقائق المتعلقة بهذه الكنيسة في هذا العصر هو زيادة الاتحاد بين الطوائف المختلفة ونموّ الغيرة لاجل خلاص العالم والثقة بمواعيد الله الكثيرة الهاتفة ان كلّ الارض ستملأ من مجد الرب الذي لاسمهِ يقدَّم كل التسبيح والتمجيد في الكنيسة الى ابد الآبدين آمين

ولنا عَلَى ما نقلناهُ هنا ملاحظات عديدة كلها مهمٌ ولكن بما انهُ ليس هنا محل الاستقصاء والاستيفاء نقتصر عَلَى الملاحظتين الآتيتين

الاولى · قولهُ والتعليم الجوهري في هذه الكنيسة (يعني البروتستانية بفروعها المختلفة التي لا نكاد تحصى عدداً ولا تضبط وصفاً) ان التبرير انما هو بالايمان بالمسيح وحدهُ اه · وقولهُ وحدهُ عائد الى الايمان لا الى المسيح وهذا الايمان يبنيهِ البروتستان بدون تدبرٍ ولا تروٍ عَلَى اياتٍ مقولة في مقاصد خاصة فيتخذونها عامة اخصها قول الرسول بولس آمنَ ابراهيم بالله فحُسِبَ لهُ برًّا غل ٣ : ٦ ولا ينظرون الى قول اخي الرب · انت تؤمن ان الله واحد حسنًا تفعل والشياطين ايضاً يؤمنون ويقشعرُّون ولكن هل تريد ان تعلم ايها الانسانُ الباطل ان الايمان بدون اعمال ميت · ألمَ يتبرَّر ابراهيم ابونا بالاعمال اذ قدَّم اسحاق ابنهِ عَلَى المذبح · فترى ان الايمان عمل مع اعمالهِ (انظر الى قوله ان الايمان عمل مع اعمالهِ وتدبَّرهُ) وبالاعمال اكمل الايمان · وتمَّ الكتاب القائل فآمن ابراهيم بالله فحُسِبَ لهُ برًا ودُعي خليل الله ترون · اذن انهُ بالاعمال يتبرَّر الانسان بالايمان وحدهُ (يع ٢ : ١٨—٢٦) ولا يبالون بما يترتب عَلَى تعليمهم من ان الكتاب يناقض بعضهُ

بعضاً ولا يكون ايمانهم يناقض عَلَى خط قويم قول السيد · ها انا آتي سريعاً وأجرتي معي لكي اجازي كلَّ واحد كما يكون عمله رؤ ٢٢: ١٢

وبما ان الايمان اساس الدين وقد تبيَّن لك ان ايمان هولاء الناس مناقض لتعليم السيد المسيح وبالتالي هو باطل وانت تعلم ان كل ما بني عَلَى الباطل باطل فيسهل عليك ان تعرف ما هولاء الناس وما هو علمهم وبالتالي ماهو دينهم والى اين ينتهون

والثانية انك اذا تدبرَّت ما نقلناهُ عن موسهيم من تعريف البدعة وتحرير المبدا الجوهري في تعاليمها تجد ان قولنا فرارهم من الطريق الضيق الى الطريق الواسع لا يفي بحقها

عَلَى ان من قرأ بتدبرٍ وتروٍ تأليفاتهم الدينية التي انشأوها في هذه البلاد وهم وراء حجاب الارتداد وتحت حذر الانتقاد كمرشد الطالبين وتاريخ موسهيم ونظام التعليم في علم اللاهوت القويم مجلدين وعَلَى الاخص ريحانة النفوس البروتستانية وكتاب القواعد السنيَّة في تفسير الاسفار الالهية وكتاب الكنز الجليل في تفسير الانجيل يرى انهُ يسهل ان يؤلف في مناقضات كل منهم نفسهُ بنفسهِ مجلد وفي مناقضات بعضهم بعضاً مجلد ضخم وفي مناقضاتهم لتعاليم الكتاب المقدس مجلد اضخم · ويرى ان ما يشيرون اليه من مناقضات فرقهم العديدة المشعبة من كل طائفة منهم في بلادهم اعظم من كل ذلك بما لا نقدر ان نحدهُ لاننا لا نعرف حدهُ

(٩) سوء تصرُّفهم في طريقة الاستدلال من الكتاب المقدَّس اذ يستسهلون بتر ما يستشهدون بهِ مما قبلهُ وما بعدهُ ويفسّرون معناهُ بحسب

هواهم واما الصواب في ذلك فهو ان يؤخذ الكلام من اول ما يتعلق بالدليل الى آخره ويعتبر عبارة واحدة ويحصّل منهُ المفهوم الذي ينطبق عليه جميعهِ وبعد ذلك يلزم ان يكون لا يناقض ولا يخالف شيئاً من الكتاب في موضع آخر لان الكتاب كلهُ كتب بالروح الواحد ٢ بط ١ : ٢٠ و٢١ والينبوع الواحد لا ينبع من عين واحدة العذب والمرّ يع ٣ : ١١

ونحن فيما سيأتي سنورد كلامهم في الادلة كما يستدلون بها ثم نورده كما هو الواجب فيهِ ونبين المعنى الصحيح منهُ والمفهوم الحق ليرى المطالع مقدار جرأة وجسارة هولاء المتمردين على الله في صورة المتعبدين وكيف يتلاعبون بكتابهِ • ومهما يكن في ذلك من مقتضى التطو بل فليس شيئاً في جنب ما يعرف بهِ من مقدار علم وامانة وتقوى هولاء الناس وتماديهم في نقض الدين والتهذيب والشعائر المسيحية جميعاً

ومع شدّة رغبتنا ان يستفيد من مؤلفنا هذا الجزئي جميع الزائغين الذين يجدّون في تيههم السُرى فيزدادون بجدّهم بعداً عن محجة الهدى فان املنا ضعيف بالذين منهم نشاؤوا وتربوا في بلاد الابتداع وبين اهلهِ بان ينتبهوا ويرعووا عما هم فيهِ ويؤوبوا فينضووا الى حظيرة المسيح الحقيقية المحفوظ فيها الايمان والتعليم والتهذيب كل ذلك صحيحاً سليماً لان هولاء بهرجهم الزمني يحجب ابصارهم ودعواهم العريضة تحجب بصائرهم ولكن املنا قويّ بالذين انقادوا اليهم مخدوعين بان يستيقظوا فيرعووا الى حضن امهم التي لا تزال تضرع الى الله من اجلهم • على ان مقصدنا بالذات انما هو اطلاع العامة من ابناء كنيستنا على صحة وثبات تعليم كنيستهم وتحذيرهم من خدعة

البدعة ليكونوا ثابتين باطمئنان وثقة في الارثوذكسية

وبعد ان كنا اعتمدنا غالباً في نقل الشواهد من الكتاب المقدس على ترجمة الآباء اليسوعيين البيروتية رأينا من الآن ان نوردها نقلاً عن الترجمة البروتستانية لان ذلك اشدُّ اقناعاً للمتروين وافحاماً للمماحكين منهم وهذا بسط الكلام على القضايا السبع المتقدمة في صدر الكتاب

القضية الاولى

يقول البروتستان انهُ بعد ان ولدت مريم العذراء يسوع المسيح عرفها يوسف المعرفة الزوجيَّة لان الانجيلي يقول ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمهُ يسوع مت ١: ٢٥

ونحن مع الاسف على ان التهوُّر في التصوُّرات الشهوانيَّة الجسديَّة يبلغ هذا الحدّ في احد ممن يدَّعي انهُ يقرأ الانجيل ويفهم الانجيل ويطبق حياتهُ وتصوُّراتهِ على تعليم الانجيل نقول لهم ان ما استدللتم بهِ لا يدلُّ على ما استدللتم بل على ما هو اسمى واسنى وليس المراد بهذه المعرفة المعرفة الزوجيَّة بل المعرفة المناقضة الجهالة اي انهُ بعد ان ولدت المخلص ورأى احوال ولادتهِ الغريبة العجيبة عرفها من هي اي والدة مخلص اسرائيل الموعود بهِ وانها من الطهارة والبرارة وسموّ المقام واستحقاق الاجلال والاعظام فوق جميع البشر. وها نحن نأتي بالكلام المتعلق بهذا الدليل بتمامهِ ونضعهُ بيننا وبينكم تحت النظر لاستظهار المفهوم الصحيح منهُ وهو

أمَّا ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت امهُ مخطوبة ليوسف

قبل ان يجتمعا وُجدت حبلى من الروح القدس فيوسف رجلها اذ كان بارًّا ولم يشأ ان يشهرها اراد تخليتها سرًّا ولكن فيما هو متفكر في هذه الامور اذا ملاك الرب قد ظهر لهُ في حلم قائلاً يا يوسف ابن داوود لا تخف ان تأخذ مريم امرأتك لان الذي حُبلَ بهِ فيها هو من الروح القدس فستلد ابنًا وتدعو اسمهُ يسوع لانهُ يخلص شعبهُ من خطاياهم . فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما امرهُ ملاك الرب واخذ امرأتهُ ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمهُ يسوع مت ١ : ١٨ — ٢٥

فالانجيليّ يشير الى تعليم شريفٍ ومعنى سامٍ وسرٍ عجيب فيقول ما بسطهُ ان يوسف قبل ان ينقل مريم الى منزلهِ قد عرف انها حُبلى وكان مضطربًا ومتحيرًا في هذا الامر فهو من جهة يأنف ان يتخذ التي حبلت قبل ان تهدى الى خطيبها امرأة لهُ ويساكنها ومن جهةٍ يتورَّع من ان يشهر امرها لما في ذلك من العيب والعار في ذريةٍ داوود وبالتالي من المناداة بالفحشاء في بيت اسرائيل وعلى الاخص بمن هم قدوة الشعب وخدَّام الله في هيكلهِ لان مريم كانت تربت في الهيكل فارتأى في نفسهِ ان يخليها او يطلقها سرًّا . فظهر لهُ الملاك في الحلم وقال لهُ لا تخف ان تنقل مريم امرأتك (اي خطيبتك) الى بيتك لان حبلها انما هو من الروح القدس وجعل لهُ علامةً على ذلك وهي انها ستلد ابنًا اذ انهُ من المعلوم ان البشر لا يعرفون ما ستلد الحبلى من ذكر او انثى وانما ذلك لله ولم يقتصر حتى قال لهُ ايضًا انهُ هو يسميهِ يسوع اي مخلصًا لانهُ يخلص شعبهُ من خطاياهم . وهذا اي مجيءُ المخلّص كان منتظرًا من بني اسرائيل جميعًا

ولما استيقظ يوسف نقل مريم الى منزلهِ ولما ولدت المخلّص شاهدهو
نفسهُ احوال ولادتهِ الغريبة وهو دعا اسمهُ يسوع وكان مما رآهُ في نفس
الليلة التي ولد فيها المخلص لهُ المجد من الامور العجيبة المدهشة والمعرّفة انهُ
ليس كسائر الناس انهُ كان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البرية يسهرون
علَى قطعانهم في هزْع الليل واذا ملاك الرب قد وقف بهم ومجد الرب اشرق
عليهم نخافوا جداً فقال لهم لا تخافوا فها انا ابشركم بفرح عظيم يكون لجميع
الشعب وذلك انهُ وُلِد لكم اليوم في مدينة داوود مخلّص هو المسيح الرب
وهذه هي العلامة لكم انكم تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في مِذوَدٍ وظهر
بغتةً مع الملاك جمهور من الجند السماويّ مسبّحين الله وقائلين المجد لله في
الاعالي وعلَى الارض السلام وفي الناس المسرَّة ٠ ولما مضت عنهم الملائكة
الى السماء قال الرجال الرعاة بعضهم لبعضٍ لنذهب الآن الى بيت لحم
وننظر هذا الامر الواقع الذي اعلمنا بهِ الرب فجاؤوا مسرعين ووجدوا مريم
ويوسف والطفل مضجعاً في المِذوَد فلما رأوهُ اخبروا بالكلام الذي قيل لهم
عن هذا الصبيّ وكل الذين سمعوا تعجّبوا مما قيل لهم من الرعاة واما مريم
فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرةً بهِ في قلبها لو ٢ : ٨ — ٢٠

فماذا ترى الآن ايها المطالع ذو العقل السليم ودع عنك الذين اذا قرأُوا
لا يفهمون واذا علّموا لا يتعلّمون انهُ بعد ان كان يوسف البار ارتاب في
أمر حبَل المباركة واراد تخليتها سرًّا وظهر لهُ ملاك الرب في الحلم وقال لهُ
انها حبلَى من الروح القدس وامرهُ ان لا يخاف من ان ينقلها الى منزلهِ
وانها ستلد ابناً وهو يسميهِ يسوع لانهُ يخلّص شعبهُ من خطاياهم وشاهد الآن

احوال ولادتهِ الغريبة وسمع من الرعاة الاخبار والاقوال العجيبة اتراهُ بعد هذا كلهِ عرفها المعرفة الزوجية ام عرفها من هي وما هي من الطهارة والبرارة وسموّ المقام واستحقاق الاجلال والاكرام وانهُ كان يعيش معها كخادمٍ تقيٍ امينٍ نشيطٍ

واذا كنا نقرأ ان تلاميذ السيد انفسهم بعد ان لازموهُ من بدء انذارهِ الي موتهِ وقيامتهِ وسمعوا تعاليمهُ ورأوا عجائبهُ وكان قد اعلمهم بكل ما سيحدث لهُ وحين ظهر لهم في الجليل بعضهم شكّوا مت ٢٨ : ١٧ الا ينبهنا ذلك ان يوسف كان يتردَّد في فكرهِ احياناً ما كان فيهِ من الارتياب قبل ان ظهر لهُ ملاك الرب في الحلم وقال لهُ لا تخف ان تأخذ مريم امرأتك الى آخرهِ وانهُ لما ولدت ورأى وسمع الاحوال الغريبة والاقوال العجيبة التي ظهرت في تلك الليلة حينئذٍ عرفها حقّ المعرفة انها الطاهرة البارَّة المباركة في النساء والدة ابن الله العليّ وذهب من فكرهِ ذهاباً كلياً ما كان يتردَّد فيهِ قبلاً

ام ترى يقولون ان يوسف عرف مريم المباركة في النساء المعرفة الزوجية بعد ان رأى المجوس قد اتوا من المشرق مقادين من نجم خصوصيّ قد جاء بهم حتى وقف حيث كان الصبيّ واذ رأوا الصبيَّ مع امهِ خرّوا وسجدوا لهُ وفتحوا كنوزهم وقدَّموا لهُ هدايا ذهباً ولُباناً ومُرًّا مخبرين بداعي مجيئهم منذ رأوا النجم في المشرق الى تلك الساعة مت ٢ : ١ — ١١ اذ يكون اذ ذاك اجلالها في نفس يوسف اكثر واعظم

ام تراهم لا يقرأون او لا يتنبهون انهُ قبل ان اجتمعا سمَّاها الملاك امرأة يوسف بقولهِ يا يوسف ابن داوود لا تخف ان تأخذ مريم امرأتك مت ١ : ٢٠

واما بعد اجتماعهما فلا الملاك ولا غيره يسميها امرأة يوسف بل ام الصبي ومن ذلك* وبعد ما انصرفوا (اي المجوس) اذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً قم خذ الصبي وامه واهرب الى مصر ... فقام (يوسف) واخذ الصبي وامه ليلاً وانصرف الى مصر ... واذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر قائلا قم خذ الصبي وامه واذهب الى ارض اسرائيل فقام (يوسف) واخذ الصبي وامه وجاء الى ارض اسرائيل مت ٢ : ١٣ و ١٤ و ٢٠ و ٢١ ولم يقل له الملاك خذ الصبي وامرأتك ولا قال الانجيلي فقام يوسف واخذ امرأته والصبي * كان عرس في قانا الجليل وكانت ام يسوع هناك ... قالت ام يسوع له يو ٢: ١ و ٣ مع النساء ومريم ام يسوع اع ١: ١٤ من اين لي ان تأتي ام ربي الي لو ١: ٤٣ بل يقرأون ولكن لا يتنبهون الى ما في الكتاب بل يهيمون بما في نفوسهم وبالاجمال اذا كان لم يعرفها المعرفة الزوجية قبل الولادة افيعرفها المعرفة الزوجية بعد الولادة وقد رأى ما رأى

مختصر ترجمة مريم العذراء ويوسف الخطيب

ولكي تكون ايها المطالع اكثر اطلاعاً واستنارة وتمييزاً في هذا الشأن نذكر لك هنا مما هو محفوظ بالتقليد الكنائسي مختصر ترجمة مريم العذراء ويوسف الخطيب وبعض الاحوال الزمنية في وقت ميلاد المخلص اقتطافاً من الصفحات ٢٧٢ و ٢٢٤ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٥ من كتاب السواعي الكبير المطبوع سنة ١٨٨٦ في مطبعة القبر المقدس للروم الارثوذكس في اورشليم

اما مريم العذراء فهي بحسب الاخبار المتداولة في الكنيسة من القديم قد وُلدت بوعد سنة ١٦ او ١٧ قبل ميلاد المسيح وكان والداها يواكيم

وحنة عاقرَين وطاعنَين في السن ويواكيم من سبط يهوذا من ذرية داود الملك واما حنة فمن سبط لاوي الكهنوتيّ ابنة متّان الكاهن ومريم امرأته

وبحسب الاخبار المتداولة ايضاً في الكنيسة قدِمت والدة الالهِ الى الهيكل وهي ابنة ثلاث سنوات اذ كانت نذيرة للهِ فاقامت في الهيكل احدى عشرة او اثنتي عشرة سنةً الى ان بلغت الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من عمرها واذ كانت قد صارت بالغةً خُطبت ليوسف باتّفاق رأي الكهنة لان والديها كانا قد ماتا قبل ذلك بثلاث سنين

واما يوسف فهو ابن يعقوب ابن متّان وصهرُ عالي (اوهالي الذي يقال لهُ ايضاً الياقيم ويواكيم) وهو ابو العذراء مريم ولذلك كان يقال عن يوسف انهُ ابنهُ (قابل مت ١:١٦ ولو ٣:٢٣) وكان يوسف بحسب الصناعة نجاراً ساكناً في مدينة الناصرة ولما خُطِبَت العذراء لهُ كان شيخاً وقد تمَّ ذلك بمسرّةِ الهيةٍ ليخدم العذراء في سرّ تدبير التجسد العظيم وكانت وفاتهُ بعد السنة الثانية عشرة بعد ميلاد المخلّص

اما ميلاد المسيح السرُّ الذي لا يدرك ولا يفسَّرُ فقد كان سنة ٥٥٠٨ لآدم حسب التاريخ الذي تتمسَّك بهِ الكنيسة الشرقيَّة الارثوذكسيَّة وكان حينئذٍ ملكاً عَلَى اليهوديَّة هيرودس الكبير الذي كان غريباً عن نسل يعقوب (اسرائيل) اجنبياً مولوداً من ابٍ عسقلانيّ وامٍّ ادوميةٍ وقد استعبد شعب اليهود مدة ٣٣ سنةً حائزاً الملك عليهم من لدن قياصرة رومية وكان سبط يهوذا الذي في يدهِ كان المُلك قبلاً قد حرِم كلَّ الوظائف والحقوق ونزعت منهُ كل رئاسة وسلطة ولمَّا كانت هذه حالة اليهود حين

وُلِدَ ماسياً المنتظر تمت نبوة ابي الآباء يعقوب تماماً عجيباً حيث تنبأ سنة ١٨٠٧ قبل ميلاد المسيح قائلاً (لا يزول المدبر من يهوذا ولا الرئيس من فخذيهِ حتى يأتي الذي لهُ الكل واياهُ تنتظر الامم تك ٤٩: ١٠)

وكانت ولادة المخلص في مدينة بيت لحم اليهودية التي كان يوسف قد صعد اليها من مدينة الناصرة في الجليل مع خطيبتهِ مريم وهي حبلى لكي يكتتبا هما ايضاً في دفتر الرعايا اتباعاً للامر الذي اصدرهُ اذ ذاك اوغسطس قيصر الجالس حينئذٍ على كرسي القيصرية في رومية ٠ فاذ حان وقت ولادتها ولم يكن في المنزل العمومي موضع زائد لازدحام الجمع المتقاطر اضطرَّت ان تدخل الى مغارة قريبة من بيت لحم كانت مربطاً للبهائم فولدت هناك وقمطت الطفل المولود واضجعته في مذود (لو ٢: ١--٧)

واذ قد علمت ترجمة كلٍ من مريم العذراء ويوسف الخطيب بالاختصار فلنعد الى ما كنا فيهِ قبل فنقول اولاً الا ترى ايها المطالع ان المرأة مهما كانت من انحطاط الشأن والتربية والمزايا الشخصية فضلاً عن بنت يواكيم وحنة المولودة بوعد والمتربية من طفوليتها في هيكل الله المصطفاة منهُ تعالى لتكون ام ابن العليّ اذا كانت لشريفٍ او وجيهٍ وخسرتهُ بموت او طلاق تأنف من ان تكون لمن هو اقلّ منهُ وعلى الغالب اذا كان لها ولد او اولاد تحدب عليهم ولا تتزوج واذ ذاك فما تظنُّ بالمباركة في النساء الممتلئة نعمةً المظللة بقوة العليّ المخاطبة من جبرائيل الملاك بقولهِ بعد التحية واعلان اختصاصها من الله بالاصطفاء ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينهُ يسوع هذا يكون عظيماً وابن العليّ يدعى ويعطيهِ الرب الاله كرسيّ داوود ابيهِ ويملك على

يت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ نهاية لو ١ : ٣١ - ٣٣ اترى انها بعد ولادتها المخلص واختبارها احوال ولادتهِ الغريبة وسماعها ما جاء بهِ الرعاة تقبل ان يعرفها يوسف المعرفة الزوجية

وثانياً ان اقل الرجال تورُّعاً وادباً واحتشاماً وتعقُّلاً وتحوُّطاً اذا قيل لهُ بالقول فقط هذا كرسيُّ ملكك فضلاً عن ان يكون يعرف ذلك حقيقة حق المعرفة لا تهجم بهِ نفسهُ عَلَى ان يجلس عَلَى ذلك الكرسيّ فضلاً عن ان يفعل عليهِ فعلاً يستحيي منهُ واذ ذاك فيوسف ابن داوود الشيخ الطاعن في السنّ المشهود لهُ من الانجيليّ الكاتب بالهام الروح القدس انهُ بارٌّ وقد ذكر لنا تروّيهِ في الامور وتورُّعه من مجرَّد اشهار ما فيهِ شائنة عَلَى فتاة كانت بحسب معرفتهِ ظهرت لهُ منها علامة الريب في ما يهينهُ ويشينهُ في عرضهِ وادبهِ وشرفهِ وبعد ان ظهر لهُ ملاك الرب وعرَّفهُ ان المباركة حبلى من الروح القدس وانها ستلد ابناً يخلص شعبهُ من خطاياهم وقد ولدت ابناً كما قيل لهُ من الملاك وهو شاهد احوال ولادتها الغريبة العجيبة وسمع من الرعاة ما اخبروا بهِ مما رأوهُ وسمعوهُ وكان يوسف وسائر بني اسرائيل ينتظرون ان يكون ذلك المولود ملكاً عليهم ايمكن لذي عقل سليم وادب حقيقي وصفات بشرية ان يظن ان يوسف يتهجم ان يعرف تلك الوالدة الجليلة المظلَّلة بقوة العليّ المعرفة الزوجيةَ اوليس الظن بهِ فضلاً عن القول بهِ واعتقادهِ والتعليم بهِ في اقصى درجات عدم التعقل

وبقي في المقام اعتبار آخر وهو ان الانجيليّ يقول (ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا (اي يوسف) (اسمهُ يسوع) وحينئذٍ تكون معرفتهُ

اياها المعرفة الزوجيَّة معلَّقة على ولادتها وعَلَى تسميتهِ هو المولود منها يسوع واذ ذاك فاذا صح تعليق معرفة الرجل زوجتهُ عَلَى ولادتها فهل يصح ايضاً تعليق ذلك عَلَى تسميتهِ ابنها او ليس انهُ يجب ان ينزَّهَ الكاتب بل الروح القدس الملهم الكاتب عن كتابة ما هو هذر وعبث ولغو · ولو قيل بدون تعقل ان ذكر التسمية لتحرير المعنى انهُ لم يعرفها بعد الولادة حالاً ولكن بعد مرور الوقت المعيَّن للتسميةَ قلنا ان الوقت المعيَّن للتسمية اليوم الثامن بعد الولادة (انظر لو ١ : ٥٩) وهل يُقدَّر عقلاً او عادةً او طبيعةً ان يوسف الشيخ البار يقدم عَلَى ان يعرف المباركة المعرفة الزوجيةَ بعد ولادتها بثمانية ايام

واذ قد ظهر تمام الظهور خطاء البروتستان في مفهومهم وفي اعتقادهم وفي تعليمهم في هذه القضيَّة من كل وجهٍ مما تقدَّم فلا يستبعد منهم ان يعودوا الى مبدئهم الخاص و يقولوا انما دليلنا قول الانجيليّ (ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر) بقطع كل نظرٍ عمَّا قبلها وعمَّا بعدها ولا نقبل فيها تفسيراً الا تفسيرها الحرفيّ كما تعطيهِ مفرداتها اللغوية وتركيبها النحويّ ظنًّا منهم انهُ بهذا يكون خطاؤُهم اخفى وخجلهم اخفّ ونحن لم نكن نريد تزييف علمهم مرة اخرى وتاكيد تيهانهم في الاوهام وانغلابهم للجسديات ولكن اذ لم يكن بدٌّ من البحث معهم في هذا الوجه ايضاً نقول ان الاشكال كلَّهُ من هذه العبارة في كلمة حتى فاذا تحرر معناها انجلى معنى العبارة جميعها وهذا امر يُرجَع فيهِ الى تقريرات اللغويين والنحويين وتحريراتهم وهذه تقريرات الافاضل المحققين من الفئتين · ففي صحاح الجوهريّ · حتى تكون جارَّة بمنزلة الى في الانتهاء والغاية وتكون عاطفة بمنزلة الواو وقد تكون حرف ابتداء

يستأنف بها الكلام بعدها اه قلت ويتعين في العبارة التي نحن بصددها كونها غائيةً ولا وجه للقول بانها عاطفة او ابتدائيةً ٠ وفي كليات ابي البقاء الغاية تدخل في حكم ما قبلها مع حتى دون الى حملاً عَلَى الغالب لان الاكثر مع القرينة عدم الدخول في الى والدخول في حتى اه وفي محيط المحيط حتى اذا لم يكن معها قرينة تقتضي دخول ما بعدها في حكم ما قبلها او عدم دخولهِ يحمل على الدخول بخلاف الى فانهُ يحكم بعدم دخولهِ حملاً عَلَى الغالب في البابين اه وفي الاشموني عَلَى الالفيةَ ٠ ان دلَّت قرينة عَلَى دخول ما بعدالى وحتى او عَلَى عدم دخولهِ عمل بها والاَّ فالصحيح في حتى الدخول وفي الى عدمهُ مطلقاً حملاً عَلَى الغالب فيهما عند القرينة اه وفي نار القرى مجرور حتى يحتمل ان يكون داخلاً في حكم ما قبلهُ او خارجاً عنهُ ما لم تقم قرينة على احد الوجهين فيحكم بمقتضاها فان انتفت القرينة يحكم بالدخول عند الاكثرين اه

فما تقدَّم من اقوال اللغويّين والنحويّين ترى انهُ اذا لم يكن قرينة اصلاً عَلَى دخول ما بعد حتى في حكم ما قبلها ولا عَلَى عدم الدخول يحكم راجحاً بالدخول ومن ثمَّ نقول انهُ مع الاستغناء عن القرائن الكثيرة التي قدَّمناها يبقى الحكم بالدخول وما قبل حتى في عبارتنا اي قولهِ ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر منفيٌّ فيكون ما بعدها منفياً وحاصلهُ انهُ لم يعرفها قبل الولادة ولا بعدها

ولتسهيل الكلام لكي يفهمهُ العامةَّ نورد مثالين من الكلام المتعارف اولهما ان يقال عاش فلان عزَباً ولم يتزوَّج حتى مات والثاني ان يقال سار

الى المدينة ولم يقف حتى دخلها ففي المثال الاول يدخل ما بعد حتى في حكم ما قبلها لانهُ ليس بعد الموت تزوَّج لو ٢٠ : ٣٤ — ٣٧ وفي الثاني لا يدخل بل يخالف لان القاصد الى غاية اذا بلغها يقف و يكون وقوفهُ حال وصولهِ اليها وهذا يلزم البروتستاني المصرّ ان يقول ان يوسف عرف مريم المعرفة الزوجيَّة بعد الولادة حالاً وهو مما لا يقول بهِ عاقل ولا يكون من ادنى البهائم ومن قبيل المثال الثاني اي مما لا يدخل فيهِ ما بعد حتى في حكم ما قبلها قول الملاك ليوسف قم وخذ الصبيَّ وامهُ واهرب الى مصر وكن هناك حتى اقول لك مت ٢ : ١٣ وهذا الذي لم نكن نريد ان نكشف بهِ الغطاء عن البروتستاني

ثم انهُ قد ورد مثل هذا التعبير في عدة مواضع من الكتاب المقدَّس يعترف البروتستاني كما نظن ان ما بعد حتى فيها داخل في حكم ما قبلها وكأنَّهُ انما يخالف ويصرُّ ويكابر في هذه العبارة لما فيها من كبح جماح النفس الشهوانية عن تصوراتها ومن تلك المواضع قول الكتاب وحدث بعد اربعين يوماً ان نوحاً ارسل الغراب فخرج متردداً حتى نشفت المياه عن وجه الارض تك ٨ : ٦ و٧ فهل يقول البروتستاني ان الغراب رجع بعد ان نشفت المياهُ عن الارض . وقولهُ ايضاً وقال الرب ... هلمَّ ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع (اي يفهم) بعضهم لسان بعض تك ١١ : ٧ فهل يقول انهُ بعد البلبلة كان بعضهم يسمع لسان بعض وقولهُ قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعداءك موطئاً لقدميكَ مز ١١٠ : ١ فهل يقول انهُ بعد ان يضع اعداءهُ موطئاً لقدميهِ ينحيهِ عن الجلوس عن يمينهِ وكما يخطئنا

يخطئ بولس بتعليمه انهُ جلس الى الابد عن يمين الله عب ١٠ : ١٢ ويعلّم ايضاً انهُ يجب ان يملك حتى يضع جميع الاعداء تحت قدميه ١ كو ١٥ : ٢٥ فهل يقول البروتستاني ان المسيح بعد ان يضع جميع اعدائهِ تحت قدميهِ يعتزل الملك او يعزل عنهُ . ولا عجب ان يظهر مثل هذه النتائج من الشرود والتهوُّر

على انهُ لو كان معنى قولهِ (ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر) على ما يفهمهُ ويعتقدهُ ويعلّم بهِ البروتستان لكانت هذه العبارة فضلةً تافهةً او لغواً يجل كاتب الوحي عن الاتيان بهِ ولاسيما بعد قولهِ انها قبل ان تجتمع هي ويوسف وُجدت حبلى من الروح القدُس وان يوسف كان باراً اذ انهُ حينئذٍ يمتنع عليهِ ديناً وادباً وخشيةً ان يقربها وهي حبلى من الروح القدس . ومعرفتها المعرفة الزوجيَّة بعد الولادة بحسب عادة الناس مما لا داعي يدعو الى ذكرهِ ولكن انما يبصر الذين لهم عيون ويسمع الذين لهم آذان

فانظر الآن الى سموّ طهارة وشرف قول الانجيليّ (ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع) في تعليم الكنيسة الارثوذكسيَّة والخصال التي تترتب عليهِ ديناً وادباً وجمال حياة في الارثوذكسيين رجالاً ونساءً والى دناءة ووخامة وسماجة معنى العبارة نفسها في تعليم البروتستان والخصال التي تترتب عليهِ فيهم رجالاً ونساءً ديناً وادباً وقذارة حياة

على انهُ من الواضح البيّن انهم في زعمهم ذلك لم يقصدوا سوى الحطّ من مقام مريم العذراء المباركة في النساء المنعم عليها من الله الحالّ عليها الروح القدس والمظللة بقوة العليّ ليغضوا من شأنها وينقصوا من طهارتها

ويجيسوا من برارتها لما هو مقرر في النفوس من ان البكارة اشرف من الثيوبة وهو قصدٌ منشأهُ كراهتهم بالعموم للفضائل النفسيَّة وعداوتهم بالخصوص لهذهِ الام المباركة النقيَّة

القضية الثانية

يقول البروتستان ان مريم العذراء بعد ان ولدت السيد يسوع المسيح عاشت مع يوسف العيشة الزوجيَّة وولدت منهُ اربعة بنين هم يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا . ويستندون في مقالتهم هذه اولاً الى قول الانجيلي ابنها البكر بانهُ لو لم تكن ولدت بعدهُ لكانت كلمة بكر لغواً وثانياً الى مواضع في العهد الجديد قيل فيها اخوتهُ ويوردون العبارات مقتطعة مبتورة كما يقرأونها بلا تدبُّر ولا تروٍ هكذا

(١) مت ١٢: ٤٦ اذا امهُ واخوتهُ قد وقفوا خارجاً (٢) مت ١٣: ٥٥ اليست امهُ تُدعَى مريم واخوتهُ يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا (٣) مر ٣: ٣١ فجاءت اخوتهُ وامهُ ووقفوا خارجاً (٤) مر ٦: ٣ اليس هذا هو النجار ابن مريم واخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان (٥) لو ٨: ١٩ وجاء اليهِ امهُ واخوتهُ (٦) يو ٢: ١٢ هو وامهُ واخوتهُ (٧) يو ٧: ٣—٥ فقال لهُ اخوتهُ انتقل من هنا ... لان اخوته ايضاً لم يكونوا يؤمنون بهِ (٨) اع ١: ١٤ مع النساء ومريم ومع اخوتهِ (٩) ١ كو ٩: ٥ كباقي الرسل واخوة الرب (١٠) غل ١: ١٩ ولكنني لم ارَ غيرهُ من الرُسُل الاَّ يعقوب اخا الرب

ونحن نقول انَّ لا شيءٌ مما ذُكر يدلُّ على ما استدلُّوا بهِ . وذلك لان

قولهُ ابنها البكر لا يستلزم ان تكون قد ولدت بعدهُ احداً بل كلُّ مولود اوَّل يقال لهُ بكرٌ سواءٌ ولدت امهُ بعدهُ او لم تلد وهذا في الكلام شائع ذائع قديماً وحديثاً وفي جميع طبقات الناس في كل صقع من اصقاع الارض . ومثل البكر الاوَّل في عدم استلزام الثاني فانك تقول هذا اوَّل درهم كسبتهُ اليوم وانت لا تدري ما اذا كنت تكسب غيره او لا

فان اصرَّ البروتستاني عَلَى ان قول الانجيلي ابنها البكر يستلزم ان تكون ولدت بعدهُ لزمهُ ان يعتقدان لله في اللاهوت ابناً آخر او ابناء لا يحصون كثرةً لقول بولس . متى دخل البكر الى العالم يقول ولتسجد لهُ ملائكة عب ١:٦ وبنكر قول يوحنا . لانهُ هكذا احبَّ الله العالم حتى بذل ابنهُ الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤْمن بهِ ... الذي يؤْمن بهِ لا يدان والذي لا يؤْمن قد دين لانهُ لم يؤْمن باسم ابن الله الوحيد يو ٣:١٦و١٨ وحينئذ يكون مسيحياً انجيلياً بالحقّ بحسب زعمهِ ويصدق قولهُ ان الكتاب المقدس بسيط حتى لا يغلط بفهمهِ احد

واما الادلَّة التي يوردونها مقطوعة مبتورة فلا شيء منها يدلُّ عَلَى الاخوَّة من الولادة بل كلها واردة بمعنى الاقرباء ولها فوائد خصوصيةٌ في مواضعها ونحن سنوردها بنصوصها التامَّة ونوضح مغزى ما هو منها اشد اغلاقاً ليقاس عليهِ غيرهُ وذلك بعد ان نبين بما لا يبقى معهُ تردُّد للعاقل بان لا ولد لمريم العذراء غير يسوع المسيح ولا ولد ليوسف اصلاً لا من مريم العذراء ولا من غيرها فنقول

انهُ في نصوص الانجيلين على تعيين السيدّ تلاميذهُ الاثني عشر يقول

مت ١٠ : ٢-٤ اما اسماء الاثني عشر رسولاً فهي هذه الاول سمعان الذي يقال لهُ بطرس واندراوس اخوه يعقوب ابن زبدي ويوحنا اخوهُ فيلبس وبرتلماوس توما ومتى العشار يعقوب ابن حلفى ولباوس الملقب تداوس سمعان القانوي (الغيور) ويهوذا الاسخريوطي

ويقول مر ٣ : ١٤-١٩ واقام اثني عشر ليكونوا معهُ وليرسلهم ليكرزوا وجعل لسمعان اسم بطرس ويعقوب ابن زبدي ويوحنا اخا يعقوب واندراوس وفيلبس وبرتلماوس ومتى ويعقوب ابن حلفى وتداوس وسمعان القانوي ويهوذا الاسخريوطي .

ويقول لو ٦ : ١٣-١٦ ودعا تلاميذهُ واختار منهم اثني عشر الذين سماهم ايضاً رسلاً سمعان الذي سماهُ ايضاً بطرس واندراوس اخاهُ يعقوب ويوحنا فيلبس وبرتلماوس متى وتوما يعقوب ابن حلفى وسمعان الذي يدعى الغيور يهوذا اخا يعقوب ويهوذا الاسخريوطي

فتراهم لا يذكرون انهُ عين احداً من اخوتهِ واننا بعد ذلك نجد بعضهم مسمين اخوة الرب كقول بولس في ١كو ٩ : ٥ العلنا ليس لنا سلطان ان نجول بامرأة اخت كباقي الرسل واخوة الرب وصفا وفي غل ١ : ١٨ و١٩ *صعدت الى اورشليم لكي اتعرف ببطرس فمكثت عندهُ خمسة عشر يوماً ولكنني لم ارَ غيرهُ من الرسل الاَّ يعقوب اخا الرب اه

فظهر لمن لهُ فهم ويريد ان يفهم ان الذين يقال لهم اخوة الرب من التلاميذ ليسوا اخوة لهُ من الولادة وانهم ابناء حلفى الذي يقال لهُ ايضاً كلاوبا وكليوباس ولعلهُ اخو يوسف الخطيب او شديد القربى اليه

بدليل ان الانجيلي يسمي امرأتهُ اختاً لمريم ام يسوع حيث يقول يو١٩: ٢٥ وكانت واقفات عند صليب يسوع امهُ واخت امهِ مريم زوجة كلاوبا ومريم المجدلية اه ومن المعلوم ان مريم العذراء كانت وحيدة لابويها ومما يؤيد كونها ليست اختاً لها من اولادة امها فانهُ ليس احد يسمي ابنتين لهُ باسم واحد الا اذا غلت اسعار الاسماء غلاء فاحشاً او انقطع واردها او جدبت الارض فلم تنبت اسماء ولو فرضنا ما لا يكون وهو ان احداً يسمي ابنتين لهُ باسم واحد لكان لا بدَّ لهُ من اختصاص احداهما بلقب او نعت يميزها عن الاخرى كالكبيرة او الصغيرة ونحو ذلك ولا شيء من ذلك هنا ولكن مر ١٥: ٤٠ يقول وكانت ايضاً نساء ينظرن من بعيد بينهنَّ مريم المجدلية ومريم ام يعقوب الصغير وام يوسي وسالومة اه ويعقوب الصغير هذا هو الذي يسمى اخا الرب هكذا عند جميع المسيحيين والبروتستان ايضاً يعترفون بذلك كما في مرشد الطالبين البروتستاني في ترجمة يعقوب الرسول حيث يقول كان يعقوب هذا يلقَّب بالاصغر تمييزاً بينهُ وبين يعقوب اخي يوحنا اه وبما انهُ نصَّ عليهِ انهُ ابن حلفي ونصَّ على امهِ انها امرأة كلاوبا يكون الاسمان حلفي وكلاوبا لمسمى واحد وقد علمت ان سمعان الغيور ويهوذا اخوا يعقوب فيكون الثلاثة اي يعقوب الصغير وسمعان الغيور ويهوذا الذين يقال لهم اخوة الرب ابناء حلفي الذي يقال لهُ ايضاً كلاوبا وليس احد منهم ولداً لمريم العذراء ولا ليوسف

ونزيد البروتستان الفائدتين الآتيتين لعلهم يرعوون

الاولى انهُ لا ولد لمريم العذراء غير يسوع المسيح بدليل قول الانجيلي

فلمَّا رأى يسوع امهُ والتلميذ الذي كان يحبهُ واقفاً قال لأمهِ يا امرأَة هوذا ابنك ثم قال للتلميذ هوذا امُّك ومن تلك الساعة اخذها التلميذ الى خاصتهِ يو ١٩: ٢٦و٢٧

فنرى ان السيّد وهو على الصليب في آخر الوقت قد خصَّ بالعناية بأمهِ يوحنا ابن زَبَدي وقد جعلهُ ابناً لها وجعلها اماً لهُ وقد اخذها يوحنا من تلك الساعة الى خاصتهِ . وفي هذهِ الحادثة دليلان احدهما ان يوسف كان قد مات اذ لم يقم لهُ ذكرٌ ولا اشارة اليهِ بعد صعودهِ مع الصبي يسوع وامهِ الى اورشليم اذ كان عمر يسوع اثنتي عشرة سنة لو ٢: ٤٢—٥١ في شيء من حوادث تعليم المسيح ولا في شيء من حوادث الآمهِ وخصوصاً في هذا الموقف * والثاني انهُ لم يكن لمريم ولد غير يسوع اذ لو كان لها ولد غيرهُ لما جعل السيّد امهُ تحت عناية من ليس هو في الحقيقة ولداً لها لما في ذلك من هضم حقوق من لها من الاولاد غيره بتنزيلهم منزلة العدم والباسهم الاحتقار والعار بعدم قيامهم بشأن والدتهم مما لا يفعلهُ ولا يليق ان يفعلهُ رجل غبيٌّ حطيط فكم بالاولى جداً ان ينزَّهُ عنه السيد المسيح ولو كان لها اولاد غيرهُ لكانوا اتوا واخذوها من يوحنا ابن زَبَدي بحقهم الشرعي تخلُّصاً من الغضاضة التي تلحقهم ببقائها عندهُ ولكن لم يكن شيء من ذلك فاذن لم يكن لها ولد غير يسوع . ولا يسع المماحك ان يقول انهُ يحتمل انهم جاؤُوا واخذوها بعد كتابة انجيل يوحنا لان انجيل يوحنا قد كتب في نحو سنة ١٠٠ للتاريخ المسيحي اذ لم يكن باقياً في هذه الحياة من جميع هولاء المذكورين سوى يوحنا

هذا وان الانجيلي لو ٢: ٤١—٥١ يقول وكان ابواهُ يذهبان كل سنة الى اورشليم في عيد الفصح ولما كانت لهُ اثنتا عشرة سنةً صعدوا الى اورشليم كعادة العيد وبعدما اكملوا الايام (سبعة ايام انظر خر ٢٣: ١٥ وتث ١٦: ٣) بقي عند رجوعهما الصبيُّ يسوع في اورشليم ويوسف وامهُ لم يعلما واذ ظنّاهُ بين الرفقة ذهبا مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الاقرباء والمعارف ولمّا لم يجداهُ رجعا الى اورشليم يطلبانه وبعد ثلاثة ايام وجداهُ في الهيكل جالساً في وسط المعلّمين يسمعهم ويسألهم وكل الذين سمعوهُ بهتوا من فهمهِ واجوبتهِ فلما ابصراهُ دُهشا وقالت له امهُ يا بُنيَّ لماذا فعلت بنا هكذا هوذا ابوك وانا كنا نطلبك معذَّبين الخ ولو كان لها اولاد غير يسوع لكان ميلادهم في مدة هذه الاثنتي عشرة سنة بين ميلاده والصعود الى اورشليم وهم حينئذٍ صغار لا بدَّ من احضارهم معهم الى اورشليم او تسليمهم الى من يعتني بهم ومدة غيبتهم قد طالت اذ كان يقتضي لهم سفر يومين علَى الاقل ليصلوا الى اورشليم وسبعة ايام فيها وقد ذهبا مع الرفقة يوماً وعادوا بيوم واقاما ثلاثة ايام يفتشان عنهُ وفي اليوم الرابع وجداهُ في الهيكل وقد عاتبتهُ امهُ علَى بقائهِ في اورشليم بدون علمهما ومجموع تلك الايام خمسة عشر يوماً وقد عادوا جميعاً الى موطنهما الناصرة وذلك يقتضي يومين وكان خاضعاً لهما وكانت امهُ تحفظ جميع هذه الامور في قلبها وفي كل ذلك لم يقع ذكر ولا اشارة الى ان لها اولاداً اصغر منهُ ولو كان لها اولاد غيرهُ لكان لا بد لها من ذكرهم واللهف عليهم الاَّ ان يقدّر البروتستاني ان قلب مريم كان من صخر صلدٍ حتى استحقّت ان يطوّبها جميع الاجيال ويقول ان يوسف

كان واحداً من اخوة يسوع وقد ذكر بينهم فينقض علينا كل ما قرَّرناه

الثانية انهُ لم يكن ليوسف ولد اصلاً لا من مريم العذراء ولا من غيرها ويتبيَّن ذلك مما يأتي وهو

(١) انهُ لو كان ليوسف اولاد من امرأة قبل مريم لكان يجب ان يحضرهم معهُ ان كانوا صغاراً او يحضروا معهُ ان كانوا كباراً حين جاء الى بيت لحم للاكتتاب (لو ٢: ١ — ٥) حيث ولدت مريم ابنها البكر لان الاكتتاب يقتضي ذلك وبما انهُ لا ذكر ولا اشارة الى شيءٍ من هذا يلزم ان لا يكون ليوسف ولد اصلاً

(٢) لقول الانجيليّ (مت ٢: ١٣ و١٤) وبعد ما انصرفوا (المجوس) اذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلمٍ قائلاً قم وخذ الصبيَّ وامهُ واهرب الى مصر وكن هناك حتى اقول لك لان هيرودوس مزمع ان يطلب الصبيَّ ليهلكهُ فقام واخذ الصبيَّ وامهُ ليلاً وانصرف الى مصر وكان هناك الى وفاة هيرودوس اه

فترى ان يوسف قام واخذ الصبي وامهُ وانطلق الى مصر في نفس الليلة التي ظهر لهُ الملاك فيها وهذا باعتراف البروتستان كما في كتاب الكنز الجليل في تفسير الانجيل بحسب البروتستانيَّة حيث يقول عند قول الانجيلي فقام واخذ الصبيَّ وامهُ ليلاً (المرجَّح انهُ ليلة الرؤيا ذاتها) ولو كان لهُ اولاد فان كانوا كباراً كان لا بدَّ لهُ من تعريفهم امر غيابهِ وتوصيتهِ اياهم بما تقتضيهِ الاحوال وعلى الاقلّ بما يوصي بهِ الآباءُ ابناءَهم عادةً واخيراً كان لا بدَّ لهُ من توديعهم ولاسيما لان غيبتهُ عنهم لم تكن محدودة · وان كانوا صغاراً

كان لا بدَّ لهُ من استصحابهم او اقامة احد عليهم قياماً بواجبات الابوَّة وعملاً بعواطف الانسانية وبما انهُ لا نصَّ ولا اشارة الى شيءٍ من ذلك يلزم ان يكون لا ولد ليوسف اصلاً وهذا ما لم ينقض علينا البروتستاني بان يوسف كان جلفاً متوحشاً ميّت العواطف عديم الشفقة عارياً من جميع خصائص الانسانية ويستند في ذلك كلّهِ الى قول الانجيليّ انهُ كان باراً ومتفكراً كثيراً ومتورّعاً (مت ١ : ١٩ و ٢٠)

(٣) قولهُ (مت ٢ : ١٩-٢٣) فلمّا مات هيرودوس اذا ملاك الربّ قد ظهر في حلُم ليوسف في مصر قائلاً قم وخذ الصبيّ وامهُ واذهب الى ارض اسرائيل لانهُ قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبيّ فقام واخذ الصبيَّ وامهُ وجاء الى ارض اسرائيل ولكن لمّا سمع ان ارخيلاوس يملك علَى اليهودية عوض هيرودوس ابيهِ خاف ان يذهب الى هناك واذ اوحي اليهِ في حلمٍ انصرف الى نواحي الجليل واتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة اه

فترى ان الانجيليَّ يبسط الكلام علَى الاحوال والامكنة ولكنهُ لا يذكر شيئاً ولا يشير الى شيءٍ يدلُّ علَى انهُ كان ليوسف اولاد ولو كان ليوسف اولاد لكان ان كانوا كباراً لا بدَّ من انهم يلاقونهُ ويستقبلونهُ او يرسل اليهم ويستحضرهم ليراهم ويتعرَّف احوالهم او صغاراً لا بدَّ لهُ من استحضارهم من حيث وضعهم واسكانهم معهُ في الناصرة . وبما انهُ لا شيء من ذلك في هذا الكلام علَى بسطهِ يلزم ان لا يكون ليوسف اولاد اصلاً .

ولنأتِ الآن علَى المواضع التي يستدل البروتستان بها علَى ان يسوع المسيح له اخوة من امهِ مريم العذراء ولدتهم بعدهُ ولكن لا كما يذكرونها

مقطوعة مبتورة مما قبلها ومما بعدها بل مستوفاة النصوص موضَّحة المعاني ·
وبما ان بعضها يتفق الشاهدان والثلاثة منها في السبب والمغزَى وبعضها
ينفرد سنورد المتَّفقات معاً والمنفردات علَى انفرادها

فما يتفق ما في مت(١٢: ٤٦—٥٠)حيث يقول وفيما هو يكلّم الجموع
اذا أُمهُ واخوتهُ قد وقفوا خارجاً طالبين ان يكلّموهُ فقال لهُ واحد هوذا
امك واخوتك واقفون خارجاً طالبين ان يكلّموك فاجاب وقال للقائل
لهُ من هي امي ومن هم اخوتي ثم مدَّ يدهُ نحو تلاميذه وقال ها امي واخوتي
لان من يصنع مشيئة ابي الذي في السماوات هو اخي واختي وامي

وفي (مر٣: ٣١—٣٥)فجاء حينئذٍ اخوتهُ وامهُ ووقفوا خارجاً وارسلوا
اليهِ يدعونهُ وكان الجمع جالساً حولهُ فقالوا لهُ هوذا امك واخوتك خارجاً
يطلبونك فاجابهم قائلاً من امي واخوتي ثمَّ نظر حولهُ الى الجالسين وقال
ها امي واخوتي لان من يصنع مشيئة الله هو اخي واختي وامي اه

وفي(لو٨: ١٩—٢١)وجاء اليهِ امهُ واخوتهُ ولم يقدروا ان يصلوا اليهِ
لسبب الجمع فاخبروهُ قائلين امك واخوتك واقفون خارجاً يريدون ان
يروك فاجاب وقال لهم امي واخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون
بها اه

فانت ترى ان تصوير الحادثة في كلام البشيرين الثلاثة مختلف
وجواب السيد ايضاً مختلف بحسب ذلك وانهُ بحسب ظاهر هذهِ النصوص
لم يذكر احدمنهم سبب مجيء امهِ واخوتهِ اليهِ ولااشار احد منهم الى ما كانوا
يريدون ان يكلموهُ بهِ

وقد المع الى ذلك (مر ٣:١٩٠٣–٣٥) حيث قال ثمَّ اتوا الى بيت فاجتمع ايضاً جمع حتى لم يقدروا علَى ان يأكلوا خبزاً . ولمَّا سمع اقرباؤهُ خرجوا ليمسكوهُ لانهم قالوا انهُ مختلٌ فالذين سمَّاهم في عدد ٢١ اقرباءهُ هم الذين سمَّاهم في عدد ٣١ اخوتهُ والسبب في وقوفهم خارجاً نصَّ عليهِ لوقا بقولهِ ولم يقدروا ان يصلوا اليهِ لسبب الجمع

واما اختلاف جواب السيد في كلام البشرين فهو بحسب ما صوَّرت الحادثة بهِ من مخاطبة اليهود لهُ بشأن أُمهِ واخوتهِ وذلك ان اولئك المجتمعين حوله النائلين منهُ الاشفية من امراضهم بدلاً من ان يشكروا لهُ علَى احساناتهِ قد قصدوا ان يهينوهُ ويخجلوهُ بحقارة انسبائهِ وضعفهم اذ لم يكن لهم من الأُبهة ما يجعل الناس ان يفسحوا لهم ليدخلوا اليهِ فاجابهم بما ينفي ذلك عنهُ وعن اقربائهِ ويكسو بهِ عديمي الشكر ففي متى اذ يقول فقال لهُ واحد هوذا امك واخوتك واقفون خارجاً طالبين ان يكلّموك وهو كلام شديد في التحقير والتخجيل كما لا يخفى اجاب مَن هي امي ومن هم اخوتي الى آخرهِ وكأنهُ قال ليس الغنى والوجاهة والمجد العالمي عندي بشيء وانت ايها المتكلم بدلاً من انك تعيّرني باقربائي الواقفين خارجاً عيّرني ان كان ذلك عاراً بتلاميذي هولاء الحاضرين امام هولاء الجمع وانما المعتدُّ بهِ عندي تقوى الله فكل من يتقي الله ويحفظ وصاياهُ هو نسيبي بين اخٍ واختٍ وأُمٍ . ومرقس ذكر الخطاب بعبارةٍ اخفَّ فذكر ايضاً الجواب بعبارة اخفَّ ولوقا ذكر الخطاب بعبارة اخفَّ مما في مرقس فذكر الجواب ايضاً بعبارة اخف مما في مرقس . ومما يجب التنبه اليهِ ان السيد مع انه اراد بجوابهِ شمول

الانقياء وفيهم بلا شكّ متقدمون في السنّ كما فيهم متقدّمات في السنّ لم يقل وابي كما قال وامي لانهُ اراد الانسباء بالجَسَد وليس لهُ اب بالجسد ·
ولا يقال انهُ لم يكن داعٍ لذكر الاب لانهم انما قالوا لهُ امك واخوتك ولم يقولوا ابوك لأنا نقول انهُ اراد شمول الانقياء لا الاقتصار عَلَى حدّ خطابهم والاّ لما كان من داعٍ لذكر الاخت لانهم لم يقولوا لهُ اخوتك واخواتك
و يستفاد من اختلاف عبارة الجواب في تقرير البشيرين الثلاثة ان المقرَّر في كلامهم انما هو المعنى لا عين اللفظ الذي نطق بهِ السيّد لهُ المجد لانه يستحيل ان يكون نطق بثلاث عبارات مختلفة اللفظ بجواب واحد · وهذا هو عين التقليد

فان لم يعترف البروتستاني بصحة ما قررناهُ لزمهُ اخذ الوجوهِ الاربعة الآتية وهي

الاوَّل ان يدعي على السيد المسيح الجهل اي عدم معرفة من هي امهُ ومن هم اخوتهُ وانهُ قد جازف في الجواب حتى جعل الشخص الواحد يتصف بكونهِ اخاً واختاً واماً لهُ وحينئذٍ يثبت لهُ كمال صفات العقلاء الانقياء الانجيليين

الثاني ان يدَّعي ان السيد المسيح أَنِفَ استكباراً ان يعترف بامهِ واخوتهِ فاجاب بما معناهُ انكار ان يكون لهُ ام واخوة وقصر قرباهُ من الناس عَلَى تلاميذهِ وان كانوا مختلفي الآباء والبيوت والعشائر و بالتالي انهُ اعترف باخوَّة يهوذا الاسخريوطي مفضلاً ذلك على اعترافهِ بامهِ مريم بنت يواكيم واخوتهِ الشديدي القربى منهُ الذين حملتهم حميَّة القربى منهُ وشدَّة الغيرة

عليه عَلَى ان يأتوا ويأخذوهُ من بين الجمع ويستند في هـذا الادّعاء عَلَى الوصيَّة الخامسة اكرم اباك وامك وعَلَى قول السيداني وديع ومتواضع القلب (مت ١١ : ٢٩) ويؤيّد زعمهُ بان هذا هو اللائق بالمسيح

الثالث ان يدّعي ان لا امَّ في الحقيقة ولا اخوة للمسيح محافظةً على عَلَى ظاهر قولهِ من هي امي ومن هم اخوتي اذ الذي لهُ امٌّ واخوة لا يجهلهم ولا يستفهم عنهم هذا الاستفهام الانكاريَّ ثم يقيم برهانًا من ذلك على ان لهُ اربعة اخوة من امهِ مريم هم سمعان ويوسي و يعقوب ويهوذا

الرابع ان يقول لا ادري ويؤيد بذلك دعواهُ ان الكتاب المقدَّس كلهُ بسيط يفهمهُ كل احد حتى الاطفال

ومما يتفق ايضًا ما في (مت ١٣ : ٥٤—٥٧) حيث يقول ولما جاء الى وطنهِ كان يعلّمهم في مجمعهم حتى بهتوا وقالوا من اين لهـذا هذه الحكمة والقوَّات اليس هـذا ابن النجار اليست امهُ تدعى مريم واخوتهُ يعقوب و يوسي وسمعان ويهوذا او ليست اخواتهُ جميعهنَّ عندنا فمن اين لهذا هذه كلها فكانوا يعثرون بهِ واما يسوع فقال لهم ليس نبيٌّ بلا كرامةٍ الاَّ في وطنهِ وفي بيتهِ

وما في مر (٦ : ١—٤) حيث يقول وجاء الى وطنهِ وتبعهُ تلاميذهُ ولمَّا كان السبت ابتدأ يعلّمهم في المجمع و كثيرون اذ سمعوا بهتوا قائلين من اين لهذا هذه وما هذه الحكمة التي اعطيت لهُ حتى تجري عَلَى يديهِ قوات مثل هذه اليس هذا هو النجار ابن مريم واخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان او ليست اخواتهُ ههنا عندنا فكانوا يعثرون بهِ فقال لهم يسوع ليس نبيٌّ بلا

كرامةٍ الاَّ في وطنهِ وبين اقربائهِ وفي بيتهِ

فترى ان اهل وطنهِ الذين نشأ بينهم يتعجبَّون ويستغربون حكمتهُ والقوات التي تجري على يديهِ ويقولون من اين لهُ كل هذا ونحن نعرفهُ ونعرف اقرباءهُ جميعاً رجالاً ونساءً وليس فيهم ما يمتازون بهِ عن سائر الناس علماً ولا حكمةً ولا قدرةً ولهذا قال لهم ليس نبيٌّ بــلا كرامةٍ الاَّ في وطنهِ وبين اقربائهِ وفي بيتهِ

هذا وان متى يقول اخواتهُ جميعهنَّ عندنا ومرقس يقول اخواتهُ ههنا عندنا كما ترى ولسنا نعلم ما الذي يمنع البروتستان ان يدَّعوا ان ليسوع المسيح اخوات من امهِ كما ادعوا ان لهُ اخوة من امهِ ولا سيما ان عبارة الاخوة محصورة في اربعة وعبارة الاخوات غير محصورة فهي تصدق في ثلاث فما فوق بقدر ما يشاؤُون

وينفرد قول (يو٢: ١—٣) كان عرس في قانا الجليل وكانت ام يسوع هناك ودُعي يسوع وتلاميذهُ الى العرس ولما فرغت الخمر قالت ام يسوع لهُ ليس لهم خمر ... وكانت ستةَ اجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين او ثلاثةَ قال لهم يسوع املأُوا الاجران ماءً فملأُوها الى فوق ثم قال لهم استقوا الآن وقدّموا الى رئيس المتكاء ... وبعد هذا انحدر الى كفرناحوم هو وامهُ واخوتهُ وتلاميذهُ واقاموا هناك اياماً ليست كثيرة

فوجود ام يسوع في هذا العرس قبل ان يحضرهُ يسوع ثم دعوة يسوع اليهِ وحضورهُ هو وتلاميذهُ واهتمام ام يسوع بامر الخمر وتحويل يسوع من

من الماء خمراً جيدةً كميةً كبيرةً وانحداره ُ بعد ذلك هو وامهُ واخوتهُ وتلاميذهُ الى كفرناحوم واقامتهم جميعاً هناك اياماً ليست كثيرة كل ذلك يدلُّ على ان المقول لهم هنا اخوتهُ هم اقرباء شديدو القربي وهم غير اولاد حلفى لان اولاد حلفى معدودون في جملة تلاميذهِ وتصوير هذه الحادثة من القرائن ان العرس كان لبعض الانسباء الاقربين فجاءت اليهِ ام يسوع اولاً وبعد يوم او يومين او اكثر دعي يسوع فجاء هو وتلاميذهُ وكانت قد طالت مدَّة العرس ففرغت الخمر وانهُ حول من الماء كميةً كثيرة خمراً لتكفي للعرس وان طال ايضاً وانهُ كان ايضاً في العرس اقرباء لهُ من كفرناحوم فلما انقضى العرس نزل هو وامهُ وتلاميذهُ الى كفرناحوم مع اولئك الاقرباء واقاموا عندهم اياماً ليست كثيرة بل بحسب العادة من زيارة الاقرباء بعضهم بعضاً ولهذا لم يذكر انهُ علَّم ولا عمل ايات في كفرناحوم في تلك الايام لانهُ لم يأتِ اليها للتعليم ولكن لزيارة الاقرباء

وينفرد ايضاً ما في (يو ٧: ٢—١٠) وهو قولهُ وكان عيد اليهود عيد المظال قريباً فقال لهُ اخوتهُ انتقل من هنا الى اليهودية ليرى تلاميذك ايضاً اعمالك التي تعمل لانهُ ليس احدٌ يعمل شيئاً في الخفاء وهو يريد ان يكون علانيةً ان كنت تعمل هذه الاشياء فاظهر نفسك للعالم لان اخوتهُ لم يكونوا يؤمنون بهِ فقال لهم يسوع ان وقتي لم يحضر بعد واما وقتكم ففي كلّ حين حاضر اصعدوا انتم الى هذا العيد انا لست اصعد بعد الى هذا العيد لان وقتي لم يكمل بعد قال لهم هذا ومكث في الجليل ولما كان اخوتهُ قد صعدوا حينئذٍ صعد هو ايضاً الى العيد لا ظاهراً بل كأنهُ في الخفاء

والامر واضح ان المقول عنهم في هذا الكلام اخوتهُ هم اقرباءُ اذ لو كانوا اخوته من امهِ لكانت امهم تعرفهم الحقيقة ولو كانوا ابناء يوسف لكان يوسف يعرفهم الامر كما يعرفهُ هو وانت ترى كلامهم ليس كلام اخوة حقيقيين ولا كلام ذوي مودةٍ بل كلام يتبجس مرارةً وبغضاً واستهانةً وهو اقرب الى التهكم منه الى التحريض ولهذا لم يرد السيد لهُ المجد ان يصعد معهم ولا ان يجعلهم يعلمون بصعودهِ فوريًّا بحضور الوقت الذي يكون موقوفاً على ارادتهِ متى شاء بعد ذلك وقد صعد بعدهم متخفياً وكأنهُ فعل ذلك اتقاء غائلةٍ تكون منهم او بسعايتهم ويدلك على ان جوابهُ لهم كان من قبيل التورية انهم مع ما فيهم من سوء الداخلية لم يقدروا ان يعاتبوهُ فيهِ لانهم ادركوا انهم فاتهم الفهم في وقتهِ . ولعل قولهُ ليس نبيٌّ بلا كرامةٍ الا في وطنهِ وبين اقربائهِ وفي بيتهِ (مر ٦ : ٤) ايماء الى هولاء الاخوة

وكذلك ينفرد ما في (اع ١ : ١ — ١٤) حيث يقول الكلام الاول انشأتهُ ياثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعلهُ ويعلم بهِ الى اليوم الذي ارتفع فيهِ بعد ما اوصى بالروح القدس الرُسُل الذين اختارهم ··· وفيما هو مجتمع معهم اوصاهم ان لا يبرحوا من اورشليم بل انتظروا موعد الآب الذي سمعتموهُ مني ··· ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون واخذتهُ سحابةٌ عن اعينهم ··· حينئذٍ رجعوا الى اورشليم الى العلية التي كانوا يقيمون فيها بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس وفيلبس وتوما وبرتلماوس ومتى ويعقوب ابن حلفى وسمعان الغيور ويهوذا اخو يعقوب هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفسٍ

واحدةٍ على الصلاة والطلبة مع النساء ومريم ام يسوع ومع اخوتهِ

فترى انهُ في جملة اسماء الذين كانوا يقيمون في العلية قد ذكر اسماء ابناء حلفى يعقوب وسمعان الغيور ويهوذا وقال بعد ذلك هولاء كلهم كانوا يواظبون على الصلاة مع النساء ومع مريم ام يسوع ومع اخوتهِ · اما النساء اللواتي يذكرهنَّ هنا فلا اقرب من ان بينهنَّ مريم المجدلية ومريم التي لكلاوبا وغيرهما ممن كنَّ قد آمنَّ بهِ · واما اخوته المذكورون هنا فليسوا ابناء حلفى لتقدم ذكر ابناء حلفى في جملة التلاميذ فيلزم البروتستاني ان يقول انهم من الاقرباء او يدَّعي انهم اخوة آخرون ليسوع من امهِ ولدتهم من يوسف اذ لم يدع البروتستاني عليها انها تزوجت رجلاً آخر بعد يوسف وبما انهُ عرف قبل منهم اربعة يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا فليقدّر عدّة هولاء ثمانية لكي لا يكون ابناء يعقوب المسمَّى اسرائيل اكثر من ابناء يوسف ومريم وكثرة الذريَّة من اعظم البركات ولا يأسو على انهُ فاتتهُ الدعوى بذلك قبل اذ ليس في مثل هذه الدعوى مرور زمان

وبقي مما انفرد قول بولس في (غل ١ : ١٨ و١٩) صعدت لاورشليم لاتعرَّف بطرس فمكثت عندهُ خمسة عشر يوماً ولكنني لم ارَ غيرهُ من الرُسُل الاَّ يعقوب اخا الرب · وقولهُ ايضاً في (١ كو ٩ : ٥) العلنا ليس لنا سلطان ان نجول بامرأةٍ اختٍ كباقي الرسل واخوة الرب وصفا اه وهذان القولان متجهان الى اولاد زبدى المعدودين في جملة الرسل كما تقدَّم

وقد قدَّمنا الكلام ان المترجم البروتستاني قد حرَّف هذه العبارة الاخيرة تحريفاً مقصوداً فجعلها باخت زوجة بدلاً من امرأة اخت

فليراجع في محلهِ

على ان كلمة اخوة وردت في الكتاب المقدس العهدين العتيق والجديد بمعنى الانسباء كقول عبد ابراهيم مبارك الرب اله سيدي ابراهيم الذي لم يمنع لطفهُ وحقهُ عن سيدي اذ كنت انا في الطريق هداني الرب الى بيت اخوة سيدي (تك ٢٤ : ٢٧)

و بمعنى ابناء القبيلة ومنهُ فاجاب اسحاق وقال لعيسو اني قد جعلتهُ (اي يعقوب) سيداً لك ودفعت اليهِ جميع اخوتهِ عبيداً (تك ٢٧ : ٣٧)

وبمعنى الانصار والاتباع والخدم والاجراء والرعيان ونحوهم ومنهُ قولهُ فاغتاظ يعقوب وخاصم لابان واجاب وقال للابان انك جسست جميع أثاثي ماذا وجدت من جميع اثاث بيتك ضعهُ هنا قدام اخوتي واخوتك (تك ٣١ : ٣٦و٣٧)

وبمعنى اهل البيت بالاجمال بما يشمل البنين والاجراء والرعيان وغيرهم ومنهُ وقال يعقوب لاخوتهِ التقطوا حجارة فاخذوا حجارةً وعملوا رجمةً (تك ٣١ : ٤٦)

وبمعنى الاضياف في قولهِ وذبح يعقوب ذبيحةً في الجبل ودعا اخوتهُ ليأكلوا طعاماً فاكلوا طعاماً وباتوا في الجبل ثم بكَّر لابان صباحاً وقبَّل بنيهِ وبناتهِ وباركهم ومضى (تك ٣١ : ٥٤ و ٥٥)

وبمعنى ابناء السبط ومنهُ واذا جاء لاويٌ من احد ابوابك . . . وخدم باسم الرب الهك مثل جميع اخوتهِ اللاويين (تث ١٨ : ٦و٧)

وبمعنى الشعب ومنهُ وحدث لما كبر موسى انهُ خرج الى اخوتهِ

لينظر اثقالهم (خر ٢ : ١١)

وبمعنى الاقرباء البعيدي القربي ومنهُ انتم مارُّون بتخم اخوتكم بني عسو (تث ٢ : ٤)

وبمعنى الاصدقاء والمحبين ومنهُ وان سلمتم عَلَى اخوتكم فقط فايُّ فضل تصنعون (مت ٥ : ٤٧)

وبمعنى اهل الايمان المجتمعين في مكان ومنهُ وفي تلك الايام قام بطرس في وسط التلاميذ وكان عدَّة اسماءٍ معاً نحو مئة وعشرين فقال ايها الرجال الاخوة (اع ١ : ١٥ و١٦)

وبمعنى اهل الايمان وان كانوا اخصاماً ومنهُ اهكذا ليس بينكم حكيم ولا واحد يقدر ان يقضي بين اخوتهِ ولكن الاخ يحاكم الاخ وذلك عند الغير المؤمنين (١ كو ٦ : ٥) وامثال هذه في الكتاب المقدَّس كثيرة جدًّا وفي هذا القدر كفاية

ومع ورود كلمة الاخوة في الكتاب المقدَّس بهذهِ المعاني كلها لم يرَ البروتستان ان ينسبوا الاخوة ليسوع المسيح الاَّ بالولادة من امهِ وما ذلك الاَّ بعض ما توجيهِ اليهم اميالهم وشهواتهم

وهنا ننبّه المطالع ان ينظر و يعتبر اوَّلاً مقدار علم وتروّي وتورُّع هولاء الناس وثانياً ما هو تعليمهم الذي يدعون الناس اليهِ وثالثاً مقدار تعقل وعلم من ينحاز اليهم من المسيحيين

القضية الثالثة

يقول البروتستان ان مريم بعد ان ولدت يسوع لم تبقَ عذراء وبعدان

عاشت مع يوسف العيشة الزوجية لم تبق بتولاً ومن ثمَّ لا يصحُّ ولا بوجهٍ اصلاً ان يقال لها مريم العذراء ولا الدائمة البتولية

ونحن نقول اما قولهم انها لم تبق بتولاً لانها بعد ولادتها المخلص عاشت مع يوسف العيشة الزوجية وولدت منهُ يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا فقد بينا في القضيتين السابقتين بطلانهُ بما لم يبق معهُ حاجة الى المزيد واما قولهم انها بعد ولادتها المخلص لم تبق عذراء فبعد ان نصرّح بان التعليم بانها بقيت بعد ولادة المخلص عذراء كما كانت قبل ولادتهِ عذراء ليس هو عندنا عقيدة خلاصية بل هو تعليم كنائسي تهذيبي نقول فيهِ

(١) انهُ قضية مأخوذة بالتسليم القديم وهو محفوظ ليس في الكنيستين الشرقية والغربية فقط بل عند جميع الفرق التي انفصلت عن الكنيسة الجامعة منذ اقدم اجيال الكنيسة على تعدُّد تلك الفرق واختلاف تعاليمها ولم يشتبه بهِ احدٌ في مدة الخمسة عشر قرناً حتى ظهرت بدعة البروتستان في القرن السادس عشر واخذت اولاً في التعرّي من التعاليم الكنائسية التهذيبية ثم في انكار سلطان الكنيسة والاسرار السبعة ثم اطلقوا لانفسهم العنان في الفكر واللسان ثم جمعوا كل قول زائغ سمع من البدع السابقة واتخذوا مجموع تلك الاقوال الزائغة بضاعة لهم ثم زادوا على الجميع القول بان مريم المباركة بعد ولادتها المخلص لم تبق عذراء وانها بعد الولادة عاشت مع يوسف العيشة الزوجية وولدت منهُ البنين واخذوا ينادون في عامة زمانهم ليس بهذا فقط بل بكل ما فيهِ حملهم على العفة وطهارة الحياة ليقتلعوا ذلك منهم ويعوضوهم منهُ الجماح مع هوى النفس والتجرُّد من الخصال المسيحية الى حياة حيوانية

ولا شك ان العاقل المتروّي يرى اولاً ان وجود هذا التقليد في الكنيستين الشرقية والغربية على انتشار اتباعهما في اقطار الارض وعند الفرق المنفصلة منذ القرن الاول الى القرن الخامس عشر برهان ساطع قاطع على قدميته وصحته ويضحك ممن يقول ان الوف والوف الوف المسيحيين جهلوا وعموا وخرسوا مدة خمسة عشر قرناً حتى ظهر لوتير ومشايعوه ويحكم بلا تردُّد بان هذا الانكار جهالة لم يقم قبلها افظع منها ولا مثلها

وثانياً ان مما هو مقبول بالتقليد ليس في الكنيستين الشرقية والغربية والفرق المنفصلة عنهما فقط بل عند البروتستان ايضاً ما هو اعظم واهم جداً من هذه القضية ومن ذلك التصديق بان اسفار العهد الجديد السبعة والعشرين هي لمن نسبت اليهم حقاً وصدقاً والاَّ فكيف نصدّق ان انجيل متى كتابة متى وهكذا في سائرها بل كيف نصدّق انهُ وجد متى المنسوب اليهِ انجيل متى واذا كان ما هو اهم واعظم مقبولاً بالتقليد المحفوظ في الكنيسة وعند البروتستان ايضاً فما المانع من قبول هذه القضية التهذيبية بالتقليد المحفوظ في الكنيسة

ونخصُّ بالذكر ممن يعترف ان التصديق بان اسفار العهد الجديد هي حقاً وصدقاً لمن نسبت اليهم وان قبولها كتباً قانونية كل ذلك انما هو بالتقليد الفرقة الانكليكانية من الفرق البروتستانية في الرسالة المؤلفة من اسقف سالسبري ومصدّقة من رئيس اساقفة كنتربري ومن جمعية ترقية المعارف المسيحية في نور ثمبرلند سنة ١٩٠٤ ففي صفحة ٣٢ منها ان كنيسة انكلترا تقبل وتحترم تقاليد الكنيسة الاولية القدم الموافقة للكتب المقدسة فانها لا يفوتها ان

سلك الاسفار المقدَّسة في قانون كتب الاصول ذاتهُ يقبل منّاً بالتقليد وعلى هذا البناء نقبل لفظة (الثالوث) وتقديس يوم الاحد وتعميد الاطفال وما شاكل من عقائد الكنيسة الجامعة الخ

اما ان كان (انكار هذه القضيَّة التقليديَّة لما فيها من خرق ناموس الطبيعة) ففي العهدين من الكتاب المقدَّس امور كثيرة خارقة ناموس الطبيعة . منها ان السيد لهُ المجد طلى عيني الاعمى منذ ولادتهِ بطين فابصر يو ٩ : ٦ و٧ مع ان البصير اذا طليت عيناهُ بطين يعمى ومنها انهُ حوَّل الماء خمراً جيدة بمجرَّد وضعهِ في اجران من حجارة يو ٢ : ٦ و٧ وفي ناموس الطبيعة اذا تلوعب بالخمر هكذا تفسد ومنها امرهُ البحر الهائج بالهدء فهدأ مر ٤ : ٣٧—٣٩ والبحر لا سمع لهُ ولا ارادة لتتأتى منهُ الطاعة ومنها اشباع خمسة الآف رجل عدا النساء والاولاد من خمس خبزات مت ١٤ : ١٤—٢١ وليس في ناموس الطبيعة ان خمس خبزات تشبع خمسة رجال فضلاً عن خمسة الآف رجل فكيف نصدّق هذه وننكر ما هو نظيرها واقرب منها حصولاً في حكم العقل ونحن نقرأ انهُ صنع ايات كثيرة لم تكتب في الكتاب يو ٢٠ : ٣٠

ومما يجب ان يتنبَّه اليه ذو العقل والدين انهُ اذا فتح باب الشك والانكار يتطرّق الفكر المجرَّد من الايمان الى انكار كل ما لا يشاهده عياناً مما يفوق مقدرتنا ولا سيما ما يفوق ادراكنا كما ان كثيراً من الفرق البروتستانية انتهوا الى مثل ذلك

(٢) اننا نرى وكل ذي عقل سليم وفهم مستقيم يرى كما نرى ان التي لم يكن حبلها كحبل سائر النساء لا تكون ولادتها كولادة سائر النساء

(٣) ان المولود منها كما انهُ لم يكن انساناً مجرداً كسائر الناس لم تكن ولادتهُ كولادة سائر الناس

(٤) انا نجد المباركة في حال ولادتها ليست كسائر النساء في حال ولادتهنَّ وذلك في قول الانجيلي فصعد يوسف من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داوود التي تدعى بيت لحم لكونهِ من بيت داوود وعشيرتهِ ليكتتب مع مريم امرأتهِ المخطوبة وهي حبلَى وبينما هما هناك تمَّت ايامها لتلد فولدت ابنها البكر وقمَّطتهُ واضجعتهُ في المذود اذ لم يكن لهما موضع في المنزل (لو ٢: ٤—٧) اذ لا يعرف ان بكراً لها من العمر ١٤ او ١٥ سنة متغربةً لا شيء عندها من الاثاث ولا من الاواني تلد في مغارة بدون قابلة ولا نساء حولها يساعدنها ثم تستطيع هي نفسها ان تقمّطهُ وتقوم فتضجعهُ في المذود

ولا يقال ان الكرسي للولادة لم يكن اذ ذاك معروفاً لاننا نقول انهُ كان معروفاً من قبل بما ينيف عن خمسة عشر قرناً بدليل قول فرعون للقابلتين حينما تولّدان العبرانيات وتنظرانهنَّ على الكراسي (خر ١: ١٥)

(٥) انا نجد ان المخلّص بالجسد الذي اتخذهُ من المباركة قد خرج من القبر المختوم ولم يفضَّ ختمهُ (مت ٢٧: ٦٦) حتى انَّ الحرَّاس الذين كانوا محافظين على القبر وساهرين عليهِ لم يشعروا بتحرُّك الحجر عن باب القبر ومعلوم انهُ كان حجراً كبيراً ومحكم الوضع والاَّ لما كان لختمهِ معنىً. واذا كان خرج من القبر المختوم ولم يفض ختمهُ فكم بالاولى ان يكون ولد من والدتهِ العذراء ولم يثلم عذريتها

(٦) انا وجدنا المخلّص بالجسد الذي اتخذهُ من المباركة يدخل بعد قيامتهِ

عَلَى تلاميذهِ والابواب مغلقة يو ٢٠: ١٩ و٢٦ وذلك واضح انهُ حين يشاء يخرق ناموس الطبيعة

(٧) انا نجد من نبوات العهد القديم ما هو اظهر الوجوه في تفسيرهِ الدلالة عَلَى بقاء عذريَّة مريم العذراء غير مثلومة بعد الحبل والولادة وذلك قول حزقيال ٤٤: ٢ فقال لي الرب هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح ولا يدخل منهُ انسان لان الرب اله اسرائيل دخل منهُ فيكون مغلقاً . وجميع القرائن تعيّن اتجاهَ هذا القول الى مريم العذراء

(٨) اننا نجد في الكتاب ما هو اعظم من كل ذلك وهو قول كاتب الاعمال ٥: ١٧—٢٣ فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معهُ الذين هم شيعة الصدوقيين وامتلأُوا غيرةً فالقوا ايديهم عَلَى الرسل ووضعوهم في حبس العامةَ ولكن ملاك الرب فتح السجن في الليل واخرجهم وقال اذهبوا قفوا و كلموا الشعب في الهيكل بجميع كلام هذه الحياة فلما سمعوا دخلوا الهيكل نحو الصبح وجعلوا يعلمون ثم جاء رئيس الكهنة والذين معهُ ودعوا المجمع وكل مشيخة بني اسرائيل فارسلوا الى الحبس ليؤْتَى بهم ولكن لما جاء الخدَّام لم يجدوهم في السجن فرجعوا واخبروا قائلين انا وجدنا السجن مغلقاً بكلّ حرص والحرَّاس واقفين خارجاً امام الابواب ولكن لما فتحنا لم نجد في الداخل احداً اع ٥: ١٧—٢٣

فلا نعلم كيف يصدّق البروتستان كل هذه الامور مع ما فيها من خرق ناموس الطبيعة وينكرون خبراً محفوظاً في الكنيسة من اقدم اجيالها بالتقليد ولا شيء فيهِ من مخالفة الكتاب المقدَّس بل هو مما يحكم العقل

في النساء التي وجدت نعمة عند الله وقد حلّ عليها الروح القُدُس وظلّلتها قوّة العليّ

القضية الرابعة

البروتستان ينكرون ان يقال لمريم العذراء والدة الاله ويقولون انهُ انما يقال لها ام يسوع كما في ١ع ١٤:١

ونحن نقول ان تسمية لوقا لها في ١ع ١ : ١٤ ام يسوع صحيحة وكذلك تسمية الآباء اياها والدة الاله صحيحة وهذا هو اللائق بالآباء وبنا الآن وبالمؤمنين الذين يأتون بعدنا الى انقضاء الدهر وهذا ايضاح الوجه في ذلك ان كتبة الاسفار الالهيّة كتبوا ملهمين من الله فأتوا بالعبارات بحسب الاحوال التي كتبوا عنها ولذلك نجد متى يقول الصبيّ وامهُ مت ٢ : ١٣ و١٤ و٢٠ و٢١ ولا يقول يسوع وامهُ مع انهُ كانت قد سبقت تسميتهُ يسوع من الملاك ومن يوسف ايضاً مت ١ : ٢١ و٢٥ ونجد لوقا يقول امّ يسوع ١ع ١ : ١٤ ولا يقول امّ الصبيّ وهذا كتبهُ لوقا بعد كتابة انجيل متى بزمن طويل وبعد كتابتهِ هو نفسهُ بشارتهُ وفيها قول اليصابات وهي ممتلئة من الروح القُدُس ٠ من اين لي ان تأتي امُّ ربي اليّ لو ١ : ٢٣ ويتعين تفسير كلمة ربي هنا بالاهي لا بمعلمي لان الذي لم يولد بعد لا يكون بحسب البشرية معلّماً لطاعن بالسنّ كاليصابات

وحاصل ذلك انهُ لمّا تكلّم عنهُ متى كصبيّ قال الصبي وامهُ ولما تكلّم عنهُ لوقا كمخلّص قال يسوع ومن ثم قال ام يسوع ولما تكلّمت عنهُ اليصابات كما هو في نفس الامر قالت ام ربي اي ام الهي ٠ وهكذا لما اراد

الآباء بان اعتقادهم بالمخلص انهُ الهٌ تامٌ وانسان تامٌ وانهُ ولد من المباركة كذلك لا انهُ ولد انساناً مجرَّداً ثمَّ حلَّ عليهِ الروح كما زعم بعض المبتدعين سموها والدة الالهِ وهكذا يجب ان نسميها نحن الآن بحسب اعتقادنا ان المولود منها الهٌ تامٌ وانسانٌ تامٌ ٠ وغاية ما في المقام ان في العبارة حذفاً للاختصار اي والدة الاله المتأنس وهذا المحذوف معلوم لجميع المسيحيين حتى اولادهم فقصَّر فهم المنكرين او اذهلهم عدوانهم لهذه المباركة عن هذا فقالوا بقول شرّ المبتدعين

ففي خزانة الافتراءات البروتستانية عَلَى كل معلّمٍ وخادم وجنديّ ليسوع المسيح اعني تاريخ موسهيم المترجم الى العربية والمطبوع في بيروت بعناية ومناظرة المستر هنري جسَب البروتستاني الاميركاني وهو قد حشاهُ في مواضع عديدة بما يزيد ثلباً وطعناً وتقبيحاً عَلَى الكنيسة ومعلميها وآبائها وخدامها وابنائها ولا يلزم اكثر من الاطلاع عليهِ مرَّةً واحدةً لمعرفة ما هي البروتستانية ولماذا يكون ابناؤُها وقحين مبلبلين تائهين ممزَّقين لا يمكن ان يتفق منهم اثنان اتفاقاً تاماً في العقائد ولا في صورة التعبّد ولا في التهذيبات الدينية وانما يتفقون في الطعن والقدح والازدراء عَلَى كل من سواهم وبانهم بروتستان كل واحد منهم دينهُ بحسب فهمهِ الخاص وحالهِ الخاصة كما نراهم امامنا وبيننا وهم اولاد امس عندنا

في صفحة ٢١٣ منهُ قال في عدد (٥) ان نسطوريوس اقام شيعة كانت اصل شرور محزنة للكنيسة وكان تلميذ ثيودوروس المبسوستي وفصيحاً وغير خالٍ من العلم لكنهُ متعظم وعديم الحكمة ٠ ان وصايا المجامع الاولى

بعض الرهبان في القسطنطينية معتقدين ان ابن مريم هو الله متجسداً وهيجّوا الشعب علىَ نسطوريوس ولكن اكثر الشعب كان يُسَرُّ بخطاباتهِ ولما وصلت الى رهبان مصر تأثروا جداً من براهينهِ حتى صاروا من حزبهِ وكفُّوا عن تسمية مريم والدة الاله

وفي صفحة ٢١٥ عدد (٩) وقيل ان نسطوريوس فضلاً عن الاضاليل الصغرى المنسوبة اليهِ قسم المسيح الى شخصين معتقداً ان الطبيعة الالهيةَ ما اتحدت بالانسان الكامل وانما ساعدتهُ في حياتهِ ولكن نسطوريوس كان يقرُّ دائماً انهُ مضادٌ بالكليةَّ عقائد كهذهِ ولم يذكر صريحاً عقائد مثل هذه اصلاً بل انما استنتج ذلك اخصامهُ من رفضهِ استعمال عبارة والدة الاله ومن استعمالهِ عبارات ملتبسة بدون انتباهٍ لها · ولهذا يظنُّ كثيرون من القدماء ومن المحدثين انهُ اعتقد بذات عقائد الآباء الافسسيين غير انهُ اختلف عنهم في اسلوب التعبير وكلُّ لوم هذه المنازعة المهلكة يلقونهُ علىَ روح كيرلوس المضطربة وحقدهِ علىَ نسطور ولو سلمنا بحكم هولاء بالصواب لا يتبرَّأ نسطوريوس من الحدَّة والجهالة في انهُ ادَّعى بان يشرح ويفسر بالفاظٍ وقياسات غير مناسبة سرًّا يفوق ادراك البشر وان زدنا علىَ هذا العيب عُجبَ هذا الانسان الزائد وحدَّة اخلاقهِ يصعب علينا ان نحكم ايهما كان السبب الاصليّ لهذه المنازعة القظيعة اكيرلُس ام نسطوريوس

ملاحظات على هذه المنقولات البروتستانية

ولنا علىَ هذه المنقولات البروتستانية الملاحظات الآتية وهي

الاولى محاماة موءلف التاريخ البروتستاني ومحشيه التصنعيةَ عن نسطور

والتحيل في بترئته وتنويهها بهِ انهُ كان غيوراً على استئصال جميع البدع مع انهُ هو منشىء البدعة الفظيعة الكفرية والتي ازعجت الكنيسة اشدَّ ازعاج وما ذلك منها الاَّ لغاية في نفسها

الثانية انهُ قد ظهر من نفس كلام علماء البروتستان وايمَّتهم في الابتداع ظهور النهار لذوي الابصار انهُ انما يمتنع من تسمية مريم العذراء والدة الاله الذين يعتقدون انها انما ولدت انساناً مجرَّداً كسائر الناس واماَّ الذين يعتقدون انهـا ولدت الهاً تاماً وانساناً تاماً فيرون ذلك حقاً وصدقاً وواجباً اظهاراً لايمانهم وهذا كرسم الصليب فان الذين يعتقدون انهُ علامة ابن الانسان مت ٢٤ : ٣٠ يفهمون منهُ التعليم المسيحي ويتبرَّكون برسمهِ والذين ليسوا كذلك يستهينون بهِ ويرون رسمهُ عبثاً وسخرية

الثالثة ان مؤلف الكتاب موسهيم على رفضهِ الفاحش وجحودهِ البالغ يعترف كما تقدَّم في عدد (٦) ان عبارة (والدة الاله) كانت تستعمل لامّ المسيح في المباحث النسطورية اكثر من قبل اي اكثر مما كانت تستعمل قبل اريوس ومعلوم ان اريوس ظهر في نحو سنة ٣١٥ ونسطور ظهر في سنة ٤٢٨ فتكون هذه العبارة باعتراف الجاحد تستعمل في القرن الثاني او الثالث وهذا نصٌّ على انها من التقاليد القديمة جداً في الكنيسة

مختصر ترجمة آريوس

كان آريوس من ليبية (هي التي تسمّى اليوم بلاد برقة في غربي مصر من افريقية) واذ كان رجلاً عالماً رسم قساً في كنيسة الاسكندرية وكان يتأمل ان يصير اسقفاً عليها فلما صار الاسكندر اسقفاً عليها تحركت

الغيرة في آريوس واحتدم غيظاً وابتدع بدعةً قال فيها ان الآب قبل ولادة الابن لم يكن آباً وان الابن كُوِّن من العدم فلم يكن مساوياً للآب في الجوهر بل طبيعتهُ قابلة التغيير كسائر الكائنات الناطقة فلما رأى الاسكندر ان هذه البدعة اخذت تمتدُّ وتسبب اضطراباً في الكنيسة جهد في ان ينتشل آريوس منها بالنصائح واذ لم يجدِ ذلك نفعاً عقد مجمعاً حضر فيهِ نحو مئة اسقف من اساقفة مصر وليبية وحرم آريوس واتباعهُ اما اريوس فكتب الى افسابيوس اسقف نيقوميدية واجتذبهُ الى مساعدتهِ وهكذا امتدَّت بدعتهُ في مصر واسيا فنشأ من ذلك جدال وخصام في كل مدينةٍ وقرية فلما علم قسطنطين الكبير بذلك وكان يعرف من قبل شيخاً جليلاً في رؤساء كهنة الكنيسة اسمهُ اوسيوس اسقف كوردوّي (قرطبة) في اسبانيا فلكي يضع حدًّا للنزاع استدعى الاسقف اوسيوس وبعد مذاكرات مع اساقفة آخرين قرَّ رأيهُ ان يرسل اوسيوس نفسهُ الى الاسكندرية ليتوسَّط المصالحة بين البطريرك الاسكندر وآريوس فلما حضر اوسيوس الى الاسكندرية ووقف على حقيقة الحال وعدم امكان المصالحة رجع الى الملك بدون فائدة . ومن ثمَّ عزم الملك قسطنطين ان يجمع مجمعاً مسكونياً يحكم في مسألة آريوس ويقرّر مسائل أُخر مختلف فيها كمسألة الفصح وعماد الهراطقة وغيرهما . فارسل منشوراً ملوكياً الى اساقفة المملكة ليجتمعوا وبعد مدَّة قليلة انعقد المجمع في مدينة نيقية مؤلفاً من ثلاث مئة وثمانية عشر اسقفاً وذلك سنة ٣٢٥ وكان الملك قسطنطين في صدر المجمع محافظاً على الراحة والهدء والنظام من دون ان يتداخل في مذاكرات المجمع وقراراتهِ . فبعد

ان اتضح في المجمع كفر آريوس واتباعهِ وتألَّف دستور الايمان بعبارة صريحةٍ وحكم المجمع بالضلال عَلَى الذين لم يوافقوا عَلَى الدستور شرع الملك في تنفيذ قراراتهِ وحفظاً للسلام في المملكة نفى آريوس وكثيرين من رصفائهِ في العناد الى جهات متعدّدة

وبما اننا لم نعثر في التواريخ الكنائسيةً التي لدينا عَلَى تاريخ ميلاد اريوس ولكننا نعلم ان آريوس شكي في سنة ٣١٨ بانهُ ينكر لاهوت المسيح وعقد عليهِ مجمع في الاسكندرية وحكم عليهِ بالضلال (كما في صفحة ١١٠ من المجلّد الاول من تاريخ الانشقاق لسيادة العلاَّمة المطران جراسيموس مسرَّة) نقول انهُ لكي يتأمَّل انهُ يكون اسقفاً يجب ان يكون عمرهُ ٣٠ سنة فما فوق ولكي يقوم بالبدعة وتشتهر ويعقد عليه مجمع في الاسكندرية يحضرهُ مئة اسقف يقتضي لهُ بعض السنوات وهكذا يكون من مولودي النصف الثاني من القرن الثالث من التاريخ المسيحي وقد اعترف المؤرّخ البروتستاني موسهيم ان عبارة (والدة الاله) كانت تستعمل قبل اريوس فاذا لم نقل انها من التقليد المحفوظ عن الرُسُل يكفي ان نقول انها من استعمالات القرن الثاني او الثالث والبروتستان يعترفون بحفظ التعليم صحيحاً سليماً في اجيال الكنيسة الثلاثة الاولى فيكون قولنا (والدة الاله) تعليماً صحيحاً مستقيماً والبروتستان ينكرونهُ جهالةً وعدواناً خصوصياً للمباركة في النساء مريم العذراء

حاشية جسب

وقد علَّق المستر جَسَب محشّي تاريخ موسهيم في ذيل صفحة ٢١٥ منهُ

حاشيةً قال فيها بكمال الرزانة والتروّي والتورُّع ما نصهُ بحروفهِ · ان تلقيب العذراء مريم بوالدة الاله امرٌ مضرٌ للغاية فانهُ وان كان ظاهرهُ عديم المعنى عند العلماء وذوي الفطنة والدراية يخيّل للبسطاء وعديمي الدراية افظع التصوُّرات واغربها فاختراع عبارات سريَّة ليست في الكتاب المقدَّس واستعمالها مضرَّان بالديانة الحقيقية لا محالة اه

ونحن نقسم حاشية المحشيّ هذه التي هتكت اعتقادهُ واعتقاد امثالهِ الذي طالما كتموهُ وبالتورّي ستروهُ الى الفِقَر الآتية لبيان مافيها من التمويه وما بُنيت عليهِ من فظيع التيه

الفِقرة الاولى · قولهُ ان تلقيب العذراء مريم بوالد الاله امر مضرٌ للغاية · فنسألهُ ما هو الضرَرُ فيها وهل هي الاَّ ايضاح الايمان بيسوع المسيح انهُ ولد من المباركة الهاً تاماً وانساناً تاماً وبماذا يرى حضرتهُ دفع هذا الضرر أبانكار لاهوت المسيح حين ولد منها ام بانكار ناسوتهِ ام بانكارهِ مطلقاً والاستناد على الكتاب المقدَّس بانهُ لم يرد فيهِ وخصوصاً في العهد الجديد شيء من ذلك

الفِقرة الثانية · قولهُ ان ظاهر ذلك عند العلماء وذوي الفطنة والدراية عديم المعنى · ونحن لا نسألهُ عمَّا في هذه الفقرة من المجازفة وعدم المبالاة وعرض الدعوى والاتيان ممن هو ذو سنّ وبين قومهِ في مقام من العلم والتعقُّل بما يعرف بطلانهُ ولداننا وانما نسألهُ اذا كان عديم المعنى فكيف قال بهِ رجال علماء عظام اوسع منهُ علماً وادقُّ فهماً وافضل تديناً واقدم منهُ زمناً وكيف ان صبياننا وبناتنا يفهمون منهُ انهُ اعتراف بان المباركة ولدت الهاً تاماً وانساناً تاماً وهو يراهُ عديم المعنى · او ليس قولهُ هذا دليلاً قوياً بل

برهاناً على انهُ هو وامثالهُ يرون ويعتقدون ان التعليم بحلول الروح القدس على مريم العذراء وتجسُّد المخلّص منها بحال يفوق ادراك البشر وولودتهُ منها الهاً تاماً وانساناً تاماً كل ذلك عديم المعنى واذ ذاك فايُّ دين مسيحيّ دينهُ واي ايمان صحيح ايمانهُ وايُّ خلاص بالمسيح يكون لهُ او ليس الدين المسيحيُّ كلّهُ مبنياً على هذه العقيدة فياليت هولاء التائهين يهتدون والغاوين معهم يرعوون ويا ليتهم جميعاً يتدبرون ما يقرأون ويتعقّلون ما يقولون ويكتبون

الفقرة الثالثة . قولهُ ان تلقيب مريم العذراء بوالدة الالهِ يخيّل للبسطاء افظع التصوُّرات واغربها . وبهِ قد جلا الناحدُ علمهِ وابرز مكنونات ضميرهِ واعلن هواجس قلبهِ السافلة والكفرية معاً . والاَّ فما هي التصوُّرات الفظيعة والغريبة التي تخيل للبسطاء من عبارة والدة الاله وها انا جميعاً حتى صبياننا وبناتنا الصغار لا نفهم ولا نتصوَّر من هذه العبارة الاَّ اسمى التصوُّرات واشرفها واطهر الصفات واكرمها بل نسألهُ هل من لا يفهم ويتصوَّر ويعتقد ان المولود من مريم العذراء الهٌ تامٌ وانسانٌ تامٌ يجوز الخلاص بالمسيح او يعدُّ مسيحياً

الفقرة الرابعة . قولهُ ان اختراع عبارات سريَّة ليست في الكتاب المقدَّس واستعمالها مضرَّانِ بالديانة الحقيقيَّة لا محالة اه ونحن نقول لهُ على افتراض ان هذه العبارة اخترعت واستعملت مساء امس او صباح اليوم لا من عهد الرسل كما هو عندنا ولا من القرن الثاني او الثالث كما هو باعترافهِ واعتراف مشايعيهِ كما بينًا آنفاً عن موسهيم لا ينكرها الاَّ من تعرَّى عن العلم وعن الايمان الحقّ معاً لانها لايضاح الايمان الصحيح بان الذي ولدتهُ هو

الهٌ تامٌ وانسانٌ تامٌ فهي للتعبير الخاص عن الحقيقة الثابتة وهو يقول انهُ يعترف بهذه الحقيقة · ولا ندري ايّ ضررٍ يراهُ هو وامثالهُ للديانة الحقيقيّة من العبارات المحرَّرة لايضاح حقائقها وبعد ذلك فهي مثل العبارات الأُخر التي استعملت لايضاح الحقائق كالاقانيم والثالوث والطبيعتين والمشيئتين وهو وسائر شيعته يستعملون كل ذلك وقد استعمل موسهيم في عدد (٦) الذي نقلناهُ آنفاً عبارة ام المسيح وقد اقرَّها المحشيّ وكل ذلك ليس في الكتاب المقدَّس فما وجه استعمالهم لهُ · ويلزم هنا احدى النتائج الثلاث الآتية او الثلاث معاً وهي

الاولى القول بخلوّ الكتاب المقدَّس من الالفاظ والعبارات التي لايضاح التعليم وليس كذلك (انظر مر ٣: ٤ و ٢٢و٢٣- ٣٠) وهذا في فصل واحد

الثانية انهم انما ينكرون استعمال هذه العبارة خاصَّة لعدوانٍ خاصٍ في نفوسهم لمريم العذراء المباركة في النساء لانها وجدت نعمةً عند الله

الثالثة الاعتراف بالارتداد عن الايمان الحق بان المسيح ولد الهاً تاماً وانساناً تاماً والتعرّي من العلم والتعقُّل والنظر في الآخرة

القضية الخامسة

يقول البروتستان ان لا شفاعة لمريم العذراء لدى ابنها الرب يسوع المسيح بل لا يستجيب لها في شيء حتى انهُ لما عرَضت لهُ بالحاجة الى الخمر في عرس قانا الجليل ردَّها ردّاً عنيفاً بقولهِ لها ما لي ولكِ يا امرأة لم تأتِ ساعتي بعد اه

ومن كلام ايمتهم في هذا الشأن قول صاحب الكنز الجليل البروتستاني في تفسير الانجيل في تفسير هذه الآية (مالي ولكِ يا امرأة) لا يخلوا هذا

الجواب من التوبيخ لها على ما اظهرت من التعرُّض لما لا يعنيها والجسارة على ان لها حقاً ان تأمرهُ باجراء عمل ... فكأنَّ المسيح قال لأُمهِ ليس لكِ ان تشيري عليَّ بما يجب ان اعملهُ . فعلى الذين ينسبون الى امّ يسوع قوَّة الشفاعة مع ابنها في السماء ان يروا ايَّ باب ترك المسيح لرجاء ذلك بعد ان لم يسمح لها ان تتعرَّض لعملهِ على الارض ادنى تعرُّض فكيف يسمح لها الآن ان تتعرَّض لشفاعتهِ في السماء التي استعدَّ لها بموتهِ ولم تتمَّ الأَ بهِ اه

ونحن نقول لهم انكم لا تتدبرون ما تقرأُون فتفهمون خطاءً وبدلاً من انكم تلتجئُون الى من يعلّمكم ما تجهلونهُ تهيمون في بيداء الضلال ليس في هذه الحادثة فقط بل في كل ما تخالفون بهِ تعليم الكنيسة الارثوذكسية المقدَّسة . وبما ان كلام البروتستان هذا يشتمل كما لا يخفى على زعمين باطلين فظيعين الاول زعم عدم قبول شفاعتها عليها سلام الله والثاني زعم ردّهِ طلبها بعنفٍ

والكلام في كلٍّ منهما كثير وطويل قد افردنا كلاً منهما في مبحث خاصٍّ وجعلنا مبحث زعمهم ردَّه اياها اولاً لان زعم ردّ شفاعتها مرتب عليهِ ثبوتاً ودحضاً كما سترى

المبحث الاول

في ان السيد لهُ المجد لم يردَّ طلب والدتهِ في عرس قانا الجليل

نقول ان السيد لم يردَّ طلب أُمهِ في عرس قانا الجليل بل اجاب طلبها واكرمها غاية الاكرام وهذا نصُّ الحادثة بتمامهِ نضعهُ بيننا وبين البروتستان

للنظر وهو

كان عرس في قانا الجليل وكانت امُّ يسوع هناك ودُعي ايضاً يسوع وتلاميذهُ الى العرس ولما فرغت الخمر قالت امُّ يسوع لهُ ليس لهم خمر قال لها يسوع ما لي ولكِ يا امرأة لم تأْتِ ساعتي بعد · قالت امهُ للخدَّام مهما قال لكم فافعلوهُ وكانت ستة اجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد منها مِطرَين او ثلاثة قال لهم يسوع املأُوا الاجران ماءً فملأُوها الى فوق ثم قال لهم استقوا الآن وقدّموا الى رئيس المتكإِ فقدَّموا فلما ذاق رئيس المتكإِ الماء المتحوّل خمراً ولم يكن يعلم من اين هي لكن الخدَّام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا دعا رئيس المتكإِ العريس وقال لهُ كلُّ انسانٍ انما يضع الخمر الجيدة اوَّلاً ومتى سكروا فحينئذٍ الدون اما انت فقد ابقيت الخمر الجيدة الى الآن · هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل واظهر مجده ُ فآمن بهِ تلاميذهُ وبعد هذا انحدر الى كفرناحوم هو وامهُ واخوتهُ وتلاميذهُ واقاموا هناك اياماً ليست كثيرة يو ٢ : ١—١٢

ونحن نشرح هذا الكلام فِقرةً فِقرةً ليتَّضح المفهوم الصحيح منها هكذا

(١) كان عرس في قانا الجليل وكانت امُّ يسوع هناك

هذا الكلام يدلُّ عَلَى ان العرس كان لنسيب او لحبيب حتى ان امَّ يسوع حضرت اليهِ قبل ابنها

(٢) ودُعيَ ايضاً يسوع وتلاميذهُ الى العرس

وهذا يؤَيد ما قلناهُ ويدلُّ ايضاً عَلَى ان العرس كان حافلاً اذ لم يُدعَ اليهِ يسوع وهو احضر تلاميذهُ معهُ بل دُعيَ هو ودُعيَ تلاميذهُ ايضاً

(٣) ولما فرغت الخمر قالت أمُّ يسوع لهُ ليس لهم خمر

وهذا ايضاً يؤيد ما قلناهُ من ان العرس كان لنسيب او حبيب اذ لو كانت ام يسوع غريبة من اهل العرس فما الذي كان يهمُّها من فروغ الخمر بل كيف كانت تعرف ذلك اذ هو مما لا يطلع عليهِ عادةً الّا الاهل واشد الاصدقاء . ومما يجب ان يتنبه اليهِ العاقل هنا ويتأمَّلهُ دقيق التأمل انها كما لم تصرّح بالطلب بل عرَّضت بهِ تعريضاً عالمةً ان تلميحها بالطلب كافٍ لحصول المطلوب كذلك لم تجعل مقدّمة لهذا التلميح اصلاً وهذا دليل عَلَى مالها من الدالَّة الوالدية عليهِ والكرامة البالغة لديهِ وبتأفف من ذلك برهان عَلَى انها عالمة ان طلبها منهُ لا يردُّ

(٤) قال لها يسوع مالي ولكِ يا امرأة لم تأتِ ساعتي بعد .

هذا الكلام هو محل النظر في هذه الحادثة وسنتكلم عليهِ بعد ان نوضح القرائن التالية كما اوضحنا القرائن السابقة ليكون البيان اجلى والمعنى اطلى

(٥) قالت امُّ يسوع للخدَّام مهما قال لكم فافعلوهُ

وهنا نسأل البروتستان اولاً ايرَون انهم هم اقرب الى فهم كلام يسوع ام امهُ وثانياً ايرَون انها فهمت من كلامهِ الاجابة او الردَّ اما نحن فنرى انها عليها اشرف السلام اقرب الى فهم كلامهِ وانها فهمت منهُ الاجابة بدليل أمرها للخدَّام ان يفعلوا ما يأمرهم بهِ مهما كان

او ترَى لا يفهم من هذا انها عليها سلام الله كانت تنوي ان يفعل ما فعلهُ والّا فما وجهُ امرها للخدَّام ان يفعلوا ما يأمرهم بهِ مهما كان ومن اين علمت ان ما سيفعلهُ يحتاج الى عمل الخُدَّام ولعلَّ البروتستان يقولون انها

علمت ذلك بكشف من الله او قالت ما قالت بروح نبوَّة وان ذلك نتيجة لازمة وضرورية واضحة مرتبة عَلَى ردّ ابنها سؤالها وتوبيخهِ لها امام الجمهور في العرس فيكون مقالهم هذا في غاية السداد عقلاً وعلماً وأدباً وعادةً

(٦) وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد منها مِطرَين او ثلاثة قال لهم يسوع املأوا الاجران ماء فملأوها الى فوق

وفي الحاشية السفلى من الترجمة البروتستانية للايضاح المِطر هو البثُ واشارة الى لو ١٦ : ٦ وفي الحاشية السفلى هناك البثُ يعدل $\frac{٣}{٤}$ ٢٢ الاقة من الزيت واذا فرضنا كل جرن يسع مطرين ونصف مِطر تكون الكمية نحو ١١٤ اقة فان اعتبرنا ايضاً الفرق بين ثقل الزيت وثقل الخمر يكون ذلك نحو ١٢٠ اقة

(٧) قال لهم يسوع املأوا الاجران ماء فملأوها الى فوق .

وهنا يظهر أثر توصية ام يسوع للخُدَّام فأتموا الامر الى غايتهِ

(٨) ثم قال لهم استقوا الآن وقدّموا الى رئيس المتكإ فقدّموا .

انظر ايها المطالع انهُ لم يضع شيئاً في الماء لتحويلهِ خمراً ولا امر امراً لفظياً بان قال كن يا هذا الماء خمراً بل بمجرَّد ارادتهِ تحوَّل الماء خمراً وهذا يدلُّك على انهُ ربُّ الطبيعة فلذلك هي خاضعة لامرهِ وارادتهِ

(٩) فلما ذاق رئيس المتكا الماء المتحوّل خمراً ولم يكن يعلم من اين هي (وفي الترجمة اليسوعية من اين هو وهو اصوب لان الحديث عن الماء المتحوّل خمراً كما يدلُّ قولهُ التالي لكنَّ الخُدَّام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا

اي علموا من اين هو الماء) لكن الخُدَّام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا دعا رئيس المتكإ العريس وقال لهُ كل انسانٍ انما يضع الخمر الجيدة اوَّلاً ومتى سكروا فحينئذٍ الدُّون اما انت فقد ابقيت الخمر الجيّدة الى الآن

انظر ايها المطالع ان السيد لم يقتصر على ان فعل ما عرَّضت لهُ بهِ امهُ من ايجاد الخمر فقط بل صنع كميَّةً كبيرة اكثر مما كانت تقصد كما نظنُّ لان تعريضها لا يتضمَّن طلب اكثر من حاجة العرس والكميَّة التي صنعها اكثر من حاجة العرس كما لا يخفى وليس انهُ صنع كميَّة الخمر كثيرة فقط بل صنعها اجود مما كانت تومئ اليهِ لانها انما عرَّضت بالاحتياج الى الخمر وكانوا قد شربوا ما كان قد اعدَّهُ اصحاب العرس والعادة ان الخمر التي تقدَّم آخراً تكون دون التي قُدِمت اوَّلاً ولكن السيّد صنع الخمر اجود من الجيّدة التي كانت عندهم . ولعلَّ البروتستان يعدُّون هذا من جملة الردّ العنيف الذي ردَّ بهِ أُمَّهُ

(١٠) هذه بداءَة الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل واظهر مجدهُ فآمن بهِ تلاميذهُ

وهنا لا نعلم مقدار ما تكون المضادَّة بين بعض هولاء البروتستان الذين قاموا الآن يحرّمون الخمر تحريماً مطلقاً وبين الرب يسوع الذي أجمل اوَّل آياتهِ تحويل الماء خمراً

ولا نعلم ايضاً كيف اظهر مجدهُ بردّ أُمّهِ ردّاً عنيفاً ولا مقدار ما اثَّر ردّهُ أُمَّهُ بعنف شديد من الاعتبار والاحترام واجلال القدر في تلاميذهِ حتى آمنوا بهِ في الحال

ونحن نقول لهم ان هذه العبارة كانت منذ القدم الى ذلك الوقت او كانت ولم تزل في اصطلاح تلك اللغة تستعمل في موضع الرجاء والاستعطاف والتصريح بعدم الخلاف وهكذا هي عبارة السيّد هنا نحو أُمّهِ وهكذا فهمت هي وهكذا جرى الامر بالفعل كما تقدم الكلام في كل ذلك

هذا وان هذه العبارة واردة في الكتاب في ١٢ موضعاً منها هذا الموضع والمواضع الأُخَر كما اشار اليها البروتستاني شارح الانجيل (١) قض ١١ : ١٢ (٢) ٢ صم ١٦ : ١٠ (٣) ٢ صم ١٩ : ٢٢ (٤) امل ١٧ : ١٨ (٥) ٢ مل ٣ : ١٣ (٦) ٢ اي ٣٥ : ٢١ (٧) مت ٨ : ٢٩ (٨) مر ١ : ٢٤ (٩) مر ٥ : ٧ (١٠) لو ٤ : ٣٤ (١١) لو ٨ : ٢٨

وكأنَّ البروتستاني جمع الاشارات ولم يقرأ الاقوال اذ لو قرأها ولو بدون تدبُّر لخجل من نفسهِ ان يقول ان هذه العبارة تتضمَّن التوبيخ ونحن وان طال الكلام ما طال سنوردها كل حادثةٍ منها بتمامها سدًّا لباب المماحكات وهذه هي

(١) قض ١١ : ٤ — ٢٨ . وكان بعد ايَّام ان بني عمُّون حاربوا اسرائيل . ولمَّا حارب بنو عمُّون اسرائيل ذهب شيوخ جلعاد ليأتوا بيفتاح من ارض طوب وقالوا ليفتاح تعالَ وكن لنا قائداً فنحارب بني عمُّون فقال يفتاح لشيوخ جلعاد أما ابغضتموني انتم وطردتموني من بيت ابي فلماذا اتيتم اليَّ الآن اذ تضايقتم فقال شيوخ جلعاد ليفتاح لذلك قد رجعنا الآن اليك لتذهب معنا وتحارب بني عمُّون وتكون لنا رأساً لكلّ سكَّان جلعاد فقال يفتاح لشيوخ جلعاد اذا ارجعتموني لمحاربة بني عمُّون ودفعهم الربُّ امامي

فانا اكون لكم رأساً فقال شيوخ جلعاد ليفتاح الربُّ يكون سامعاً بيننا ان كنَّا لا نفعل هكذا حسب كلامك فذهب يفتاح مع شيوخ جلعاد وجعلهُ الشعب عليهم رأساً وقائداً فتكلَّم يفتاح بجميع كلامهِ امام الربّ في المصفاة

فارسل يفتاح رُسلاً الى ملك بني عمُّون يقول . ما لي ولكَ . انك اتيت اليَّ للمحاربة في ارضي . فقال ملك بني عمُّون لرُسُل يفتاح . لان اسرائيل قد اخذ ارضي عند صعودهِ من مصر من ارنون الى اليبوق والى الاردنّ . فالآن ردَّها بسلام وعاد ايضاً يفتاح وارسل رُسلاً الى ملك بني عمُّون . وقال لهُ هكذا يقول يفتاح لم يأْخذ اسرائيل ارض موآب ولا ارض بني عمُّون لانهُ عند صعود اسرائيل من مصر سار في القفر الى بحر سوف واتى الى قادش وارسل اسرائيل رُسُلاً الى ملك ادوم قائلاً دعني اعبر في ارضك فلم يسمع ملك ادوم فارسل ايضاً الى ملك موآب فلم يرضَ فاقام اسرائيل في قادش وسار في القفر وداربارض ادوم وارض مواب واتى من مشرق الشمس الى ارض موآب ونزل في عبر ارنون ولم يأْتوا الى تخم مواب لان ارنون تخم موآب ثم ارسل اسرائيل رُسُلاً الى سيحون ملك الاموريين ملك حشبون وقال لهُ اسرائيل دعني اعبر في ارضك الى مكاني ولم يأْمن سيحون لاسرائيل ان يعبر في تخمهِ بل جمع سيحون كلَّ شعبهِ ونزلوا في ياهص وحاربوا اسرائيل فدفع الرب الله اسرائيل سيحون وكلَّ شعبهِ ليد اسرائيل فضربوهم وامتلك اسرائيل كل ارض الاموريين سكان تلك الارض فامتلكوا كل تخم الاموريين من ارنون الى اليبوق ومن القفر الى الاردنّ والآن الربُّ الله اسرائيل قد طرد الاموريين من امام شعبهِ اسرائيل أفأنت

تمتلكهُ أليس ما يملكك اياه كموش الهك تمتلك وجميع الذين طردهم الرب الهنا من امامنا فاياهم نمتلك والآن فهل انت خير من بالاق ابن صفُّور ملك موآب فهل خاصم اسرائيل او حاربهم محاربة حين اقام اسرائيل في حشبون وقراها وعروعير وقراها وكل المُدُن التي علَى جانب ارنون ثلاث مئة سنة فلماذا لم تستردها في تلك المُدَّة فانا لم أُخطئ اليك واما انت فانك تفعل بي شرًّا بمحاربتي . ليقضِ الربُّ القاضي اليوم بين بني اسرائيل و بني عمُّون فلم يسمع ملك بني عمون لكلام يفتاح الذي ارسلهُ اليهِ اه

فترى ايها المطالع قول يفتاح لملك بني عمُّون توبيخاً واستهانةً كما يقول البروتستان او تلطفاً ورجاءً كما نقول نحن

(٢) صم ١٦ : ٥ — ١٣ ولما جاء الملك داوود الى بحوريم اذا برجل خارج من هناك من عشيرة بيت شاوول اسمهُ شمعي ابن جيرا يسبُّ وهو يخرج و يرشق بالحجارة داوود وجميع عبيد الملك داوود وجميع الشعب وجميع الجبابرة عن يمينهِ وعن يسارهِ وهكذا كان شمعي يقول في سبهِ اخرج اخرج يارجل الدماء ورجل بليعال قد ردَّ الربُّ عليك كلَّ دماء بيت شاوول الذي ملكت عوضاً عنهُ وقد دفع الربُّ المملكة ليد ابشالوم ابنك وها انت واقع بشرّك لانك رجل دماء فقال ابيشاي ابن صروية للملك لماذا يسبُّ هذا الكلب الميت سيدي الملك دعني اعبر فاقطع رأسهُ فقال الملك . مالي ولكم يا بني صروية . دعوهُ يسبُّ لان الربَّ قال لهُ سبَّ داوود ومن يقول لماذا تفعل هكذا وقال داوود لابيشاي ولجميع عبيدهِ هوذا ابني الذي خرج من احشائي يطلب نفسي فكم بالحري الآن بنياميني

دعوهُ يسبُّ لان الربَّ قال لهُ لعلَّ الربَّ ينظر الى مذلتي و يكافئني الربُّ خيراً عوض مسبتَّهِ بهذا اليوم اه وايضاً

(٣) ٢ صم ١٩ : ٩ — ٢٣ ٠ وكان جميع الشعب في خصامٍ في جميع اسباط اسرائيل قائلين ان الملك قد انقذنا من يد اعدائنا وهو نجَّانا من يد الفلسطينيين والآن قد هرب من الارض لاجل ابشالوم وابشالوم الذي مسحناهُ علينا قد مات في الحرب فالآن لماذا انتم ساكتون عن ارجاع الملك وارسل الملك داوود الى صادوق وابياثار الكاهنين قائلاً كلّما شيوخ يهوذا قائلين لماذا تكونون آخرين في ارجاع الملك الى بيتهِ وقد اتى كلام جميع اسرائل الى الملك في بيتهِ انتم اخوتي انتم عظمي ولحمي فلماذا تكونون آخرين في ارجاع الملك وتقولون لعماسا أما انت عظمي ولحمي هكذا يفعل بي الله وهكذا يزيد ان كنت لا تصير رئيس جيش عندي كلَّ الايام بدل يوآب فاستمال بقلوب جميع رجال يهوذا كرجل واحدٍ فارسلوا الى الملك قائلين ارجع انت وجميع عبيدك فرجع الملك واتى الى الاردن واتى يهوذا الى الجلجال سائراً لملاقاة الملك ليعبّر الملك الاردن فبادر شمعي ابن جيرا البنياميني الذي من بحوريم ونزل مع رجال يهوذا للقاء الملك داوود ومعهُ الف رجل من بنيامين وصيبا غلام بيت شاوول وبنوهُ الخمسة عشر وعبيدهُ العشرون معهُ فخاضوا الاردن أمام الملك وعبر القارب لتعبير بيت الملك ولعمل ما يحسن في عينيهِ وسقط شمعي ابن جيرا امام الملك عندما عبر الاردن وقال للملك لا يحسب لي سيدي اثماً ولا تذكر ما افترى بهِ عبدك يوم خروج سيدي الملك من اورشليم حتى يضع الملك ذلك في قلبهِ لان عبدك يعلم

اني قد اخطأت وها انذا قد جئت اليوم اوَّل كل بيت يوسف ونزلت لِلقاء سيدي الملك فاجاب ابيشاي ابن صروية وقال ألا يُقتَل شمعي لاجل هذا لانهُ سبَّ مسيح الربّ فقال داوود · مالي ولكم يابني صروية حتى تكونوا لي اليوم مقاومين اليوم يُقتَل احدٌ في اسرائيل انما علمت اني اليوم ملك على اسرائيل ثم قال الملك لشمعي لا تموت وحلف له الملك اه

واعلم ايها المطالع ان صروية هي اخت داوود بنصّ الكتاب حيث يقول (ويسّى ولد اليآب وابينا داب وشمعي ونثنئل وردَّاي وأُوصم وداوود واختيهم صروية وابيجايل وبنو صروية ابشاي ويوآب وعسائيل وابيجايل ولدت عماسا اي ٢:١٣--١٧) وان يوآب واخويه فضلاً عن كونهم ابناء اخت داوود كانوا اشدَّ واشهر ابطالهِ وقواد جيوشهِ في الحروب وايضاً اشدَّ الناس غيرةً لهُ · وكانوا احياناً يخالفون اوامرهُ في ما يفعلون ولا يخشون بأسهُ وكان هو اي داوود يعرف ذلك ويعترف بهِ ومنهُ قولهُ (انا اليوم ضعيف وممسوح ملكاً وهولاء الرجال بنو صروية اقوى مني ٢مل٣ : ٣٩) وبعد ان عرفت الشأن بهذا الاختصار والايجاز فهل ترى الآن ايها المطالع قول داوود مالي ولكم يابني صروية تلطفاً ورجاء او توبيخاً واستهانة كما يقول البروتستان

(٤) ١ مل ١٧ :٨--٢٤ · وكان كلام الرب قائلاً قم اذهب الى صرفة التي لصيدون واقم هناك هوذا قد امرتُ هناك امرأةً ارملةً تعولك فقام وذهب الى صرفة وجاء الى باب المدينة واذا بامرأةٍ ارملةٍ هناك تقشُ عيداناً فناداها وقال هاتي لي قليل ماء في إناء فاشرب وفيما هي ذاهبة لتأتي بهِ

ناداها وقال هاتي لي كسرة خبز في يدك فقالت حيٌّ هو الربُّ الهك انهُ ليست عندي كعكة ولكن ملْءُ كفٍ من الدقيق في الكوار وقليلٌ من الزيت في الكوز وهـا انذا أَقشُّ عودَين لآتي واعملهُ لي ولابني لنأكلهُ ونموت · فقال لها ايليا لا تخافي ادخلي واعملي كقولكِ ولكن اعملي لي منها كعكةً صغيرةً اوَّلاً واخرجي بها اليَّ ثم اعملي لكِ ولابنكِ اخيراً لانهُ هكذا قال الرب الهُ اسرائيل ان كوار الدقيق لا يفرغ وكوز الزيت لا ينقص الى اليوم الذي فيهِ يعطي الربُّ مطراً علَى وجهِ الارض فذهبت وفعلت حسب قول ايليا واكلت هي وهو وبيتها اياماً · كوار الدقيق لم يفرغ وكوز الزيت لم ينقص حسب قول الربّ الذي تكلم بهِ عن يد ايليا

وبعد هذه الامور مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتدَّ مرضهُ جداً حتى لم تبقَ فيهِ نَسَمَةٌ فقالت لايليا · مالي ولكَ يارجل الله · هل جئتَ اليَّ لتذكير اثمي واماتة ابني · فقال لها اعطيني ابنكِ · واخذهُ من حضنها وصعد بهِ الى العليَّة التي كان مقيماً بها واضجعهُ علَى سريرهِ وصرخ الى الربّ وقال ايها الربُّ الهي أَايضاً الى الارملة التي انا نازل عندها قد اسأت باماتتك ابنها · فتمدَّد علَى الولد ثلاث مرَّات وصرخ الى الربّ وقال يا ربُّ الهي لترجع نفس هذا الولد الى جوفهِ فسمع الربُّ لصوت ايليا فرجعت نفس الولد الى جوفهِ فعاش فاخذ ايليا الولد ونزل بهِ من العليَّة الى البيت ودفعهُ لأمّهِ وقال ايليا انظري ابنكِ حيٌّ فقالت المرأة لايليا هذا الوقت علمت انك رجل الله وان كلام الربّ في فمك حقٌّ اه

فهل يرى العاقل ان قول المرأة لايليا (مالي ولكَ يارجل الله) استغاثة

واستعطافٌ واجلال كما نفهم نحن او يراه توبيخاً واستهانة كما يقول البروتستان وهل يستقيم في العقل انها توبخهُ وتهينهُ وهي تقول لهُ يارجل الله

(٥) ٢مل٣: ٤—١٨ · وكان ميشع ملك موآب صاحب مواشٍ فادّى لملك اسرائيل مئة الف خروف ومئة الف كبش بصوفها وعندموت آخاب عصى ملك موآب على ملك اسرائيل وخرج الملك يهورام في ذلك اليوم من السامرة وعدَّ كلَّ اسرائيل وذهب وارسل الى يهوشافاط ملك يهوذا يقول قد عصي عليَّ ملك موآب فهل تذهب معي الى موآب للحرب فقال أصعدُ مثلي مثلُك شعبي كشعبك وخيلي كخيلك فقال من ايّ طريق تصعد فقال من طريق بريَّة ادوم فذهب ملك اسرائيل وملك يهوذا وملك ادوم وداروا مسيرة سبعة ايام ولم يكن ماءٌ للجيش والبهائم التي تبعتهم فقال ملك اسرائيل آهِ عَلَى ان الربّ قد دعا هولاء الثلاثة الملوك ليدفعهم الى يد موآب فقال يهوشافاط اليس هنا نبيٌّ للرب فنسأل الربَّ بهِ فاجاب واحد من عبيد ملك اسرائيل وقال · هنا اليشع بن شافاط الذي كان يصبُّ ماءً عَلَى يدي ايليا فقال يهوشافاط عندهُ كلام الربّ فنزل اليهِ ملك اسرائيل ويهوشافاط وملك ادوم فقال اليشع لملك اسرائيل · مالي ولكَ · اذهب الى انبياء ابيك والى انبياء أُمك فقال لهُ ملك اسرائيل كلاَّ · لان الرب قد دعا هولاء الثلاثة الملوك ليدفعهم الى يد موآب فقال اليشع حيٌّ هو ربُّ الجنود الذي انا واقف امامهُ · انهُ لولا اني رافع وجه يهوشافاط ملك يهوذا لما كنت انظر اليك ولا اراك والآن فأتوني بعوّاد ولما ضرب العوّادِ بالعود كانت عليهِ يد الربّ · فقال هكذا قال الربّ اجعلوا هذا

الوادي جباباً جباباً لانهُ هكذا قال الربّ لا ترون ريحاً ولا ترون مطراً وهذا الوادي يمتلئ ماءً فتشربون انتم وماشيتكم وبهائمكم وذاك يسيرٌ في عيني الربّ فيدفع موآب الى ايديكم اه

فترى ان اليشع اعتفى من ملك اسرائيل بلطف العبارة وان اعتفاءهُ منهُ انما هو لتعبُّدهِ للآلهة الباطلة . واما انبياء ابيهِ وانبياء أمّهِ فهم الذين قال عنهم ايليا لآخاب ابي يهورام هذا (فالان ارسل واجمع اليّ كلّ اسرائيل الى جبل الكرمل وانبياء البعل الاربع مئة والخمسين وانبياء السواري الاربع مئة الذين يأكلون على مائدة ايزابل ١ مل ١٨ : ١٩) ولمّا اعترف يهورام ان الربّ هو الله بقولهِ (لان الربّ قد دعا هولاء الثلاثة الملوك ليدفعهم الى يد موآب) قبلهُ اليشع مع ملك يهوذا وملك ادوم واجاب سؤالهم جميعاً والحاصل ان الاعتفاء كان بسبب التعبُّد للآلهة الباطلة فهل يرى البروتستاني من مماثلة او مشابهةٍ بين الحادثين وان السيد يسوع المسيح قد ردّ أمّهُ لمثل هذا المعنى . عصمنا الله وسائر المؤمنين من التهوُّر

(٦) ٢ اي ٣٥ : ٢٠ — ٢٤ . بعد كلّ هذا حين هيّأ يوشيا البيت صعد نخو ملك مصر الى كركميش ليحارب عند الفرات فخرج يوشيا للقائهِ فارسل اليهِ رُسلاً يقول . مالي ولكَ يا ملك يهوذا . لستُ عليك انت اليوم ولكن على بيت حربي والله امر باسراعي . فكُفَّ عن الله الذي معي فلا يهلكك ولم يحوّل يوشيا وجههُ عنهُ بل تنكَّر لمقاتلتهِ ولم يسمع لكلام نخو من فم الله بل جاء ليحارب في بقعة مجدُّو . واصاب الرُماة الملك يوشيا فقال الملك لعبيدهِ انقلوني لاني جُرِحت جداً فنقلهُ عبيدهُ من المركبة واركبوهُ

في المركبة الثانية التي لهُ وساروا بهِ الى اورشليم فمات ودُفن في قبور ابائهِ وكان كلُّ يهوذا واورشليم ينوحون على يوشيا ·

فترى ايها المطالع ان ملك مصر كان يوبّخ ملك يهوذا ويستهين بهِ بقولهِ مالي ولكَ يا ملك يهوذا اوتراهُ كان يتلطف بهِ ويرجو منهُ عدم التقدم الى حربهِ

(٧) مت ٨: ٢٨و٢٩ ولما جاء الى العبر الى كورة الجرجسيين استقبلهُ مجنونان خارجان من القبور هائجان جداً حتى لم يكن احدٌ يقدر ان يجتاز من تلك الطريق واذا هما قد صرخا قائلين · ما لنا ولكَ يا يسوع ابن الله · اجئتَ الى هنا قبل الوقت لتعذّبنا

(٨) مر ١: ٢١—٢٦ · ثم دخلوا كفرناحوم وللوقت دخل المجمع في السبت وصار يعلّم فبهتوا من تعليمهِ لانهُ كان يعلّمهم كمَنْ لهُ سلطان وليس كالكتبة وكان في مجمعهم رجل بهِ روح نجس فصرخ قائلاً آهِ مالنا ولكَ يا يسوع الناصريّ اتيت لتهلكنا انا اعرفك من انت قدوس الله فانتهرهُ يسوع قائلاً اخرس واخرج منهُ فصرخ الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منهُ

(٩) مر ٥: ١—٩ · وجاؤُوا الى عبر البحر الى كورة الجدريين ولما خرج من السفينة للوقت استقبلهُ من القبور انسان بهِ روح نجس كان مسكنهُ في القبور ولم يقدر احد ان يربطهُ ولا بسلاسل لانهُ كان قد رُبط كثيراً بقيود وسلاسل فقطع السلاسل وكسر القيود فلم يقدر احد ان يذلّلهُ وكان دائماً ليلاً ونهاراً في الجبال وفي القبور يصيح ويجرّح نفسهُ بالحجارة فلما

رأى يسوع من بعيد ركض وسجد لهُ وصرخ بصوتٍ عظيم وقال . مالي ولكَ يا يسوع ابن الله العليّ استحلفك بالله ان لا تعذبني لانهُ قال لهُ اخرج من الانسان يا ايها الروح النجس وسألهُ ما اسمك فاجاب قائلاً اسمي لجيون لاننا كثيرون

(١٠) لو ٤: ٣١—٣٦ . وانحدر الى كفرناحوم مدينة من الجليل وكان يعلّمهم في السبوت فبهتوا من تعليمهِ لان كلامهُ كان بسلطان وكان في المجمع رجل بهِ روح شيطان نجس فصرخ بصوت عظيم قائلاً آهٍ ما لنا ولك يا يسوع الناصريّ اتيت لتهلكنا انا اعرفك من انت قدوس الله فانتهرهُ يسوع قائلاً اخرس واخرج منهُ فصرعهُ الشيطان في الوسط وخرج منهُ ولم يضرّهُ شيئاً فوقعت دهشة على الجميع وكانوا يخاطبون بعضهم بعضاً قائلين ما هذه الكلمة لانهُ بسلطان وقوّة يأمر الارواح النجسة فتخرج

(١١) لو ٨: ٢٦—٢٨ وساروا الى كورة الجدريين التي هي مقابل الجليل ولما خرج الى الارض استقبلهُ رجل من المدينة كان فيهِ شياطين منذ زمان طويل وكان لا يلبس ثوباً ولا يقيم في بيتٍ بل في القبور فلما رأى يسوع صرخ وخرّ لهُ وقال بصوتٍ عظيم مالي ولكَ يا يسوع ابن الله العليّ اطلب منك ان لا تعذبني اه

فهل يرى البروتستان ان الشياطين والذين فيهم الارواح النجسة فيما هم يخرّون ساجدين لدى الرب يسوع صارخين بالاصوات العظيمة معترفين بانهُ ابن الله العليّ وانهُ قدوس الله ويرجون منهُ ان لا يعذبهم كانوا يوبخونهُ ويستهينون بهِ بقولهم ما لنا ولكَ او كانوا يستعطفونهُ بابلغ عبارات الاستعطاف

او ما كان الاولى بالبروتستاني ان يتنبَّه من هذه الامثلة الى المعنى الحقيقي من هذه العبارة او بالاقل يتورَّع من نفسهِ عن ان يطعن السيد يسوع المسيح بافظع المطاعن الادبية بانهُ وبَّخ امهُ واستهان بها وليس علَى انفرادٍ ولكن بين اناس كثيرين في عرس ولا لانها فعلت شراً او قبيحاً ولكن لانها لمحت لهُ ان الخمر فرغت من عند اهل العرس. او ليس لو صمت عمَّا يشهد عليهِ بالجهل والطيش وعدم احترام الوالدين ويقود من يقرأُ تفسيرهُ مسترسلاً بالثقة الى مهامهِ احتقار الوالدين والتلبُّس بالشراسة والتمرُّد كان اصحَّ فكراً واخفَّ وزراً ولكن سَوْرة الضَلال واطلاق العنان للنفس في المقال تصمُّ الانسان عن سمع قول السيّد (ان كل كلمة بطَّالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين (مت ١٢ : ٣٦)

والاَّ فكيف اجترأَ البروتستاني مفسر الانجيل ان يقول (مالي ولكِ) لا يخلو هذا الجواب من التوبيخ لها علَى ما اظهرت من التعرُّض لما لا يعنيها والجسارة علَى ادّعاءِ ان لها حقاً ان تأمرهُ باجراءِ عمل مما لا يعملهُ الاَّ بارادة ابيهِ السماوي .. فعلى الذين ينسبون الى ام يسوع قوَّة الشفاعة مع ابنها في السماءِ ان يروا ايَّ باب ترك المسيح لرجاءِ ذلك بعد ان لم يسمح لها ان تتعرَّض ادنى تعرُّض لعملهِ علَى الارض فكيف يسمح لها الآن ان تتعرَّض لشفاعتهِ في السماءِ التي استعدَّ لها بموتهِ ولم تتمَّ الاَّ بهِ اه

ونحن نقول للذين ينخدعون و ينقادون الى مثل هذه الافهام الطفلية والاوهام الجهلية عليكم ايها المسوقون الى حالك الديجور بالوهم والغرور ان تنتبهوا من غفلتكم وتنهضوا من سقطتكم ولا تتركوا انفسكم مسحوبة بهذا

التيار الذي يفضي بكم الى سوء القرار

ولا بدَّ لنا من التنبيه عَلَى ان هذه العبارة (مالي ولكِ) مختلف معنى استعمالها عندنا الآن عما كان في تلك الازمنة وهو اما اختلاف اصطلاح لغة عن اصطلاح لغة واما اختلاف استعمال زمان عن استعمال زمان

(العبارة الثانية) قوله · يا امرأة

يقول البروتستان ان السيد له المجد بهذهِ العبارة تبرأ من أمهِ وانكرها ولم يرد ان يعرفها أماً لهُ ويؤيدون زعمهم هذا بمدّعاهم السابق من انهُ ردَّها ردَّاً عنيفاً ووبَّخها كانهم يرون ان هذه اليق صورة بهِ تظهر منهُ وتؤثر عنهُ في معاملتهِ أمَّهُ ولا سيما في العرس امام جمهور من الاقرباء والغرباء

ونحن نقول لهم انكم فهمتم غلطاً وادعيتم شَطَطاً وها نحن نبين لكم خطاء فهمكم وضلال وهمكم فنقول · ان قولهُ يا امرأة قد وقع مثلهُ في الحالة والظروف التي تدلُّ عَلَى انهُ اجل واكرم ما تخاطب بهِ أمٌّ من ولدها وذلك حيث يقول

وكانت واقفات عند صليب يسوع امهُ واخت امهِ مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية فلما رأى يسوع أمَّهُ والتلميذ الذي كان يحبهُ واقفاً قال لأُمهِ يا امرأة هوذا ابنك ثم قال للتلميذ هوذا أمكَ ··· بعد هذا رأى يسوع ان كلَّ شيء قد كمل يو ١٩: ٢٥—٢٨

فنرى انهُ لهُ المجد وهو عَلَى الصليب في تلك الساعة وتلك الحال التي تقصر المدارك البشرية عن تصور مقدار كثرة وشدَّة الآلام التي كانت عليهِ ليفي بها عن خطايا البشر كلهم اجمعين كان اهمَّ واعظمَ ما اهتمَّ بهِ شأن

أمهِ فجعل التلميذ الذي كان يحبهُ ابناً لها وجعلها ايضاً أماً لهُ وهذه القرائن تقضي بان يخاطبها حينئذٍ باجل واشرف خطاب وبناءً على ذلك يكون قولهُ يا امرأة خطاب اكرام واعزاز واجلال وتشريف لا خطاب احتقار وانكار واستهانة واهانة كما يفهم الجهلاء

عَلَى انهُ لو لم يكن في الكتاب المقدَّس العهدين العبارات العديدة التي ظهر منها ان الشياطين اكثر تورُّعاً من البروتستان كما تقدَّم قريباً ولو لم توجد قرينة اصلاً عَلَى ان السيد المسيح كان يجلُّ والدتهُ ويعزُّها ويعطيها حقها وفوق حقها من اكرام الوالدين واحترام البنين ليس المهذبون فقط بل قليلو التربية ايضاً يقدمون الاحترام لامهم فضلاً عمَّن تجسَّد وتأنس ليكون مثال الكمال لكان القول بانهُ يخاطب أُمَّهُ بخطاب فيهِ ازدراء بل بخطاب لا اجلال فيهِ ولا اكرام قولاً فظيعاً لما فيهِ من مخالفة الوصيَّة الخامسة عموماً وعدم اللياقة خصوصاً

ثم انهُ من مقتضى القول انهُ بقولهِ يا امرأة انكرها وتبرأ منها ان يكون الانجيلي بقولهِ (قالت ام يسوع لهُ ليس لهم خمر) وقولهِ (فلما رأى يسوع أُمَّهُ) وقولهِ (قال لامهِ) وكذلك قول اليصابات وهي ممتلئة من الروح القدس (امُّ ربي) وقول لوقا (ام يسوع) وقولهم كلهم اي متى ومرقس ولوقا ويوحنا (امهُ واخوتهُ) منافياً لارادتهِ ومضاداً لفعلهِ ويكونون بذلك يسيئون اليهِ من طريق التونيب والتبكيت وهذه احدى نتائج الجهالة والقول بلا فكر

واذ ذاك فلا نعلم مقدار حنقهم عَلَى ملاك الربّ لاجل قولهِ (قم خذ

الصبيَّ وامهُ (مت ٢ : ١٣ و ٢٠) ولعلَّ كراهتهم للملائكة حتى انكارهم مسببة عن هذا

(العبارة الثالثة) قولهُ · لم تأتِ ساعتي بعد

يرى البروتستان ان هذه العبارة ايضاً من جملة الردّ العنيف الذي ردّ السيّد لهُ المجد بهِ امهُ

ونحن نقول لهم قد فاتكم الصواب وقام بينهُ وبينكم من الضلال حجاب وذلك ان مثل هذه العبارة واقع من هذه البشارة نفسها اي بشارة يوحنا في ص ٧ عد ٦ فقال لهم يسوع ان وقتي لم يحضر بعد وعد ٨ لان وقتي لم يكمل بعد وعد ٣٠ فطلبوا ان يمسكوهُ ولم يلقِ احد عليهِ يداً لان ساعتهُ لم تكن قد جاءَت بعد · وهي في هذه المواضع كلها تدلُّ على ان الامر المتكلَّم عليهِ فيها سيقع ومن ثمَّ يكون قولهُ لم تأتِ ساعتي بعد دالاً على ان الامر سيقع و بالتالي هو جواب بالايجاب وهكذا فهمت امهُ منهُ وامرت الخُدَّام ان يفعلوا ما يأمرهم بهِ مهما كان

المبحث الثاني

في قبول شفاعة مريم العذراء لدى ابنها ربنا ومخلصنا يسوع المسيح

بما انهُ قد ظهر مما تقدَّم في المبحث السابق ظهور الشمس الصاطعة لذوي العيون النافعة ان السيّد لهُ المجد لم يردَّ امهُ بل اكرمها واجلَّها وفعل ما لمحت لهُ ان يفعلهُ بدون ان تحتاج الى التصريح بالطلب · وبما اننا اذ بلغنا هذا المقام في الكتابة وجدنا ان بسط الكلام في شأن الشفاعة يطول عن حدّ ما يكون مبحثاً تتمة لغيرهِ رأينا ان نقتصر هنا على ان نقول لمنكري

قبول شفاعة التي هي اكرم من الشاروبيم وارفع مجداً بغير قياس من الساروفيم والدة الاله الدائمة البتوليَّة الكليَّة الطهارة والبرارة والغبطة مريم العذراء لدى ابنها سيدنا والهنا ومخلّص العالم الذي قال لتلاميذهِ صيادي السمك فضلاً عن والدتهِ التي ارضعتهُ ثدييها وحملتهُ طفلاً عَلَى يديها واسهرت عليهِ عينيها وهو في آخر عملهِ عَلَى الصليب قصر اهتمامهُ من هذه الدنيا عليها (الحقّ الحقّ اقول لكم ان كلّ ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم (يو ١٦ : ٢٣) ولم يشترط كون ذلك في هذه الحياة الزمنيَّة بل اطلق لان الجميع عندهُ احياء (لو ٢٠ : ٢٨) اننا نرضى ونرجو ونأمل ان يكون جواب مخلصنا لها في كلّ ما تسألهُ اياهُ لاجلنا ونتيجتهُ مثل جوابهِ لها في عرس قانا الجليل ونتيجتهِ وفي الوقت ذاتهِ نرجو ايضاً ان لا تفوت البروتستان شفاعتها ولا تحجب عنهم شفقتها ورأفتها

واذا كان السيّد لهُ المجد قد اجاب والدتهُ باكثر مما سألتهُ تعريضاً ولم تصرّح بطلبهِ وفي أمر ليس هو بالقصد والذات مما تجسّد وولد منها لاجلهِ بل في اصطناع خمر لعرسٍ لنسيبٍ او حبيب فكم بالاحرى جداً جداً يقبل شفاعتها في خلاص النفوس الامر الذي لاجلهِ نزل من السماء وتجسّد وتأنّس وتألّم وصلب وقبر وقام . وكم يجب ان نشكر الله ونحمدهُ عَلَى اننا في حظيرة الكنيسة التي هي عمود الحقّ وقاعدته وخزانة التعليم الصحيح السليم موقين بعناية الله من اوهام الضالّين ووساوس التايهين

عَلَى انا وان آثرنا الايجاز في هذا المبحث لم تسمح لنا الواجبات المسيحيَّة ان نخرج منهُ بدون ان ننبه منكري الشفاعة على عظيم خطائهم وسوء

نتائجهِ الامور التي نظنُّ انهم بمجرَّد تنبيههم اليها يقلعون عنها لا لاجلنا ولكن لخير نفوسهم في هذا الدهر وفي الآتي وبناءً على ذلك نقول

ان الذين يقولون بعدم قبول السيد المسيح شفاعة والدتهِ ورسلهِ وقديسيهِ يلزمهم من جرّاء هذا القول ثلاثة امور كلٌّ منها وحدهُ مخيف بل مهلك فكيف وهي متلازمة لا ينفكُّ بعضها عن بعض وهي

(١) مخالفتهم نصوص الاسفار الالهيَّة جهلاً ابتداء واصراراً عناديّاً انتهاء · وذلك انهُ جاء في كلام بولس الرسول (فاطلب اوَّل كلِّ شيء ان تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لاجل جميع الناس لاجل الملوك وجميع الذين هم في منصب لكي نقضي حياةً مطمئنَّةً هادئةً في كل تقوى ووقار لان هذا حسنٌ ومقبول لدى مخلصنا الله الذي يريد ان جميع الناس يخلصون والى معرفة الحقّ يقبلون لانهُ يوجد الهٌ واحدٌ ووسيطٌ واحدٌ بين الله والناس الانسان يسوع المسيح الذي بذل نفسهُ فديةً لاجل الجميع اتي ٢ : ١ — ٦)

فلم يفهموا المراد بكلام الرسول هذا ولا التجأوا الى الكنيسة لتعرّفهم ذلك المراد فاقتضبوا عبارتهُ (لانهُ يوجد الهٌ واحدٌ ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح) بدون نظر الى ما قبلها وما بعدها وقالوا ان الرسول يعلم انهُ كما ان الاله واحد كذلك الشفيع واحد يسوع المسيح ثم تمادوا في ذلك فقالوا ان من يطلب شفاعة احد غير يسوع المسيح يسيء الى يسوع المسيح اولاً بانهُ يحقرهُ اذ يحسب شفاعتهُ غير كافيةٍ وثانياً بانهُ يأخذ ما هو حقٌّ خاصٌّ لهُ ويعطيهِ الى غيرهِ

اما مراد الرسول بهذا الكلام فهو نفي القول بالانتخاب والرذل (الذي هو الآن قول الاكثرين من البروتستان ان لم يكن قولهم جميعاً) كما هو ظاهر من عباراتهِ جميعها وخصوصاً قولهُ (ان الله يريد ان جميع الناس يخلصون وقد علل ذلك بانهُ انما يوجد خالقٌ واحدٌ وفادٍ واحدٌ لا غير واذ ذاك فلا وجه للقول بالانتخاب والرذل اما لو كان يوجد اكثر من خالقٍ او اكثر من فادٍ لكان يحتمل ان كلاً من اولئك الخالقين ينتخب الذين خلقهم هو ويرذل الذين خلقهم غيرهُ وكذلك لو كان يوجد اكثر من فادٍ لكان يحتمل ان كلاً من اولئك الفادين ينتخب الذين فداهم هو ويرذل الآخرين والدليل عَلَى انهُ اراد بالوسيط الفادي قولهُ بعدهُ الذي بذل نفسهُ فديةً لاجل الجميع

وبناءً عَلَى ما نعهدهُ من محك البروتستان نظن ان هذا البيان مع وضوحهِ الشافي لا يقبل بهم الى معرفة الحق فتحملنا الشفقة ان نبين لهم ايضاً خطاءهم من وجهٍ آخر فنقول لهم اما ان تريدوا الاقتصار عَلَى هذه العبارة بلفظها ومعناها غير متعلقة بشيء غيرها من الكتاب واما ان تريدوا موافقتها مع غيرها مما هو في هذا الشأن

فان اردتموها بعينها عَلَى انفراد لفظاً ومعنىً فهي لا تصلح ان يبنى عليها عقيدة مسيحيةٌ اولاً لانها انما تعلم التوحيد دون التثليث وتعليم التوحيد دون التثليث ليس تعليماً مسيحياً وانما التعليم المسيحي هو التثليث والتوحيد معاً وثانياً انها تعلم ان يسوع المسيح هو انسان فقط والتعليم المسيحي انما هو ان يسوع المسيح هو الهٌ تامٌ وانسانٌ تامٌ حتى اذا كان يسوع المسيح انساناً فقط لا يمكنهُ ان يفدي الجميع ولا ان يفدي احداً

وان اردتموها من حيث الموافقة مع غيرها فهذا الرسول بولس هو نفسهُ يقول ايضاً (وكذلك الروح ايضاً يعين ضعفاتنا لاننا لسنا نعلم ما نصلي لاجلهِ كما ينبغي ولكن الروح نفسهُ يشفع فينا بأنّات لا ينطق بها ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح لانهُ بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين) ثم يقول (من هو الذي يدين المسيح هو الذي مات بل بالحري قام ايضاً الذي هو ايضاً عن يمين الله الذي ايضاً يشفع فينا رو٨: ٢٦ و٢٧ و٣٤) فهو كما يقول المسيح يشفع فينا يقول الروح القدس يشفع فينا. والتفريق بين معنى الشفاعة فيهما مما يضحك منهُ العقلاء

وبعد ان كشفت شبهتكم ان اصررتم عَلَى خطائكم فانتم مكابرون وان قلتم علينا اننا نشرك احداً مع المسيح في عمل الفِداء فانتم كاذبون وان زعمتم ان الروح القدس ويسوع المسيح اقنوم واحد فانتم كافرون ولا عذر لكم امام الله ولا امام الناس من ان تكونوا مؤمنين

(٢) انهم بقولهم ان من يطلب شفاعة احد غير المسيح يحقر المسيح ويهينهُ لانهُ يأخذ ما هو حقٌ خاصٌ لهُ ويعطيهِ لغيرهِ يغارون لمجد المسيح جهلاً فيقعون تحت قول الرسول (لاني اشهد لهم ان لهم غيرة الله ولكن ليس حسب المعرفة (رو ١٠: ٢)

(٣) انهم يطعنون المسيح بافظع المطاعن بما ينسبون اليهِ من سوء الاخلاق لانهُ ان كان لا يقبل شفاعة والدته التي حملتهُ وارضعتهُ وربتهُ طفلاً ودارجاً وصبياً ويافعاً وكان خاضعاً لها وليوسف في التربية (انظر لو ٢: ٥١) ولا شفاعة رسلهِ الذين وضع فيهم كلمة المصالحة وجعلهم سفراء

يسعون عنهُ (انظر ٢ كوه : ١٩و٢٠) يكون لا يعرف معنى اقامة السفراء ولا يذكر خدمةً لخاصتهِ ولا يقبل لهم رجاء وحينئذٍ يبعد كل البعد انهُ يخلص البشر او احداً منهم وهم لا اصغوا بقلوبهم اليهِ ولا لهم خدمة لديهِ ولا احتملوا الشدائد حتى الموت في دعوة غيرهم اليهِ

هذا وانا لنأسف من ان نرى انا مضطرون ان نفهم اناساً كباراً ما يعرفهُ ولداننا بدون تعليم خاصٍ بل بمجرد السماع وهو اننا انما نتخذ مريم العذراء والرسل والابرار والقديسين شفعاء لدى الرب يسوع لا لدى الآب كما هو صريح في الجملة التي نختم بها على الغالب صلواتنا وهي " بصلوات آبائنا القديسين ايها الربُّ يسوع المسيح الهُنا ارحمنا وخلصنا آمين " واذ ذاك فصنيعنا لا ينافي قول بولس الرسول ان الوسيط بين الله والناس واحد لان عبارتهُ بحسب ظاهرها لغير المتروّي انما تحصر الشفاعة لدى الاب بالمسيح ولا تمنع اتخاذ الشفعاء لدى المسيح وهذا انما نقولهُ جرياً مع البروتستان على مفهومهم البروتستاني

القضية السادسة

ينكر البروتستان الخبر المتواتر في الكنيسة الى الآن وسيتواتر الى منتهى الازمان وهو ان المباركة مريم العذراء بعد ان ماتت ودُفنت بثلاثة ايام اقامها من الموت ابنها الربُّ يسوع المسيح ورفعها بجسدها الطاهر اليهِ وانها اذ ذاك قد ظهرت للتلاميذ وكلّمتهم

ونحن نقول لهم ان هذا الخبر متواتر في الكنيسة من عهد الرُسُل الاطهار الى اليوم كتواتر الخبر بان انجيل متى لمتّى وانجيل مرقس لمرقس

وانجيل لوقا للوقا وانجيل يوحنا ليوحنا وكذلك سائر اسفار العهد الجديد فحكمهُ في القبول والردّ حكمها واما ان يقبل احد الخبرين المتساويين في السند ويردّ الآخر فمما لا يصح علماً ولا عقلاً

ومن المعلوم انّا لو كلّفنا البروتستان دليلاً عَلَى ان اسفار العهد الجديد هي في الحقيقة للذين نسبت اليهم لم يكن لهم سوى تواتر الخبر في الكنيسة منذ ظهرت الاسفار المذكورة حتى الآن واذ ذاك فلا ندري كيف يصحّ في علمهم وفي عقلهم اعتبار السند الواحد في احد امرين حجة قاطعة وفي الآخر لغواً مع كون الامرين من جهة واحدة وفي جهةٍ واحدة والى جهةٍ واحدة

عَلَى ان فائدة هذا الخبر في المسيحيين من حيث التدرُّع بالتقوى ومزيد اعتبار الطهارة والبرارة وتوفيق الحياة عَلَى كل ذلك مما لا يخفى ولا عَلَى الصبيان العميان واما انكارهُ فليس الاَّ لتكذيب كل امرٍ تقويّ تعلَّم وتهذّب وتربىّ وتجمَّل الكنيسة المقدّسة بنيها بهِ

وهذا نصُّ الخبر ننقلهُ عن كتاب السواعي الكبير حيث يذكر معنونًا (برفع البناجيا) وهو أخبر انهُ بعد قيامة مخلصنا وحلول الروح القدس وتفرُّق الرُسُل لاجل الانذار كانوا اذا اتّكأُوا للغذاء يتركون ما بينهم موضعاً خالياً ويضعون فيهِ وسادة وفوقها قطعة من الخبز يدعونهُ جزء الربّ واذا نهضوا وصلُّوا وشكروا يأخذون تلك القطعة فيرفعونها قائلين المجد لك يا الهنا المجد لك المجد للآب والابن والروح القدس وكانوا يقولون المسيح قام الى الصعود ومن بعد الصعود كانوا يقولون عظيم هو اسم الثالوث المقدّس ايها الرب يسوع المسيح اعنا وهكذا كان يعمل كلٌّ منهم

اينما صودف الى ان اجتمعوا مقبلين بالسحب لاجل انتقال السيدة والدة الاله ففي اليوم الثالث من دفنها صنعوا تعزية وبعد ما نهضوا عن الاكل رفعوا جزء الربّ كعادتهم لحينما قالوا عظيم هو اسم · ظهر لهم عجب عظيم ومعجز جسيم وهو ان العذراء وفدت بجسمها الطاهر ملتحفة بسحابة بهجة وملائكة منيرون ظهروا محيطين بها في الجوّ قائلةً السلام لكم افرحوا لاني معكم كلّ الايام · فدُهش التلاميذ وعلَوا اصواتهم قائلين (عوض ايها الرب يسوع المسيح اعنّا) يا والدة الاله الكليّة القداسة اعينينا ثم تقدّموا الى القبر واذ لم يجدوا جسدها الكلي قدسهُ تيقنوا حقيقةً انها قامت من بين الاموات حيّةً بجسدها بعد ثلاثة ايام نظير ابنها وانتقلت الى السماوات متملكةً مع المسيح الى دهر الداهرين آمين

والآن نتبادل النظر مع البروتستان في هذا الخبر فنورد وجوههم في الانكار ونبيّن سقوطها هكذا

(١) يقول البروتستاني اني لا اقبل هذا الخبر لانهُ غير وارد في العهد الجديد ·

فنقول لهُ انكم تقبلون اخباراً كثيرة مثلهُ غير واردة في العهد الجديد ولكنها واردة في تاريخ الكنيسة · ومن ذلك ما في اواخر تراجم كَتَبَة اسفار العهد الجديد من كتاب مرشد الطالبين تأليف من امتاز بالفضل من ايمّتكم حيث يقول

(١) في آخر ترجمة متّى · قيل انهُ بشر بالانجيل في اليهودية مدة سنين ثم انطلق الى الامم ليشهر بينهم ايمان المسيح وسعى مجتهداً في تبشير بلاد كوش وفارس وبرثيا ثم استشهد اخيراً في نضبار من بلاد كوش بطعنة

رمح سنة ٦٢ للمسيح اه

قلت وهذا قبل انتهاء تاريخ سفر اعمال الرسل وهو غير مذكور في سفر الاعمال وهذا صريح في انكم تقبلون اخباراً دينية غير مذكورة في العهد الجديد

(٢) في آخر ترجمة مرقص · قيل ان بطرس ارسلهُ الى مصر ليبشر فيها باسم المسيح وكانت اتعابهُ ناجحة في ليبية ومرموريكا وبنتابوليس ثم عاد الى الاسكندرية وهاج عليهِ فيها اضطهادات شديدة من جمهور الوثنيين في موسم عيد الهٍ لهم يسمى سيرابيس ثم مات لشدة ما انهكهُ من الآم العذابات الكثيرة بعد ان حبس ليلة · وكل هذا غير مذكور في العهد الجديد

وقال في الكلام على انجيلهِ · قيل ان مرقس كتب انجيلهُ في اثناء سنة (٦١ م) بمناظرة وارشاد بطرس الرسول رفيقهِ الخاص وربما يويد هذا الرأي كونهُ يترك اخباراً كثيرة عن هذا الرسول تؤول الى كرامتهِ مما يذكرهُ غيرهُ من الانجيليين ويذكر اكثر منهم من عيوبهِ وهذا يرجح ان ذلك كان بارشاد بطرس ذاتهِ · وهذا ايضاً غير مذكور في العهد الجديد

قلت ولا يخفى ان جميع هذه الاخبار منقولة من تاريخ الكنيسة الأ ان في هذا النقل فعلة بروتستانية وهي ان هذا المؤلف يعترف ان مرقس كان رفيقاً لبطرس وانهُ الف انجيلهُ بمناظرة بطرس وارشادهِ وان بطرس ارسلهُ الى مصر ليبشر فيها ولكنهُ لا يذكر المكان الذي فيهِ الف مرقس انجيلهُ بمناظرة بطرس والذي منهُ ارسلهُ الى مصر وليس ذلك لان المكان مجهول بل هو مذكور في تاريخ الكنيسة عند الشرقيين وعند الغربيين جميعاً وفي ترجمة مرقس في كتب كلٍ من الكنيستين الشرقية والغربية ومنه ايضاً

ما في تذكار القديس مرقس الانجيلي في ٢٥ نيسان من كتاب السواعي الكبير حيث يقول ان مرقس دخل الايمان بالمسيح بواسطة بطرس الرسول وتبعهُ حتى رومية وفيما كان مقيماً فيها (اي في رومية) الف بشارتهُ باللغة اليونانية بتحضيض بطرس نفسهِ وطلب المسيحيين الذين كانوا هناك و كان الثاني في كتابتها بعد متى ثم فيما بعد ذهب الى مصر ليبشر فيها وانشأ كنيسة الاسكندرية ثم توفي مستشهداً في نحو سنة ٦٤ وانما اغفل البروتستاني ذكر المكان الذي الف فيهِ مرقس بشارتهُ لئلاَّ يفتضح فيما سيذكرهُ في ترجمة بطرس من انكارهِ ان يكون جاء الى رومية اصلاً

ومما يستملح ذكرهُ فكاهةً انهُ فيما كان عندي يوماً ما احد البروتستان المتعلمين والمبشرين ايضاً جرى ذكر مجيء بطرس الى رومية فانكرهُ شديد الانكار لانهُ لم يذكر في الكتاب المقدَّس فقلت لهُ لكي اشعرهُ بخطائهِ ان بطرس لم يزل حياً لانهُ لم يذكر في الكتاب المقدَّس انهُ مات فبدلاً من ان يخجل هان عليهِ ان يقول بان بطرس لم يزل حياً على ان يقول بان بطرس ذهب الى رومية

(٣) في آخر ترجمة لوقا . قيل انهُ استشهد في حكم نيرون الملك وذلك لا يبعد عن الصواب لانهُ كان غالباً مصاحباً لبولس الذي قضى نحبهُ هناك

(٤) وفي آخر ترجمة يوحنا . وفي الاضطهاد الذي كان في حكم دوميتيانوس الملك الروماني نفي الى جزيرة بطمس وهناك تجلَّت عليهِ مناظر الرؤيا واوحي اليهِ بكتابتها ثم رجع من هناك الى افسس ولبث فيها الى سنة المئة بعد الميلاد ووقعت محبتهُ في قلوب الجميع ولمَّا طعن في سنهِ

مات بسلام بين اخوانهِ

(٥) وفي آخر ترجمة بولس . وبعد ان كان هذا الرسول الامين وسلية بركات غفيرةٍ لكنيسة الله بتبشيرهِ وقدوتهِ وكتابتهِ ختم صدق الانجيل بدمهِ في روميه سنة ٦٦م بامر نيرون الملك

(٦) وفي آخر ترجمة يعقوب . قيل انهُ كان اوَّل اسقف عَلَى الكنيسة المسيحيَّة في اورشليم وكان لهُ كرامة وانهُ استشهد نحو سنة ٦٢ م

(٧) وفي آخر ترجمة بطرس . قيل انهُ اقام اسقفاً عَلَى رومية مقدار خمس وعشرين سنة ولكن لا يوجد اثبات انهُ كان اسقفاً عَلَى الكنيسة المسيحيَّة فيها . ورُوِيَ انه حين قُضِيَ عليهِ بالصلب تذكَّر فضيحتهُ حين جحد مخلصهُ والتمس ان يصلب منكس الرأس كأنَّهُ لم يكن مستحقاً ان يموت مثل موت سيدهِ وهكذا كانت صورة موتهِ وذلك سنة ٦٦ م اه

قلت وانت ترى انهُ ينكر مجيءُ بطرس الى روميــة انكاراً مطلقاً ثم يقول انهُ قضي عَلَى بطرس بالصلب وانهُ صُلِبَ منكساً ويعيّن ذلك سنة ٦٦ م ولكنهُ لا يذكر اين كان ذلك ولا من فعل ذلك وليس هذا لجهل المكان الذي جرى فيهِ الحكم عَلَى بطرس لانهُ حيثما يذكر استشهاد بطرس في كتب الكنيستين الشرقية والغربية يذكر ايضاً ان ذلك كانَ في رومية وفي ايام نيرون الملك ولكن لعلة في نفس البروتستاني كما يظنُّ الصبيُّ الغبيُّ انهُ اذ اغمض عينيه تختفي الشمس الشارقة عليه ومن النصوص عَلَى ان استشهاد بطرس كان في رومية كما كانَ استشهاد بولس ايضاً فيها ما في تذكارهما في يوم ٢٩ حزيران في السواعي الكبير حيث يقول في ترجمة

بطرس ما ملخصهُ انهُ كان اسمهُ سمعان ثمَّ سماهُ السيد بطرس ورقَّاهُ الى وظيفة الرسولية فصار تلميذاً لهُ غيوراً لا يفارقهُ وبعد قيامة المسيح وحلول الروح القدس بشَّر بالمسيح في اليهودية ومدينة انطاكية وبعض امكنة في اسيا حتى بلغ رومية وفيها صلبهُ نيرون منكساً اي رأسهُ الى اسفل ورجلاهُ الى اعلى سنة ٦٦ او ٦٨ م ثم يبسط الكلام في ترجمة بولس الوسيعة العجيبة واخيراً يقول انهُ استشهد في رومية عَلَى عهد نيرون الذي امر بقطع رأسهِ وكان ذلك فيما قبل في نفس السنة التي استشهد فيها بطرس اه فتأمل ايها المطالع في مقدار امانة هولاء القوم في ما ينقلون ومقدار صدقهم في ما يقولون

(٨) وفي آخر ترجمة يهوذا · قيل انهُ عند شروعهِ في خدمة الرب بشر بالانجيل في اليهودية والسامرة والجليل وادوم ثم في بلاد العرب وسورية وما بين النهرين وبلاد فارس واثبت تعاليمهُ بمعجزات لكن ليس عندنا تحقيق عن المكان الذي ختم خدمتهُ فيهِ والبعض يقولون ان المجوس قتلوهُ في بلاد العجم اه ولا نعلم ماذا كان البروتستان بعد كل هذا يخجلون من قولهم اننا لا نقبل اخباراً دينية من خارج الكتاب المقدَّس

واعلم ايها المطالع العاقل اولاً ان الاخبار التقوية التي تؤْخذ من كتب الآباء ومن تاريخ الكنيسة انما تقرأ بورَع ويتعلم منها السيرة المسيحية ولكن لا تكون هي بذاتها بدون نصوص الكتاب المقدَّس أسساً للعقائد الخلاصية وهذا عند المسيحيين مبدأ مسلمٌ بدون اختلاف واما شاهدهُ عَلَى البروتستان فهو صنيع موَلّف مرشد الطالبين وهو نادر بينهم في التأدب

وقلة التيه وفي التنكُّب عن القدح في حق الغير وقد وضع للتراجم التي سبق ذكرها مقدَّمة قال فيها

ان قارئ اسفار العهد الجديد التي هي القاعدة الوحيدة لايماننا وسلوكنا يليق بهِ ان يغرس في نفسهِ رسماً مختصراً عن حياة وصفاة اولئك الرجال الاطهار الذين كتبوا هذه الاسفار بالهام الروح القدس واسَّسوا الكنيسة المسيحية وهم ثمانية انفار وهذه ترجمة حياة كلٍّ منهم اه فتراهُ يتكلم كمسيحيّ حقيقيّ بان الاخبار التي سينقلها تصلح ان تكون مثالاً لتعلم الادب المسيحي والسيرة المسيحية

وثانياً ان البروتستان كما انهم لا حدَّ لهم في اعتقاد ولا في صورة تعبُّد ولا في نظام كنائسي كذلك لا حدَّ لهم في ما يقبلونهُ وما يرفضونهُ من الاخبار التقوية التي في تآليف الآباء وتاريخ الكنيسة كذلك هم في وقت يقبلون منها في موضوع ما ما يعنُّ لهم قبولهُ ويرفضون ما يعنُّ لهم رفضهُ ثم في وقت آخر او موضوع آخر يرفضون ما كانوا قد قبلوهُ ويقبلون ما كانوا قد رفضوهُ او يرفضون رفضاً مطلقاً كل ذلك وهم يعتقدون انهم يسلكون بنور العقل السليم ويسيرون بحسب العلم القويم

وثالثاً انك عندما تورد على البروتستاني في تزييف جهالةٍ من جهالاتهِ لاحد ائمتهِ ما ينقض قولهُ ويفحمهُ يتبرأ حالاً وبلا تردُّد من ذلك الامام ومن متابعتهِ ويجاهر بانهُ لا يعرف معلماً لهُ في الدين سوى عقلهِ وان كان جاهلا كل علم وخالياً من كل فهم ومجرَّداً من كل اطلاع وعلى ذلك ستراهم يتبرأون من مؤلف مرشد الطالبين وان كان من افضل واعقل

واجلّ من قام فيهم

(٢) يقول البروتستاني اني انكر هذا الخبر لما فيهِ من الغرابة بانتقال الرسل بالسحاب من الامكنة البعيدة بعضها عن بعض بعداً شاسعاً الى مكان واحد

فنقول لهُ ايُّ غرابةٍ في ذلك وانتم تعترفون بصدق الكتاب المقدَّس وفيهِ امثلة من ذلك · منها قول عوبديا لايليا · ويكون اذا انطلقت من عندك ان روح الربّ يحملك الى حيث لا اعلم ١ مل ١٨ : ١٢ ومنها قول بني الانبياء الذين في اريحا لاليشع هوذا مع عبيدك خمسون رجلا ذوو بأس فدعهم يذهبون ويفتشون عَلَى سيدك لئلاَّ يكون قد حملهُ روح الربّ وطرحهُ عَلَى احد الجبال او في احد الاودية ٢ مل ٢:١٦ ومنها قول حزقيال النبي · فحملني الروح واخذني ص ٣ : ١٤ ومنها قول كاتب سفر الاعمال ولما صعدا من الماء خطف روح الربّ فيلبُّس فلم يبصرهُ الخصيُّ ايضاً وذهب في طريقهِ فرحاً واما فيلبس فوجد في اشدود اع ٨ : ٣٩و٤٠

او يرى البروتستاني ان هذهِ الحوادث كانت عند السيد يسوع المسيح اهمّ من جمع رُسلهِ لدى أُمّهِ للتبرك منها ولسماع وصاياها عند انتقالها او يرى ان قوة يسوع المسيح كانت قد نفدت فلم يبق قادراً عَلَى مثل ذلك وهو يقرأُ يسوع المسيح هو هو امس واليوم والى الابد عب ١٣ : ٨

(٣) ينكر البروتستاني اعادة السيد الحياة لامهِ واقامتها من الموت بعد ثلاثة ايام

ونحن لكي لا نجعلهُ يخجل من نفسهِ لا نذكر لهُ اقامة لعازر بعد اربعة

ايام (يو ١١ : ١ — ٤٤) التي يعرفها حتى ولداننا الصغار ويترنمون بالاناشيد بها ولكن نقول لهُ اترى اقامة ابنة يايروس مت ٩ : ١٨ — ٢٦ واقامة ابن ارملة نايين لو ٧ : ١١ — ١٥ اهمّ عند السيد المسيح من اقامة أُمهِ واليق بهِ

وهنا لا يبعد ان يقول البروتستاني نحن نعرف كل ذلك ونعرف ايضاً ان تلاميذهُ اقاموا الموتى ومن ذلك اقامة بطرس طابيثا في يافا ١ ع ٩ : ٣٦ — ٤١ واقامة بولس افتيخوس في ترواس ١ ع ٢٠ : ٧ — ١٢ ولكن بغضاوتنا الشديدة لمريم العذراء تمنعنا من الاقرار بقيامتها فنحن نحبُّ المسيح حباً شديداً ونبغض امهُ بغضاً اشدَّ وبهذا نرجو السعادة الابديَّة

(٤) ينكر البروتستان صعود مريم العذراء بالجسد

ونحن نقول لهم اترون رفع كلٍّ من اخنوخ تك ٥ : ٢٤ وايليا ٢ مل ٢ : ١١ اهمّ عند السيد من رفع والدتهِ اليهِ بجسدها الطاهر الذي تجسد هو منهُ واليق بهِ ام انتم لا تفكرون

(٥) ينكر البروتستان مخاطبتها الرسل بعد قيامتها

ونحن نقول لهم من المعلوم انها لم تقم من الموت بقوتها الخاصة ولا ارتفعت بجسدها الطاهر بقوتها الخاصة وانما انعم عليها بذلك ابنها السيد يسوع المسيح الذي لهُ كلُّ سلطان في السماء وعلى الارض واذ ذاك اليس مما يكون انعم عليها بهِ النطق والكلام او ترون ان ايليا التشبيتي كان اكرم عليهِ من أُمهِ حتى اعطاهُ انهُ بعد صعودهِ ارسل كتابةً الى يهورام ابن يهوشافاط ٢ اي ٢١ : ١٢ — ١٥ واعطى صموئيل ان يكلّم المرأة وشاوول

ايضاً في عين دورة اصم ٢٨ : ٣ — ٢٠ ولم ينعم علَى والدته ان تتكلّم وتكلّم تلاميذهُ وبماذا تصدّقون

(٦) ينكر البروتستان ظهور السيدة والدة الاله مريم العذراء بعد قيامتها ملتحفةً بسحابةٍ بهجةٍ يحيط بها ملائكة منيرون وقولها للتلاميذ السلام لكم افرحوا لاني معكم كلَّ الايام

ونحن نقول لهم انهُ من المعلومات البهديهية انهُ كما ان قيامها من الموت لم يكن بقوّتها الخاصة كذلك ظهورها في السحاب ملتحفةً بسحابةٍ بهجةٍ يحيط بها ملائكة منيرون لم يكن ذلك بقوتها الخاصة ولكن بكرامتها الخاصة الوالدية عند ابنها والهها الرب يسوع المسيح وايُّ مصداقٍ لقولهِ لهُ المجد (حينئذٍ يضيء الابرار كالشمس في ملكوت ابيهم مت ١٣ : ٤٣) اليق واوجب من هذا

ولو تروّوا لعلموا ان الكلام الذي خاطبت التلاميذ بهِ هو مما كلّم الرب يسوع تلاميذهُ بهِ بعد قيامتهِ حيث قال لهم حين دخل عليهم وهم في العلية والابواب مغلقة سلام لكم يو ٢٠ : ١٩ و٢١ وحين امرهم بالانطلاق الى جميع الامم وتلمذتهم ختم كلامهُ لهم بقولهِ وها انا معكم كلَّ الايام الى انقضاء الدهر مت ٢٨ : ١٩ و٢٠ مما يدلُّ انهُ كلامهُ انطقها بهِ ليعرف تلاميذهُ وبهم سائر الناس منزلتها لديهِ لفهموا ان كلَّ ذلك كان بنعمةٍ خاصةٍ من ابنها الرب يسوع لها ولذلك نجد ان الرب يسوع قال لتلاميذهِ سلام لكم منكَّراً وهي قالت لهم السلام لكم معرَّفاً ليتنبه اولو الالباب ان هذا السلام هو ذاك السلام واما قولها عليها سلام الله افرحوا فهو من

العبارات التي كثر ورودها في اسفار العهد الجديد تذكيراً وتنويهاً بالنعمة التي للموءمنين بالمسيح

ولم يبق في المقام الأ ان قولها انا معكم كل الايام مما ليس للمخلوقات ان تقولهُ وانما هو لله ولكن اذا كان السلطان كلهُ لابنها وهو قد اكرمها وانعم عليها النعم الخاصة التي تقدَّم ذكرها فما المانع من ان يكون منحها ايضاً هذه النعمة التي ليست لغيرها من المخلوقات كما انهُ ليس لغيرها من المخلوقات حقُّ الاكرام عليهِ والدالةَّ الوالدية لديهِ وانما يبعد ذلك او يستحيل علَى الانسان الذي يقيس قدرة المسيح علَى قدرتهِ ويقدّر نعمة المسيح علَى قدر نعمتهِ ولا يتنبهُ ولا يريد ان يتنبهَ الى قول السيّد لهُ المجد (هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كلُّ شيء مستطاع مت ١٩ : ٢٦) وانظر ايضاً (مر ١٠ : ٢٧) وقول جبرائيل الملاك (ليس شيء غير ممكن لدى الله لو ١ : ٣٧)

وانا لنعجب اذ نرى ان البروتستان يقرأُون في الكتاب المقدَّس ان الله سبحانهُ وتعالى يمنح احياناً مما هو من سلطانهِ الخاصّ سلطاناً لملائيكتهِ حتى يثيبوا ويجازوا بامرهم الخاصّ ومن ذلك قول الكتاب (وكان يهوشع لابساً ثياباً قذرةً وواقفاً قدام الملاك فاجاب وكلَّم الواقفين قدامهُ قائلاً انزعوا عنهُ الثياب القذرة وقال لهُ انظر قد اذهبت عنك اثمك والبستك ثياباً مزخرفة فقلت ليضعوا علَى رأسهِ عمامة طاهرة فوضعوا علَى رأسهِ العمامة الطاهرة والبسوهُ ثياباً وملاك الربّ واقف فاشهد ملاك الرب علَى يهوشع قائلاً هكذا قال ربُّ الجنود ان سلكت في طرقي وان حفظت شعائري فانت

أيضاً تدين بيتي وتحافظ ايضاً عَلَى دياري واعطيك مسالك بين هولاء الواقفين زك ٣:٣—٧) ومنها ايضاً قول جبرائيل الملاك لزكريا (ها انت تكون صامتاً ولا تقدر ان تتكلَّم الى اليوم الذي يكون فيهِ هذا لانك لم تصدّق كلامي الذي سيتمُّ في وقتهِ لو ١:٢٠)

فترى اولاً ان الملاك ليس انهُ يأمر بنزع الثياب القذرة عن يهوشع وبالباسهِ عمامةً طاهرةً وثياباً مزخرفة فقط بل يقول لهُ قد اذهبت عنك اثمك مع انهُ مما لا خلاف فيهِ انهُ ليس من يقدر ان يغفر الخطايا الاَّ الله وحدهُ (انظر لو ٥:٢٠و٢١) وثانياً ان جبرائيل قد نزع عن زكريا وهو كاهن الرب وفي نوبة تكهينهِ وفي ملابسهِ الكهنوتية وامام الرب اعظم المواهب اعني موهبة النطق التي بها يتميز الانسان من الحيوان البهيم · ولا نعلم ماذا يقول البروتستان في شأن هذين الملاكين الاَّ انهم لا يستغربون ذلك ولا ينكرونهُ ولكنهم يستغربون وينكرون مظهر النعمة الخاصة التي انعم بها الرب يسوع عَلَى والدتهِ تعريفاً لتلاميذهِ وبهم لسائر الناس سموَّ منزلتها لديهِ

واذا فتشنا عن علة ذلك فيهم فلا نجد الاَّ كونها افضل مثالاً من المخلوقات للطهارة والبرارة والنقاوة والكمال المسيحي وهم اعداء لكلّ ذلك وهذا فيما هم يؤلّهون النساء بينهم حتى يكادون يعبدونهنَّ

القضية السابعة

يقول البروتستان ان ما تقدّمهُ الكنيسة افراداً واجمالاً من التكريم والمديح والتمجيد لمريم العذراء هو

اولاً بالنظر اليها عبثٌ لانها لا تعلم بهِ اذ ان الميت لا يعلم ما يكون بعد

وفاته من اقوال الاحياء وافعالهم

ثانياً انها لو كانت تسمع وتعلم كما في حياتها لما سمعت وعلمت بكلّ ما يُقدَّم لها لانها محدودة محصورة في مكان واحد كسائر المخلوقات وتلك التكريمات تقدَّم لها في امكنة لا تحصى كثرةً مع تفاوتها قرباً وبعداً في اقطار الارض

ثالثاً انهُ خارج عن حد الادب الدينيّ لما فيهِ غالباً من المبالغات

رابعاً انهُ مما يدان عليهِ فاعلهُ كمجرم لانهُ من قبيل سلب ما هو حقٌ خاصٌ للمسيح واعطائهِ لامرأةٍ

ونحن بعد ان ننبه اخوتنا المسيحيين المؤمنين ان يتاملوا في هذه الاعتراضات كيف تشفُ عن ان البروتستان يتعلمون من كتاب وساوس ويدَّعون انهم يتعلمون من الكتاب المقدَّس ويعبدون الهاً هو الهُ اموات ويدَّعون انهم يعبدون الاله الذي الجميع عندهُ احياء ويدينون بدين غير الدين الذي هو الايمان بالله والتعلم من الله والاذعان لتعليم الله نقول ان هذه القضيةَ تشتمل عَلَى اربع فقراتٍ كما ترَى ونحن نبسط الكلام في كلّ فقرةٍ منها عَلَى حدتها هكذا

(الفقرة الاولى) قولهم ان ما تقدّمهُ الكنيسة من التكريم والمديح والتمجيد لمريم العذراء هو بالنظر اليها عبثٌ لانها لا تعلم بهِ اذ ان الميت لا يعلم ما يكون بعد وفاتهِ من اقوال الاحياء وافعالهم

ونحن نقول للبروتستان ان قولكم هذا بل اعتقادكم هذا منافٍ لتعليم الله في النصوص الاتية وهي

اولاً قول السيد المسيح (الربُّ الهُ ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب وليس هو الهُ اموات بل الهُ احياء لان الجميع عندهُ احياء (لو ٢٠: ٣٧ و٣٨) وليس لاحد ان يتوهمّ ان جواب السيد هذا خاصٌ بالصدوقيين الذين يقولون ليس قيامةٌ ولا ملاكٌ ولا روح بل هو للصدوقيين ولكلّ من يشبههم ايضاً

ثانياً قول الانجيلي (لما رأى هيرودوس ان المجوس سخروا بهِ غضب جداً فارسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وكلِّ تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذي تحقّقهُ من المجوس حينئذٍ تمّ ما قيل بارميا النبيّ القائل صوت سمع في الرامة نوحٌ و بكاء وعويلٌ كثيرٌ راحيل تبكي علَى اولادها ولا تريد ان تتعزّى لانهم ليسوا بموجودين (مت ٢: ١٦—١٨)

وراحيل هذه هي بنت لابان وامرأة يعقوب وكانت وفاتها قبل قتل هيرودس الاطفال بنحو ٢٣٠٠ سنة علَى اقل التواريخ وقد علِمَت بقتل الاطفال وحزِنَت

ثالثاً قول السيد المسيح لليهود (لا تظنوا اني اشكوكم الى الآب يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليهِ رجاؤكم لانكم لو كنتم تصدّقون موسى لكنتم تصدقونني لانهُ هو كتب عني فان كنتم لا تصدّقون كتب ذاك فكيف تصدّقون كلامي (يو ٥: ٤٥—٤٧)

وموسى مات قبل التجسُّد بنحو ١٤٠٠ سنة علَى اقل التواريخ واذا كان الاموات لا يعلمون ما يكون بعدهم من اقوال الاحياء وافعالهم فكيف يشكو موسى اليهود الى الآب وهل ترى يجسر البروتستان ان يدعوا ان

المسيح قال ذلك مجازفة او ليس هذا برهاناً ساطعاً ناصعاً على ان اليهود كانوا يعتقدون ان الاموات يعلمون ما يكون بعدهم من افعال الاحياء والأ كانت مخاطبة المسيح اياهم بهِ عبثاً

ولا نرى شيئاً يمنع البروتستاني من ان ينتصب هنا ويزعم ان كلام المسيح هذا مجاز بدون قرينة وان كتب موسى تشكو اليهود لا موسى نفسهُ يقول هذا وعقلهُ في رأسهِ فان قلنا لهُ انك بهذا الزعم فضلاً عن تحريفك كلام المسيح الصريح في ان موسى يشكو اليهود لا كتبهُ قد سلبت العلم عن ذي العلم اي موسى واثبتهُ الى ما لا علم لهُ اي الكتب يقول حالاً الكتب لا تعلم ولكن الذي يعلم الله ويلزمهُ حينئذٍ ان الله يشكو اليهود الى الله

رابعاً رسالة ايليا حيث يقول (واتت اليهِ (اي الى يهورام ملك يهوذا) كتابة من ايليا النبيّ تقول · هكذا قال الرب الهُ داوود ابيك من اجل انك لم تسلك في طرق يهوشافاط ابيك وطرق آسا ملك يهوذا · بل سلكت في طرق ملوك اسرائيل وجعلت يهوذا وسكان اورشليم يزنون كزنا بيت آخاب · وقتلت اخوتك من بيت ابيك الذين هم افضل منك · هوذا يضرب الربّ شعبك وبنيك ونساءك وكلّ مالك ضربةً عظيمةً · واياك بامراضٍ كثيرةٍ بداء امعائك · حتى تخرج امعاؤك بسبب المرض يوماً فيوماً اه (١٢ اي ٢١ : ١٢—١٥) فترى ان ايليا عرف احوال واعمال يهورام وقتلهُ اخوتهُ وانهم كانوا افضل منهُ وتهدّدهُ بامور مستقبلة · وايليا رُفع سنة ٨٩٦ ق م وهذه الرسالة جاءت منهُ سنة ٨٨٩ فيكون اتيانها بعد رفعهِ بسبع سنوات

ولاحتمال ان يكون بقي في نفس البروتستاني شيء من المماحكة والمكابرة الراسختين في نفسهِ من عادة الاستمرار عَلَى الانكار نذكر هنا المثال التعليمي الذي نطق بهِ السيد وان اقتضى طولاً في الكلام لانهُ لا يبقى معهُ للبروتستاني طريق للفرار ولا وجهٌ للانكار وهو قولهُ لهُ المجد من لوص ١٦ عدد ١٩ كان انسانٌ غنيٌ وكان يلبس الارجوان والبزَّ وهو يتنعَّم كلَّ يوم مترفهاً ٢٠ وكان مسكينٌ اسمهُ لعازر الذي طُرِح عند بابهِ مضروباً بالقروح ٢١ ويشتهي ان يشبع من الفُتات الساقط من مائدة الغنيِّ · بل كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحهُ ٢٢ فمات المسكين وحملتهُ الملائكة الى حضن ابراهيم ومات الغنيُّ ايضاً ودُفن ٢٣ فرفع عينيهِ في الجحيم وهو في العذاب ورأى ابراهيم من بعيد ولعازر في حضنهِ ٢٤ فنادى وقال يا ابي ابراهيم ارحمني وارسل لعازر ليبلَّ طرف اصبعهِ بماء ويبرّد لساني لاني معذَّبٌ في هذا اللهيب ٢٥ فقال ابراهيم يا ابني اذكر انك استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لعازر البلايا · والآن هو يتعزَّى وانت تتعذَّب ٢٦ وفوق هذا كلِّهِ بيننا وبينكم هوَّةٌ عظيمة قد أُثبتت حتى ان الذين يريدون العبور من ههنا اليكم لا يقدرون ولا الذين من هناك يجتازون الينا ٢٧ فقال اسألك اذن يا ابتِ ان ترسلهُ الى بيت ابي ٢٨ لان لي خمسة اخوة حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم ايضاً الى موضع العذاب هذا ٢٩ قال لهُ ابراهيم عندهم موسى والانبياء ليسمعوا منهم ٣٠ فقال لا يا ابي ابرهيم · بل اذا مضى اليهم واحد من الاموات يتوبون ٣١ فقال لهُ ان كانوا لا يسمعون من موسى والانبياء ولا ان قام واحد من الاموات يصدّقون اه

ونحن نوضح من هذا المثل الامور الآتية وهي

(١) ان الاموات يعرفون ما كانوا يعرفونهُ وما مضى لهم وهم في حياة الدنيا هذه فان الغني عرف ابراهيم وانهُ ابو الآباء وانهُ جدهُ ولذلك ناداهُ يا ابي تقرُّباً اليهِ بانهُ من نسلهِ وعرف لعازر وانهُ ذاك المسكين الذي كان مطروحاً عند بابهِ ولذلك اختصهُ من بين تلك الالوف والربوات ان يأتي لخدمتهِ

ومعرفة الغنيّ كلاًّ من ابراهيم الذي لم يكن شاهدهُ في حياتهِ لان هذه الحادثة مصورة علَى انها بعد موت موسى والانبياء وابراهيم مات قبل موسى بدهر طويل ومعرفتهُ ايضاً لعازر الذي كان ولا بُدَّ قد شاهدهُ في حياتهِ اذ كان مطروحاً عند بابهِ تستلزم انهُ عرف كل واحدٍ من الذين هم في النعيم اذ لا وجه للقول بانهُ انما عرف ابراهيم ولعازر علَى وجه الخصوص

(٢) ان الاموات الاخيار والاشرار جميعاً تزداد معرفتهم عمّا كانت قبل موتهم فان الغني نظر ابراهيم من الجحيم الى النعيم وعرفهُ من بين الوف وربوات الصالحين وكذلك ابراهيم نظر الغني وعرفهُ من بين الوف وربوات الاشرار بدون ان يسأل احدهما عن الآخر ممن هم حولهُ مع انهما لو رأى كلٌّ منهما الآخر في حياة هذه الدنيا لما عرفهُ الاَّ اذا سأل عنهُ من يعرفهُ اياهُ . وان زعم احد ان احدهما سأل عن الآخر ممن هم حولهُ من الناس فنقول لهُ اذن تكون وسائطهم اكثر ومعرفتهم اوسع فان قال ان السؤال كان من الملائكة فنقول لهُ اذن تكون وسائطهم اكثر ومعرفتهم اعظم مما يستفاد من الناس وهذا فضلاً عن انهُ ليس في الكتاب نصٌّ ولا

اشارةٌ الى ذلك

(٣) ان الاموات يعرفون ما يكون بعدهم من اقوال واحوال وافعال الاحياء وحوادث الزمان ومواليد الناس وظروف حياتهم وصفة معيشتهم بدليل ان ابرهيم عرف ما يأتي وهو

اولاً كيف كان حال كلٍّ من الغني ولعازر ومعيشة كل منهما قبل موتهِ

ثانياً عرف الغني انهُ من نسلهِ وخاطبهُ بقولهِ يا ابني وذلك يستلزم انهُ عرف سلسلة آبائهِ واحداً فواحداً الى يعقوب والاَّ فيكون قول ابراهيم لهُ يا ابني مجازفة وهذا لا يقولهُ موءمن

ثالثاً عرف انهُ جاء بعدهُ موسى والانبياء وهذا يستلزم انهُ عرف زمان كلٍّ منهم واحوالهُ واعمالهُ وتعاليمهُ

رابعاً عرف انهم كتبوا اسفاراً وانها باقية بعدهم ومحفوظة في ايدي اليهود بغاية الحرص والاجلال وان ذلك كلهُ معلوم عند كل واحد من اليهود وهذا مستفاد من قولهِ عندهم موسى والانبياء

وكل ذلك يدلُّ عَلَى ان الاموات يعرفون مما يكون بعدهم من الاحياء اكثر جداً مما كانوا يعرفونهُ قبل رقادهم

هذا وطالما طنطن البروتستان ولا يزالون يطنطنون بان في هذا المثل نصاً صريحاً وحجةً قاطعةً وبرهاناً ساطعاً عَلَى بطلان التعليم بالانتفاع من طلب شفاعة القديسين حتى ان الذين جاوءوا منهم الى بلادنا واستفادوا بلا شكٍّ كثيراً من الاطلاع عَلَى المبادي الوطيدة المبني عليها تعليمنا مما لم يكن يتيسر لهم وهم في بلادهم لم يرجعوا عن غيهم ومنهم البروتستاني مفسر الانجيل

فانهُ من جملة كلامهِ في تفسير الاعداد (٢٣ — ٢٥) من هذا المثل قال ٠ في هذه الآيات مجاز أُعلنت بهِ امور حقيقية مهمةً في احوال عالم الارواح عبَّر عنها المسيح باسلوب المحادثة بين ابراهيم ولعازر (الظاهر ان المراد الغني وكتبت كلمة لعازر خطأً) كما يمكن ان يحدث في هذا العالم بين اثنين تفصل بينهما حفرة عميقة ونسب الى ارواح الموتى مـا لا يصدق الاعلى الناس الاحياء عَلَى الارض ٠ فعلينا ان ننتبه للحقائق الجوهرية المقصودة بهذا القول ولا نعتبر ان صورة الكلام هي الامر الجوهري متذكّرين اوّلاً ان المجاز الارضي لا يوضح الحقائق الروحية كل الايضاح ٠ وثانياً انَّا لا نعلم من امر عالم الارواح ما يقدّرنا عَلَى ان نحكم بما يمكن ان يحدث هناك وبما لا يمكن حدوثهُ اه

فصرَّح كما ترى ليس بالارتياب فقط في صدق قول المسيح بل القى عليهِ التقديرات والتخيُّلات والمجازفات وانتهى الى ردّ الامر الى العقل البشريّ ليحكم بما يمكن ان يكون وما لا يمكن ان يكون هناك وعلل ذلك بان كلام المسيح لا يقدر عَلَى الحكم بذلك ٠ وهو كلام يشخّص للعيان المبدأ البروتستاني والايمان البروتستاني والتعليم البروتستاني والتثبُّت البروتستاني واخيراً التقوى البروتستانية ولا تطاوع احداً مسيحيًا حقيقيًا نفسهُ ان يقول فليهنأ البروتستان بكل ذلك واما نحن فنعتقد ان كل ما كُتِبَ كُتِبَ لاجل تعليمنا رو ١٥ : ٤

ثم بعد كلام قال ٠ ولم يطلب الغنيُّ شفقة الله (قلت وكان الصواب ان يقول رحمة الله) لعلمهِ ان وقت ذلك قد فات ولم يطلب النجاة من

العذاب والدخول الى حيث كان لعازر لتيقنهِ ان ذلك محال اه

قلت وهذا البروتستاني يخبط في هذا المقام خبط عشواء ويجازف في التفسير كما يشاء والاَّ فاقل ما يقال لهُ اولاً وكيف صح من هذا الغني المتصف بما وصفتهُ ان يحسب ابراهيم ارحم من الله ويطلب منهُ الرحمة وثانياً لِمَ لم يعلم ايضاً ان ارسال صالح اي لعازر من بين القديسين في النعيم لخدمة طالح بين الشياطين في الجحيم اكثر محالية من نقل هالك من جهنم الى الجنة لانهُ اقرب والیق ان يعفو الله عن الخاطئ من ان يظلم الصالح · وسيأتي قريباً بيان مقصد الغني

ثم قال · (مغالطة بروتستانية بتسمية مخاطبة الغني لابراهيم صلاة) وهذه هي الصلاة الوحيدة التي ذُكر في الكتاب المقدس انها وُجهت الى قديس في السماء فليرَ القارئ اي نفع كان منها اه

ثم قال في تفسير العددين (٢٧ و٢٨) بعد ان يئس الغني من استجابة صلاتهِ من اجل نفسهِ صلَّى من اجل اقربائهِ الاحياء على الارض ولا يستلزم ذلك ان الهالكين يسألون عن خلاص اصدقائهم او يطلبون طلبات كهذهِ ولكن ذكر هنا سؤال الغني ليكون جواب ابرهيم لهُ وسيلة الى التعليم الذي اراد المسيح بيانهُ

واذا سلمنا ان الهالكين يسألون مثل هذا فغايتهم من ذلك هي ان لا يزيد عذابهم بمجيء هولاء ليبكتوهم بانهم كانوا سبب هلاكهم بما اتوهُ بسوء القدوة · وليس في كون اخوتهِ خمسة معنى روحي انما هو من مكملات المثل · والشهادة التي طلب ان يرسل بها الى اخوتهِ هي بيان ان النفس تحيا

بعد الموت وبيان شقائهِ انذاراً لهم بشرّ عواقب العيش للجسد فقط وطلب ان يكون لعازر الشاهد لهم لانهم عرفوا انهُ مات فيصدّقون انهُ اتاهم برسالة من عالم الارواح اه

وفي كلام البروتستاني هذا الامور الآتية وهي

(١) قولهُ " وهذه هي الصلاة الوحيدة التي ذكر في الكتاب انها وجهت الى قديس في السماء "

ونحن نقول ان مخاطبة الغنيّ لابراهيم ليست صلاةً ولا تعدُّ صلاةً وليس احد غير هذا البروتستاني يقول انها صلاة حتى ان ولدانا يمتنعون من تسميتها صلاة وينكرون عَلَى من يسميها صلاةً لان طلب الانسان من ابيهِ او جدهِ سواءٌ كان بقولهِ يا ابي ارحمني وافعل كذا لاجلي او بلفظ آخر اياً كان لا يسمى صلاةً وانما يصحُّ ان يسمى رجاء وان كان مع التذلل والاستعطاف فيصح ان يسمى ضراعة والاً لزم البروتستاني انهُ كلما طلب شيئاً من ابيهِ او جدهِ او امهِ او امرأتهِ يكون قد صلَّى اليهِ وهذا فضلاً عن ان هذا القائل نفسهُ قد سمى ما دار بين الغنيّ وابراهيم من الكلام محادثة حيث قال في تفسير الاعداد (٢٣ — ٢٥) في هذه الآيات مجاز اعلنت بهِ امور حقيقيةٌ مهمة في احوال عالم الارواح عبرَّ عنها المسيح باسلوب المحادثة بين ابراهيم ولعازر (الظاهر انهُ يريد بين ابراهيم والغني فاذهلهُ انهماكهُ في مغالبة كلام المسيح كيف يفسّره باوهام بروتستانية حتى وضع لعازر في موضع الغنيّ) كما يمكن ان يحدث في هذا العالم بين اثنين تفصل بينهما حفرة عميقة كما نقلناهُ آنفاً

ولكي يكون المطالع على يقين ان مثل مخاطبة الفني لابراهيم لا يسمى عندنا صلاة نورد هنا تعريف الصلاة عندنا في كتب التعليم المسيحي

ففي الكاتيشسيس لفيلاريثوس وهو الجاري عليهِ التعلم في روسيا واليونان وسائر اجزاء الكنيسة الارثوذكسية في العالم ومن الجملة عندنا في سورية يقول

س ما هي الصلاة

ج الصلاة هي ارتقاء العقل والقلب نحو الله بمحادثة الانسان لهُ بالورع

س ما الذي يجب على المسيحي ان يعملهُ اذ يرفع عقلهُ وقلبهُ اليهِ تعالى

ج يجب عليهِ اولاً ان يمجدهُ لاجل كمالاتهِ الالهية وثانياً ان يشكرهُ لاجل احساناتهِ وثالثاً ان يطلب منهُ تعالى من اجل ما يحتاج اليهِ ولذلك اخصُّ انواع الصلاة ثلاثة تمجيد وشكر وطلب

ثم قال في مقدمة الكلام على الصلاة الربانية

س هل توجد صلاةٌ عامةٌ لكل المسيحيين وتكون رسماً لكلّ الصلوات

ج نعم مثل هذه الصلاة الربانية

وفي الكاتيشيسيس لبلاطون. في تعريف الصلاة الحقيقية وفي خواصها

ان الصلاة هي رفع القلب الى الله واستمداد ما يساعد في الحصول على خلاص النفس

وفي مقدمة كلامهِ على الصلاة الربانية

ان الصلاة الربانية هي مثال وقاعدة للصلاة اي لرفع عقلنا الى الله وهي

الصلاة التي علّمها ربنا يسوع المسيح لرسله وبهم لجميع المؤمنين

وفي صفحة ٤٦٦ من المجلد الثاني من كتاب نظام التعليم في علم اللاهوت (البروتستاني) القويم

س ما هي الصلاة الحقيقية

ج الصلاة هي خطاب النفس لله توضح فيه محبتها لهُ واعتبارها لكماله الالهيّ وشكرها علَى مراحمهِ وتوبتها عن خطاياها واتكالها علَى محبتهِ وشفقتهِ (والاولى ورحمتهِ) وخضوعها لسلطانهِ وثقتها بعنايتهِ ورغبتها في رضاهُ وطلبها بركات عنايتهِ الروحية والجسديةِ التي تحتاج اليها هي وغيرها اه

فترى ايها المطالع ان مخاطبة الغنيّ لابراهيم ليست صلاةً ولا يصحُّ ان نسمّى صلاةً لا عند الارثوذكسيين ولا عند البروتستان

والامر واضح ان البروتستاني مفسّر الانجيل انما سمّى مخاطبة الغنيّ لابراهيم صلاة ليتوصل بذلك الى قولهِ فَلْيَرَ القارئُ ايّ نفع كان منها بقصد ان يخدع من يقرأُ كلامهُ من السذج غير البروتستان والبروتستان ايضاً

ولكن اترى يجوز عند البروتستان ان الذي يكتب في الدين بل الذي يكتب في تفسير الانجيل ان يتلاعب ويختلق ويجازف في ركن من اعظم اركان الدين ليخدع السذّج ويجتذبهم بخدعتهِ الى بدعتهِ فقد سمعنا انهُ يوجد قوم يقولون ان الغاية الحميدة تبرّر الواسطة الذميمة ولكن لم نسمع باحد يقول ان الغاية الذميمة تبرّر الواسطة الذميمة

(٢) قولهُ · بعد ان يئس الغنيُّ من استجابة صلاتهِ من اجل نفسهِ صلّى من اجل اقربائهِ الاحياء علَى الارض

ونحن نقول ان تلطُّف هذا الغنيّ في مخاطباته لابراهيم في طلباته الثلاث وتعليله كلّ طلبة منها بما هو في الظاهر في غاية المناسبة لها واقتداره على التفنُّن في وجوه الحيل وابرازها مكسوّةً بالفاظ الاجلال والتقرُّب والتودُّد لاخراج لعازر من حضن ابراهيم اي من دار النعيم ولو بردّه الى الدنيا حيث يعود مسكيناً مهاناً مهملاً مصاباً بالامراض والقروح كل ذلك يدلُّ على انهُ اعقل من ان يكون بعد ان يئس من استجابة صلاته من اجل نفسه يصلي من اجل غيره وانما يصحُّ مثل هذا التقدير على رجل ذي فكر قصير وعقل قليل التروّي ومجازف لا يبالي بما يكون جوابهُ

وهنا نقول للبروتستاني بحكم القاعدة القائلة المرء مأخوذ باقراره انت تعتقد وتعلّم ان هذا الهالك الصائر في جهنم قد صلّى بعد الموت فكم يكون الاولى بك ان تعتقد وتعلّم ان القديسين الراتعين في نعيم الله حائزين رضاهُ رافلين بنعمته مبتهجين بنوره يصلُّون لاجل انفسهم ولاجل اقربائهم واصدقائهم وسائر المؤمنين الاحياء على هذه الارض ايصحُّ في عقلك وفهمك وعلمك ان الغني الهالك يصلّي الى ابراهيم لاجل نفسه ولاجل اقربائه ولا يصحُّ ان يصلّي ابراهيم الى الله لاجل نفسه ولاجل اقربائه

(۲) قولهُ ولا يستلزم ذلك ان الهالكين يسألون عن خلاص اصدقائهم او يطلبون طلبات كهذه

لا نعلم بايّ خصوصيةٍ ولا على ايّ نصّ من الكتاب المقدّس استند البروتستاني في قصر مثل هذه الطلبات على هذا الغنيّ وحدهُ بعد ان علم ان السيد لهُ المجد جعلهُ مثالاً تعليمياً بدليل ان الدينونة العامة لم تصر بعد

وذلك يقتضي ان كل كلمة وكل جملة وكل معنى فيهِ للتعليم كما لا نعلم كيف اجترأ على مناقضة قول المسيح بهذا المقدار من عدم المبالاة ولعلهُ بني اعتقادهُ هذا على ان الناس يعيشون في هذه الدنيا مثل البهائم لا يفكرون بالذين ماتوا منهم وبالتالي لا ينفعونهم بشيء ولا يرجون منهم نفعاً بشيء وان الاموات من الناس يكونون منذ انتقالهم من هذه الدنيا الى يوم القيامة مثل الجمادات لا يفكرون بشيء ولا يشعرون بشيء. ولكنا قد رأينا في مخاطبة الغنيّ لابراهيم ما يؤكد ان الاموات لا تفقد منهم معرفتهم بل تزداد فيهم كثيراً

(٤) قولهُ ولكن ذكر هنا سؤال الغنيّ ليكون جواب ابراهيم لهُ وسيلة الى التعليم الذي اراد المسيح بيانهُ

ونحن وان كنا لا نعلم على التعيين اي وجهٍ اراد هذا القائل تحت هذا التعبير من اللغو والمجازفة والتطوّح او غير هذه مما هو من قبيلها نقول انهُ مما نطق بهِ السيد المسيح وهو لهُ المجد منزَّه كل التنزيه عن مثل ذلك ولا يقولهُ عليهِ مؤمن ولا كافر عاقل. ونعدُّ مثل هذا التهوّر نذيراً وحذيراً لنا بان نتيقَّظ ونحترس ونتشبَّث باعتقادنا (ان كل ما كُتِب كُتِب لتعليمنا رو ١٥: ٤)

وليتنبَّه المطالع الى ان المفسّر رجع عن تسمية مخاطبة الغني لابراهيم صلاةً وعبَّر عمّا دار بينهما بالسؤال والجواب كما هو الواقع

(٥) قولهُ. واذا سلمنا ان الهالكين يسألون مثل هذا فغايتهم من ذلك هي ان لا يزيد عذابهم بمجيء هولاء ليبكتوهم بانهم كانوا سبب هلاكهم بسوء القدوة

ونحن لا نرى ما يراهُ البروتستاني للامور الآتية وهي

اولاً ما يشفُّ عنهُ سؤال الغنيّ من تذكُّر اخوتهِ والشفقة عليهم ولا سيما قولهُ بيت ابي

ثانياً لسخافة التعليل اذ انَّ الذين هم في جهنم ولهيب نارها لا يقدَّر انهم يبالون بتبكيت اناس هالكين مثلهم كما لا يبالي الغريق بالبَلَل فضلاً عن انهُ اذا قدّر ذلك يُقدَّر ايضاً ان هولاء يكونون مشغولين بتبكيت آخرين لهم وان عدم مجيء اخوة هذا الغني اليهِ لا يمنع ان يجيء كثيرون من اصدقائهِ وعشرائهِ وندمائهِ ومعارفهِ و يبكتونهُ وربما كان تبكيتهم لهُ اشدَّ واوجع من تبكيت اخوتهِ لهُ

ثالثاً لانا لا نرى هذا الغنيّ يبكّت احداً ولا يشكو من احدٍ عَلَى انهُ لو كان شيء من ذلك لجاء نصٌّ عليهِ او اشارة اليهِ

ولكنَّا نقول ان غاية الغنيّ هي اخراج لعازر من النعيم تخفيفاً لآلامهِ بالأنفَةِ والحَسَدِ منهُ فوق آلامهِ بعذاب نار جهنم كما سيأتي الكلام عَلَى ذلك وقد اخرج احتيالهُ بالصور الثلاث المذكورة ولو ان مثل ذلك لا يكون من الهالكين لوقع في اجوبة ابراهيم ما يدلُّ عليهِ

النظر في مثَل الغنيّ ولعازر من حيث تعليم الشفاعة

والآن ننظر فيما اذا كانت المحاورة التي دارت بين الغنيّ وابراهيم تثبت تعليم الشفاعة او تنفيهِ فنجدها تشتمل عَلَى ثلاث طلبات من الغنيّ الى ابراهيم وثلاثة اجوبة من ابراهيم للغنيّ وفي كل طلبة وكل جواب منها معنىً ظاهر ومعنىً باطن ونحن نوردها هنا مفصلة وننظر في كل طلبة منها وجوابها عَلَى حدة

الطَلبَةُ الاولى وجوابها وايضاح ما فيهما

فرفع (الغنيُّ) عينيهِ في الجحيم وهو في العَذاب ورأى ابراهيم من بعيد ولعازر في حضنهِ · فنادى وقال يا ابي ابراهيم ارحمني وارسل لعازر ليبلَّ طرف اصبعهِ بماء ويبرّد لساني لاني معذَّب في هذا اللهيب

فقال ابراهيم يا ابني اذكر انك استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لعازر البلايا · والآن هو يتعزّى وانت تتعذَّب · وفوق هذا كلّهِ بيننا وبينكم هوَّةٌ عظيمةٌ قد أُثبتت حتى ان الذين يريدون العبور من ههنا اليكم لا يقدرون ولا الذين من هناك يجتازون الينا

فالمعنى الظاهر هو ان الغني استغاث بابراهيم ان يرسل اليهِ لعازر ليخفف شيئاً من عذابهِ وان ابراهيم اولاً بيَّن لهُ عدم استحقاقهِ الاغاثة وثانياً أيأسهُ من الاغاثة بوجود الهوَّة المانعة بينهما

والمعنى الباطن هو ان الغنيَّ لما رأى ابراهيم ولعازر ذاك المسكين الزريَّ القذر الذي كان مطروحاً عند بابهِ عند ابراهيم في تلك السعادة والبهجة والنعمة أَنِفَ من حالتهِ واخذهُ من أَلمِ الحسد من لعازر ما لم يستطع السكون معهُ واعمل فكرهُ في التخلص من الم روءيتهِ لعازر في حضن ابراهيم بحيلةٍ ما · ولما كان من عادتهِ في الدنيا كسائر الاغنياء ان يجري مقاصدهُ ويكلّف الناس بها بملقِ الكلام وهم يرضون منهُ بالملَقِ ويفعلون ما يكلفهم بهِ وان كان شاقاً او على خِلاف رضاهم او مصلحتهم · عمد الى ان يخدع ابراهيم بالفاظ الاحترام والاستعطاف والتعظيم ويجعلهُ يُرسِل لعازر اليهِ لخدمةٍ هيِّنةٍ وقليلةٍ جداً فيخرج بذلك لعازر من دار النعيم ويحضرهُ الى جهنم ومتى

صار عندهُ يستنبط ما يمسكهُ بهِ عندهُ دائماً من استعطافهِ ابراهيم وتكرار شكواهُ آلام العذاب ومن ثم نادى قائلاً يا ابي ابراهيم ارحمني وارسل لعازر ليبلَّ طرف إصبعهِ بماءٍ ويبرّد لساني لاني معذَّب في هذا اللهيب

ولكي تُلمح خِداعهُ انظر الى المقدَّمات العظيمة التي قدَّمها والى النتيجة الطفيفة التي انتهى اليها فقد نادى ابراهيم متقرباً اليهِ جداً بانهُ ابنهُ اذ لم يقل يا جدّي بل يا ابي و بدأ سؤالهُ بطلب الرحمة لما فيها من رقة القلب وجعلهُ المالك الآمر الناهي في دار النعيم تعظيماً لهُ لكي يحرّكهُ الى استجابة طلبهِ وانهُ يتمُّ بمجرد صدور الاذن او الامر منهُ وهو ان يرسل لعازر من عندهِ الى جهنم · وكل ذلك لكي يبلَّ طرف اصبعهِ بماءٍ ويبرّد لسانهُ · قلت وما ترى يكون من ذاك راحةً او تخفيف عذاب لمن هو كلهُ معذَّبٌ في لهيب النار

وان ابراهيم لم يخفَ عليهِ احتيال الغنيّ وخبث مقصدهِ ولم يأنف من جوابهِ ولم ينكرهُ بقولهِ لا اعرفك ونحوهِ بل صدَّر جوابهُ لهُ بقولهِ يا ابني وقال لهُ انك قد استوفيت خيراتك في حياتك فلم تدَّخر شيئاً منها لآخرتك ومن ثمَّ ليس لك هنا وجاهة تستخدم بها الفقراء ولا لك ذخر صالح تنتفع بهِ وان لعازر قد استوفى بلاياهُ في حياتهِ فلا وجهَ لتحمُّلهِ بعد هذا العناء بان يذهب من النعيم الى الجحيم ليخدم هالكاً وفوق ذلك بيننا وبينكم هوَّةٌ مانعةٌ وهي ثابتة الى الابد فعرَّفهُ عدم اجابتهِ في الحال وأيأسهُ من المستقبل

هذا ولما لم يسأل الغنيُّ ابراهيم ان يستعطف الله لهُ بان يرحمهُ و يخفف

شيئاً من عذابهِ لم يسأل ابراهيم الله شيئاً لاجلهِ ومن ثمَّ تراهُ قد اجاب من عند نفسهِ كانهُ هو المالك الآمر الناهي بدون معارض في القول والعمل وكفى ان يكون لابراهيم مثل هذا السلطان في دار النعيم بنصّ السيّد لهُ لهُ المجد وعسى ان الذين يجحدون مزيةَ الابرار لدى الله وينكرون اكرامهم ويهزأُون بنا لاننا نكرمهم ينتبهون الى شيء من كل هذا ويستفيدون لانفسهم شيئاً

وبقي النظر في تخصيص طلب الغني تبريد لسانهِ دون سائر جسدهِ مع انهُ بجملتهِ في وسط اللهيب ومع ان اللسان داخل الفم فلا تبلغ منهُ النار ما تبلغهُ من الاعضاء الظاهرة ومع ان من الاعضاء الظاهرة ما هو من النار اشدّ تأثراً والماً من اللسان كالعيون واذا اعملنا الفكر في ذلك نجد ان العضو الذي يكون السبب الاخص في الخطية المهلكة هو الذي يخص بالذكر عند الكلام في شأنها كقول السيد لهُ المجد (فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك لانهُ خيرٌ لك ان يهلك احد اعضائك ولا يلقى جسدك كلهُ في جهنم مت ٥: ٢٩) وقول يعقوب (فاللسان نار عالم الاثم هكذا جعل في اعضائنا اللسان الذي يدنس الجسم كلهُ ويضرم دائرة الكون ويُضرَم في جهنم يع ٣: ٦) وقول يهوذا (كما ان سدوم وعمورة والمدن التي حولهما اذ زنت على طريق مثلهما ومضت وراء جسد آخر جُعلت عبرةً مكابدةً عقاب نار ابديةٍ ولكن كذلك ايضاً هؤلاء المحتلمون ينجسون الجسد ويتهاونون بالسيادة ويفترون على ذوي الامجاد يه ٧و٨) ونستدلُّ من ذلك على ان الغنيّ كان يطلق لسانهُ بما لا يجوز وبما يغضب الله جلَّ شأنهُ

واذ ذاك فكم يجب ان يتنبه ويحتذر ويرتدع الذين في زماننا هذا يطلقون السنتهم واقلامهم بما لا يجوز في الدين بل يغضب الله ويكثرون من الافتراء عَلَى ذوي الامجاد كالمباركة سيدتنا مريم العذراء ورسل السيد المسيح وقديسيه وشهدائهِ متذكرين (ان كلَّ كلمة بطالة يتكلَّم بهـا الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين مت ١٢: ٣٦)

الطلبة الثانية وجوابها وايضاح ما فيهما

فقال (الغنيّ لابراهيم) اسأَلك إذن يا ابتِ ان ترسلهُ الى بيت ابي لانَّ لي خمسة اخوة حتى يشهد لهم لكي لا يأْتوا هم ايضاً الى موضـع العذاب هذا

قال لهُ ابراهيم عندهم موسى والانبياء ليسمعوا منهم · لمَّا لم تنجح حيلة الغنيّ باخراج لعازر من حضن ابراهيم ونقلهِ الى ما بين الشياطين ارتأَى ترويج حيلتهِ بوجهٍ آخر وهو اعادة لعازر الى هذه الدنيا فيكون من جهة ارتاح من مشاهدة لعازر في حضن ابراهيم ومن جهة اعاد لعازر الى فقرهِ وهوانهِ وآلامهِ وهكذا تكون ضروب احتيال الخبثاء ولكن هذه الخدعة ايضاً لم ترُج لدى ابراهيم ومن ثم لم يصدّر جوابهُ لهُ بقولهِ يا ابني وجعل جوابهُ مختصراً باتاً فقال لهُ عندهم موسى والانبياء ليسمعوا منهم واقلُّ ما في ضمنهِ ان موسى وكل واحد من الانبياء اعظم من لعازر شهرة وصدقاً واعتبـاراً فليسمعوا منهم اي من كتاباتهم · والمعنى الظاهر في هذه الطلبة شفقة الغني عَلَى اخوتهِ والمعنى الباطن الاحتيال لاخراج لعازر من حضن ابراهيم وجواب ابراهيم ملاقٍ لهُ في الوجهين

الطلبة الثالثة وجوابها وما فيهما

فقال (الغنيّ) لا يا ابي ابراهيم بل اذا مضى اليهم واحد من الاموات يتوبون

فقال لهُ (ابراهيم) ان كانوا لا يسمعون من موسى والانبياء ولا ان قام واحد من الاموات يصدّقون

ما زال الغنيّ يتفنّن في الاحتيال لاخراج لعازر من حضن ابراهيم ولكن لم يرج ولا وجه من احتيالهِ لدى ابراهيم ولم يصدّر ابراهيم جوابهُ لهُ بيا ابني وجعل جوابهُ باتّاً نهائيّاً كما ترى وجواب ابراهيم ملاقٍ لسؤال الغنيّ في الظاهر والباطن ومسكتٌ لهُ كما ترى

ولم يوفّق ابراهيم جوابهُ من حيث اللفظ عَلَى سؤال الغنيّ فلم يقل لا يتوبون بل قال لا يصدّقون تنبيهاً عَلَى ان عدم التوبة مسبباً عن عدم تصديق اعلانات الله · ولعلهم كانوا يتفلسفون فيها ويفسرونها بحسب عقولهم وما توحيهِ اليهم وساوسهم واوهامهم ناظرين الى الذين يخضعون عقولهم لاعلانات الله ولا يحاولون ان يخضعوا اعلانات الله الى عقولهم كناس سذّج قاصري العقول كليلي الخواطر كبعض الناس الذين نراهم في ايامنا هذه وربما كانوا يسمّونهم التقليديين او الغافلين

ومما يؤيّد ما قررناهُ من قصد الغني اخراج لعازر من حضن ابراهيم تعيينهُ في طلبهِ المرة الاولى والثانية صراحة والثالثة ضمناً من بين الوف وربوات الابرار الذين عند ابراهيم اذ لم يقل ارسل اليّ واحداً ممن عندك

هذا وان الغني لم يطلب من ابراهيم ان يشفع فيهِ لدى الله بل لم يطلب

رحمة الله بنفسهِ ولا بواسطة وبالاجمال لم يستشفع ابراهيم عند الله والبروتستاني مفسر الانجيل معترف بذلك بقولهِ في تفسير الاعداد (٢٣ — ٢٥) " ولم يطلب الغني شفقة الله لعلمهِ ان وقت ذلك قد فات ولم يطلب النجاة من العذاب والدخول الى حيث لعازر لتيقنهِ ان ذلك محال " واذ ذاك فكيف يقول البروتستان ان الغنيّ استشفع ابراهيم فلم تنفعهُ شفاعته

وهنا نسال البروتستان السؤالات الآتية عَلَى سبيل الاستفادة لا على سبيل التبكيت

اولاً اذا لم يكن الغنيّ طلب رحمة الله ولا طلب من ابراهيم ان يشفع فيهِ لدى الله فكيف صلَّى لهُ فهل كان يعبد ابراهيم دون الله وهو يقول لابراهيم يا ابي لا يا ربيّ وابراهيم يقول لهُ يا ابني لا يا عبدي

ثانياً هل رضي ابراهيم ان الغني يعبدهُ دون الله ولذلك ليس انهُ لم يزجرهُ ولم ينههُ عن خطائهِ فقط بل اجابهُ بقولهِ يا ابني واطال معهُ المحادثة والمراجعات

ثالثاً نحن لا نطلب الشفاعة من الهالكين ولا للهالكين حتى اننا لا نصلي عَلَى الذين يموتون عَلَى غير الايمان المستقيم ومن جملتهم البروتستان ولا على الذين ينتحرون ونحوهم وان كانوا عاشوا كل حياتهم في الايمان والبروتستان يعرفون كل ذلك ولا بدَّ ان يعرفوهُ والاَّ فيكونون يعترضون عَلَى تعليم لا يعرفون ما هو وذلك ليس جهلاً فظيعاً فقط بل جهل فظيع وزيادة هم يعرفونها واذ ذاك فكيف صحَّ في علم البروتستان وتهذيبهم وورعهم ان يتخذوا ما في مثل الغني ولعازر حجة علينا بان تعليم الشفاعة باطل او ترام

يعدُّونها خدعة تقويَّة جائزة ولذلك يلهج بها صغارهم وكبارهم

رابعاً ان هذا الغني هالك وصائر في جهنم النار ومن المعلوم ان الله لا يصغى الى الذين حكم عليهم بالهلاك وجعلهم في محل العذاب في جهنَّم واذ ذاك فلو طلب هذا الغني من المسيح نفسهِ لهُ المجد ليس ان يرسل لهُ لعازر الصدّيق من بين القديسين الى ما بين الشياطين ليخدمهُ بل ان يخفّف عنهُ شيئاً من العذاب فضلاً عن ان يحصلهُ الخلاص التامّ فمما لا ريب فيهِ انهُ لا يستجيب لهُ أفتكون جميع الصلوات التي ترفع الى المسيح باطلة ولا فائدة منها ايها البروتستاني

خامساً ان المسيح علَّم في هذا المثل ان الاموات الاشرار يستغيثون بالابرار افلا يفهم من ذلك بالاولى ان الاموات الغير الهالكين وليسوا في السعادة التامة كابراهيم يستغيثون بالابرار واذا كان الاموات يستغيثون بالابرار والقديسين وقد علمنا قبل ان الاموات يعلمون باقوال الاحياء وافعالهم في هذه الدنيا الا يحسن بنا نحن الاحياء ان نستغيث بالابرار والقديسين عملاً بتعليم يسوع المسيح

سادساً ان الامر واضح سواء كان من قبيل الاستشفاع او غيرهِ ان هذا الغنيّ قد استغاث بابراهيم وخاطبهُ كمن لهُ الامر والنهي حتى صدر طلبهُ اليهِ بقولهِ ارحمني فمن اين تعلَّم هذا الغني الاستغاثة بابراهيم وانهُ ذو امرةٍ في دار النعيم وقادر ان يغيث حتى انهُ يرسل اناساً من النعيم الى الجحيم ويردُّ الاموات احياء ويرسلهم الى الدنيا لكي يشهدوا للاشرار بما شاهدوا ويعظوهم ليتوبوا

فان قال البروتستان انهُ تعلَّم ذلك من الشياطين في جهنَّم فنقول لهم اما ان يكون ما علمهُ الشياطينُ الغنيَّ كذباً او صدقاً فان كان كذباً فكيف اوردهُ السيد المسيح مثالاً للتعليم وان كان صدقاً فلِمَ تنكرونهُ اترضون ان يكون الشياطين آمن منكم عَلَى تعليم الحقّ ٠ وان قالوا عرف ذلك من نفسهِ لان الانفس تزداد معرفتها بعد الموت فنقول لهم ان الغني عرف صحة الاستغاثة بالابرار والقديسين بعد الموت والسيد المسيح اخبر بها وهو واقف موقف المعلّم فلماذا تنكرونها وان قالوا انهُ كان يعرف ذلك قبل موتهِ فنقول لهم اذن التعليم باستغاثة الابرار كان عند اليهود قبل التجسد الالهي والمسيح اثبتهُ وعلَّم بهِ فلماذا تنكرونهُ انتم وهذا القول الاخير هو الواقع

هذا وان السيد قد علَّم في هذا المثل ان هلاك هذا الغني انما كان لعدم احسانه الى لعازر المسكين الذي كان مطروحاً عند بابهِ مضروباً بالقروح ولم يصِمهُ بشيء من الافعال الاخر المهلكة كالقتل والسرقة وشهادة الزور ونحوها ولم يذكر عن ايمانهِ شيئاً البتة وترفُّهه وتنعُّمه بماله ليس خطيةً اصلاً ٠ واما الاحسان الى المساكين فهو من الاعمال فيكون مع الايمان وبدونهِ ٠ وتعليم المسيح هذا ينقض وينفي ويدحض تعليم البروتستان الذي ابتدعوهُ لانفسهم من عند انفسهم ان الخلاص انما يكون بالايمان لا غير وان لا دخل للاعمال في الخلاص ولا في الهلاك

وربَّ بروتستانيّ يقول كيف يعلم القديسون ما يكون بعد وفاتهم من اقوال وافعال الاحياء والآذان التي كانوا يسمعون بها قد بَلِيت والعيون التي كانوا يبصرون بها قد طفئت

والجواب انهُ لو لم نعلم كيف يعرف القديسون ما يكون بعدهم من اقوال وافعال الاحياء لما كان عدم علمنا دليلاً على عدم علمهم ولا مؤثراً ضعفاً في علمهم ولا في اعتقادنا بعلمهم كما ان عدم علم بعض الناس بل على تقدير عدم علم الناس كلهم كيف ينير المصباح البيت المظلم وكيف تحرق النار الحطب وكيف ينمو النبات من التراب والماء لا يمنع انارة المصباح البيت ولا احراق النار الحطب ولا نمو النبات من التراب والماء ٠ ومن ثم يكون مثل هذا السؤال مما لا يتوقف عليهِ قبول العقائد ولا رفضها ونحن انما اتينا بهِ تنبيهاً لاخوتنا السذَّج بان لا يهتمُّوا في ما يلقى اليهم من مثلهِ من الماحكين بل يكون جوابهم ان الامر ثابت كذا سواءٌ عرفنا نحن كيفيَّة ثبوتهِ او لم نعرف

واما حدُّ علمنا في ذلك فهو انَّ الله سبحانهُ وتعالى هو يعرّف القديسين ما يعرفونهُ من اقوال وافعال الاحياء بعدهم وهذا انما نستفيدهُ من نصوص الكتاب المقدَّس الآتية وهي

(١) فقال الربُّ هل اخفي عن ابراهيم ما انا فاعلهُ (تك ١٨ : ٧)

(٢) ان السيد الرب لا يصنع امراً الا وهو يعلن سرَّهُ لعبيدهِ (عا ٣:٧)

(٣) فقال رجل الله (اليشع لغلامهِ جيحزي بشأن المرأة الشونميَّة) دعها لان نفسها مرَّة والربُّ كتم الامر عني ولم يخبرني مل ٤ : ٢٧)

(٤) قول السيد لهُ المجد لتلاميذهِ ٠ انتم احبائي ان فعلتم ما اوصيكم بهِ لا اعود اسميكم عبيداً لان العبد لا يعلم ما يعمل سيدهُ لكني قد سمَّيتكم احباء لاني اعلمتكم بكل ما سمعتهُ من ابي ليس انتم اخترتموني بل انا

اخترتكم واقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمرٍ ويدوم ثمركم لكي يعطيكم الآب مهما طلبتم باسمي (يو ١٥ : ١٤—١٦)

فنجد ان الرب يقول لا اخفي عن ابراهيم ما انا فاعلهُ ثم عرَّفهُ ما سيفعلهُ قبل فعلهِ تك ١٨ : ٢٠ و٢١ وعاموس يقول ان الرب لا يصنع امراً الاَّ وهو يعلن سرَّهُ لعبيدهِ واليشع يقول ان الرب كتم الامر عني ولم يخبرني وهو يدلُّ على ان الرب قد عوَّدهُ ان يخبرهُ بالامور وقد كتم عنهُ الامر هذه المرَّة · والسيد المسيح يقول لا اعود اسميكم عبيداً لان العبد لا يعلم ما يعمل سيدهُ ويلزم منهُ انهُ سماهم احباءً ليكونوا يعلمون ما يعمل سيدهم ثم يقول انا اخترتكم واقمتكم لكي تذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم (وكيف يدوم ثمرهم ان لم يكن باقياً الى الآن ويبقى الى منتهى الازمان) ثم يقول لكي يعطيكم الآب مهما طلبتم باسمي فكيف مع هذا القول لا يكون لهم شفاعة ودالَّة عند الله

واما عين الكيفية التي بها يعرّف الله القديسين الامور فلا نعرفها وعدم معرفتنا لا يؤثّر فيها ولا في معرفتهم شيئاً

الفقرة الثانية

قول البروتستان ان مريم العذراء لو كانت بعد موتها تسمع وتعلم كما في حياتها لما سمعت وعلمت بكل ما يقدَّم لها من المدائح لانها محدودة محصورة في مكان واحد كسائر المخلوقات وتلك التكريمات تقدَّم لها في امكنةٍ لا تحصى كثرةً مع تفاوتها قرباً وبعداً في اقطار الارض

ونحن نقول ان هذه التخيُّلات تشفُّ عن ان صاحبها لا يفقه تعليم

الكتاب ولا يميز بين الخطا والصواب فيحاول ان يقيس السماء بشبرهِ
ويبني قواعد الدين عَلَى فكرهِ ولا يخشى سوء نشر ضلالاتهِ يوم نشرهِ ·
اما تعليمنا بما ينكرهُ البروتستاني فهو مبنيٌّ عَلَى الأَدلَّة الآتية وهي

اولاً انا قد رأينا راحيل (مت ٢ : ١٨) قد علمت بقتل الاطفال في بيت لحم وكل تخومها · ومما لا ينازع فيهِ ان معرفتها حال هولاء الاطفال دون معرفة حال سائر اطفال بني اسرائيل مما لا وجه لهُ وكذلك القول بمعرفتها حال الاطفال بدون معرفة آبائهم وامهاتهم وكذلك القول بمعرفتها احوال اهل وقت قتل الاطفال دون معرفة من كان قبلهم من حين وفاتها ومن اتى بعدهم الى الآن وكذلك الى منتهى الزمان

ثانياً قد رأينا ابراهيم عرف كيف كانت حياة الغني وحياة لعازر ومعرفتهُ شأن هذين الاثنين دون غيرهما مما لا وجه لهُ والقول بها مضحك ومردود معاً وكذلك القول بمعرفتهِ حال هذين الاثنين دون غيرهما ممن كان في وقتهما وممن كان قبلهما وممن اتى بعدهما الى الآن وانهُ صرَّح بمعرفتهِ بمجيء موسى ومن بعدهُ الانبياء وبمعرفتهِ ان لهم مكتوبات · وفوق ذلك صرح بمعرفتهِ ان سعادة لعازر وشقاء الغني يدومان ولا ينتهيان

ثالثاً سمعنا السيد يقول لمن كان لديهِ من اليهود يوجد الذي يشكوكم وهو موسى والقول بمعرفة موسى حال هولاء المخاطبين دون غيرهم ممن كان في وقتهم وممن كان قبلهم وممن يأتي بعدهم لا وجه لهُ بل هو مردود ومضحك معاً

رابعاً رأينا ايليا قد عرف مسالك يهورام وقتلهُ اخوتهُ وانهم كانوا

افضل منهُ وفوق ذلك تهدُّده بامور مستقبلة في شعبهِ وفي بيتهِ وفي نسائهِ وفي كل مالهِ واخيراً في شخصهِ وكل ذلك لا يكون في وقت ولا في مكان واحد · والقول بمعرفة ايليا حال يهورام دون غيرهِ يعدمحكاً ومكابرة مضحكة

خامساً ان الملائكة ايضاً محدودون ولا يكون الواحد منهم في مكانين في وقت واحد ونحن نسمع السيد يقول (انهُ يكون فرح في السماء بخاطىء واحد يتوب اكثر من تسعة وتسعين بارًا لا يحتاجون الى توبةٍ وانهُ يكون فرح (عظيم) عند ملائكة الله بخاطىء واحد يتوب لو١٥ :٧و١٠) ولا يخفى ان قولهُ في السماء وقولهُ عند ملائكة الله يشمل الملائكة جميعاً الرؤساء منهم والمرؤوسين وقولهِ بخاطىء واحد يشمل الواحد والالوف والتوبة السرية في القلب والتوبة الجهارية ويصدق فيما اذا كان التائبون في مكان واحد او في امكنة عديدة من الارض متقاربة او متباعدة

وشواهد هذه الفقرة كل منها على حدتهِ يردُّ ويدحض ويزيف الاوهام البروتستانية كما ترى

الفقرة الثالثة

قول البروتستان ان ما تقدَّمهُ من المدائح لوالدة الالهِ مريم العذراء خارج عن حدّ الادب الدينيّ لما فيهِ احياناً من المبالغات

ونحن نقول ان الله سبحانهُ لم يقل لنا ان نتعلَّم الآداب الدينيَّة من البروتستان الذين لا يرون في خاصة الله من البشر سوى الاستصغار والاحتقار وانما قال لنا ان نتعلَّم ذلك من كتابهِ المقدَّس حيث الهم الرسول بولس ان يكتب لنا (ان كلَّ ما كُتِب كُتب لاجل تعليمنا رو ١٥: ٤) وقد وجدنا

الكتاب المقدَّس يبالغ في مدح الابرار وفي ذمّ الاشرار ايضاً فتعلَّمنا منهُ ومن المبالغة في مدح الابرار

اولاً قول صموئيل في حقّ داوود (قد انتخب الرب لنفسهِ رجلاً حسب قلبهِ (١ صم ١٣:٤)

ثانياً قول بولس (واقام لهم ملكاً الذي شهد لهُ ايضاً اذ قال وجدت داوود ابن يسى رجلاً حسب قلبي (١ع١٣:١٢)

فهل يرى البروتستاني ان الانسان وهو تراب ورماد (تك١٨:٢٧) وكثيراً ما يُغلَبُ للطبيعة البشرية ويسقط في مهاوي ضعفها يكون حقيقة كقلب الله او انَّ في ذلك مبالغة في المدح

ثالثاً قول كاتب سفر الاعمال في حق استفانوس (فشخص اليهِ جميع الجالسين في المجمع ورأوا وجههُ كأنهُ وجه ملاك (١ع٦:١٥)

وهو الشماس استفانوس تحت المحاكمة الظالمة في مجلس اليهود

رابعاً حكاية يوآب ابن صروية والمرأة التقوعية مع داوود ابن يسّى النبيّ والملك حيث يقول

وعلِمَ يوآب ابن صروية ان قلب الملك علَى ابشالوم فارسل يوآب الى تقوع واخذ من هناك امرأة حكيمةً وقال لها تظاهري بالحزن والبسي ثياب الحزن ولا تدّهني بزيت بل كوني كأمرأة لها ايَّام كثيرة وهي تنوح علَى ميت وادخلي الى الملك وكلميهِ بهذا الكلام وجعل يوآب الكلام في فمها . وكلَّمت المرأة التقوعية الملك وخرَّت علَى وجهها الى الارض وسجدت وقالت أعِنْ ايها الملك فقال لها الملك ما بالك . فقالت اني امرأة

ارملة قد مات رجلي ولجاريتك ابنان فتخاصما في الحقل وليس من يفصل بينهما فضرب احدهما الآخر وقتلهُ وهوذا العشيرة كلها قد قامت عَلَى جاريتك وقالوا سلّمي ضارب اخيهِ لنقتلهُ بنفس اخيهِ الذي قتلهُ فنهلك الوارث ايضاً فيطفئون جمرتي التي بقيت ولا يتركون لرجلي اسماً ولا بقيةً عَلَى وجه الارض فقال الملك للمرأة اذهبي الى بيتكِ وانا اوصي فيك · فقالت المرأة التقوعية للملك عليَّ الاثم يا سيدي الملك وعَلَى بيت ابي والملك وكرسيهُ نقيَّان فقال الملك اذا كلمك احد فأتي بهِ اليَّ فلا يعود يمسك بعد · فقالت اذكر ايها الملك الربَّ الهك حتى لا يكثر وليُّ الدم القتل لئلا يهلكوا ابني · فقال حيٌّ هو الربُّ انهُ لا تسقط شعرة من شعر ابنكِ الى الارض فقالت المرأة لتتكلم جاريتك كلمةً الى سيدي الملك · فقال تكلمي فقالت المرأة ولماذا افتكرت بمثل هذا الامر عَلَى شعب الله · وبتكلم الملك بهذا الكلام كمذنبٍ بما ان الملك لا يردُّ منفيهُ · لانهُ لا بدَّ ان نموت ونكون كالماء المهراق عَلَى الارض الذي لا يجمع ايضاً · ولا ينزع الله نفساً بل يفكر افكاراً حتى لا يُطرَدُ عنهُ منفيهُ والآن حيث اني جئت لاكلم سيدي بهذا الامر لان الشعب اخافني فقالت جاريتك اكلّم الملك لعلَّ الملك يفعل كقول أمتهِ لان الملك يسمع لينقذ امتهُ من يد الرجل الذي يريد ان يهلكني انا وابني معاً من نصيب الله فقالت جاريتك ليكن سيدي الملك عزاءً لانهُ سيدي الملك انما هو كملاك الله لفهم الخيرِ والشرّ والربُّ الهك يكون معك · فاجاب الملك وقال للمرأة لا تكتمي عني امراً اسالك عنهُ فقالت المرأة ليتكلمْ سيدي الملك فقال الملك هل يد يوآب معكِ في هذا كلهِ فاجابت

المرأة وقالت حيّةٌ هي نفسك يا سيدي الملك لا يحاد يميناً او يساراً عن كل ما تكلّم بهِ سيدي الملك لان عبدك يوآب هو اوصاني وهو وضع في فم جاريتك كل هذا الكلام لاجل تحويل وجه الكلام فعل عبدك يوآب هذا الامر وسيّدي حكيم كحكمة ملاك الله ليعلم كل ما في الارض فقال الملك ليوآب هانذا قد فعلت هذا الامر فاذهب ردَّ الفتى ابشالوم فسقط يوآب عَلَى وجههِ الى الارض وسجد وبارك الملك وقال يوآب اليوم علم عبدك اني قد وجدت نعمةً في عينيك يا سيدي الملك اذ فعل الملك قول عبدهِ (٢ صم ١٤ : ١ — ٢٢)

وعبارات هذه الحادثة في الترجمة اليسوعية البيروتية افصح واطلى كثيراً ولكننا نقلناها عن ترجمة البروتستان كما جرينا علَى ذلك من قبل نظراً لكثرتها في الايدي فتسهل مراجعتها

وهي دائرة بين يوآب ابن صروية اخت داوود وقائد جيوشهِ وامرأة اسرائيلية مشهورة بالحكمة استحضرها يوآب من تقوع الى اورشليم لمزيد فهمها وحكمتها وداوود النبيّ والملك وجدّ الاله يسوع المسيح بالجسد الذي شهد لهُ الكتاب في العهدين انهُ رجل حسب قلب الله وقد كتبت في الكتاب مثالاً لتعليمنا وانما ذكرنا هذا اوّلاً تنبيهاً لاخوتنا الارثوذكسيين لمقدار اعتبارها وثانياً رجاء ان تقع لدى البروتستان موقع القبول وفيها من المبالغات ما يأتي وهو

(١) قول داوود للمرأة التقوعية (حيٌّ هو الرب انهُ لا تسقط شعرة من شعر ابنك الى الارض)

(٢) قول المرأة الحكيمة التقوعية لداوود (لانهُ لا بدَّ ان نموت ونكون كالماء المهراق عَلَى الارض الذي لا يجمع ايضاً)

(٣) قولها لهُ ايضاً (لانهُ سيدي الملك انما هو كملاك الله لفهم الخير والشر

(٤) قولها لهُ ايضاً (وسيدي حكيم كحكمة ملاك الله ليعلم كل ما في الارض) ومن المعلوم ان داوود انسان من الناس وهو في غير ما يلهم بهِ كسائر الناس

وقد قال داوود ما قالهُ وسمع ما قالتهُ المرأة من المبالغات بالرضى التام وهو عَلَى ما نرى اتقى واعرف بالتهذيب الدينيّ من البروتستاني

وفي هذه الحادثة ايضاً مما يدحض زعم البروتستان عدم جواز السجود الاَّ لله جهلاً او تجاهلاً منهم بانواع السجود التي يعلّمها الكتاب المقدَّس خرور المرأة التقوعيةَ عَلَى وجهها الى الارض وسجودها امام داوود وكذلك سقوط يوآب عَلَى وجههِ الى الارض وسجودهِ لداوود وقبول داوود النبيّ والملك سجودهما وبما ان ذلك ليس من موضوعنا الآن فلا نطيل بهِ

خامساً انا لا نعلم مقدار انتقاد البروتستان عَلَى السيد يسوع المسيح في قولهِ لتلاميذهِ انتم ملح الارض انتم نور العالم مت٥: ١٣و١٤

سادساً انا لا نعلم مقدار شدَّة حنق البروتستان عَلَى السيد يسوع المسيح وتشنيعهم قولهُ وفعلهُ في مدحهِ يوحنا المعمدان المدح البالغ اقصى الغايات . والقصة مذكورة في كلٍّ من بشارتي متى ولوقا ونحن سننقلها عن متى ونشير الى محلها في لوقا وهي تقسم الى قسمين الاول في ارسال يوحنا اثنين من تلاميذهِ ليسألاهُ عن لسانهِ عما اذا كان هو الآتي او ينتظرون آخر والثاني في كلام

السيد المسيح بشأن يوحنا وسندرج كلاً من القسمين على حدته ونتكلم عليه

القسم الاول

اما يوحنا فلما سمع في السجن باعمال المسيح ارسل اثنين من تلاميذهِ وقال لهُ انت هو الآتي ام ننتظر آخر فاجاب يسوع وقال لهما اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران · العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصمُّ يسمعون والموتى يقومون والمساكين يُبشَّرون وطوبى لمن لا يعثر فيَّ (مت ١١: ٢—٥) وانظر ايضاً (لو٧: ١٨—٢٣)

وملخَّص الكلام في ذلك ان يوحنا المعمدان وهو المعيَّن من الله ان يكون سابق المسيح وقبل شروع المسيح في عملهِ بستة اشهر خرج يوحنا الى البريَّة واخذ ينادي توبوا لانهُ قد اقترب ملكوت السماوات وخرج اليهِ اورشليم وكل اليهوديَّة وجميع الكورة المحيطة بالاردن واعتمدوا منهُ في الاردن معترفين بخطاياهم وكان يعمّدهم ويقول انا اعمّدكم بماء للتوبة ولكن الذي يأتي بعدي هو اقوى مني الذي لست اهلاً ان احمل حذاءهُ هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار وقد جاء اليهِ يسوع الى الاردن ليعتمد منهُ فمنعهُ يوحنا قائلاً انا محتاج ان اعتمد منك فقال لهُ يسوع اسمح الآن لانهُ يليق بنا ان نكمّل كل برٍّ حينئذٍ عمَّدهُ فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء واذا السماوات قد انفتحت لهُ فرأى روح الله نازلاً مثل حمامةٍ وآتياً عليهِ وصوت من السماء قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سررت (مت ٣: ١—١٧) وقال يوحنا الانجيلي · وفي الغد نظر (يوحنا المعمدانُ) يسوعَ مقبلاً اليهِ فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطيَّة العالم هذا هو الذي قلت عنهُ يأتي بعدي رجل صار قدامي

لانهُ كان قبلي وانا لم اكن اعرفهُ لكن ليظهر لاسرائيل لذلك جئت اعمّد بالماء وشهد يوحنا قائلاً اني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامةٍ من السماء فاستقرَّ عليهِ وانا لم اكن اعرفهُ لكن الذي ارسلني لاعمّد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقرًّا عليهِ فهذا هو الذي يعمّد بالروح القدس وانا قد رأيت وشهدت (يو ١: ٢٩—٣٤)

وكان في وقتهِ هيرودوس انتيباس (ابن هيرودوس الكبير الذي قتل اطفال بيت لحم) حاكماً بعد موت ابيهِ عَلَى الجليل والسامرة وبيرية اي عبر الاردن وتزوّج بنت الحارث ملك دمشق وهو الذي اشار اليهِ بولس بقولهِ (في دمشق والي الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد ان يمسكني فتدلَّيت من طاقةٍ في زنبيلٍ من السور ونجوت من يديهِ (٢ كو ١١: ٣٢و٣٣) وبعد ذلك رأى هيروديا امرأة اخيهِ فيلبُّس فأغراها واتخذها امرأة لهُ وطلَّق بنت الحارث وكان اخوهُ فيلبُّس حياً وغائباً عن بيتهِ حينئذٍ فوبخهُ يوحنا المعمدان عَلَى ذلك وعَلَى شرور اخرى وكان يقول لهُ لا يحلُّ ان تكون لك امرأة اخيك (مر ٦: ١٨) اي لان زوجها كان حياً) فامسكهُ هيرودوس وطرحهُ في السجن واراد ان يقتلهُ فخاف من الشعب لان يوحنا كان عندهم مثل نبيّ ثم لما صار عيد مولد هيرودوس رقصت ابنة هيروديا في الوسط فسرت هيرودوس ووعد بقسم انهُ مهما طلبت يعطيها وهي اذ كانت قد تلقّنت من أمها قالت أعطني رأس يوحنا المعمدان عَلَى طبق فاغتمَّ هو لذلك ولكن من اجل الاقسام والمتكئين معهُ امر ان يعطى فارسل وقطع رأس يوحنا في السجن فأحضر عَلَى طبق ودُفع الى الصبيَّة فجاءَت بهِ الى أمها

فتقدم تلاميذهُ ورفعوا الجسد ودفنوهُ ثم اتوا واخبروا يسوع (مت ١٤: ٣—١٢)
وقد طالت مدة سجن يوحنا نحو سنة ونصف وفي اثنائها وربما قرب آخرها
ارسل الاثنين من تلاميذهِ الى يسوع يقول لهُ انت الآتي ام ننتظر آخر ولم
يجبهُ الرب يسوع بنعم اولا ولكن قال لتلميذي يوحنا اذهبا واخبراهُ بما
تسمعان وتنظران العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم
يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون وطوبى لمن لا يعثر فيَّ. والمعنى
ان هذه الآيات هي التي تنبأ الانبياء قبلُ ان المنتظَر الآتي يعملها

ولمفسري الكتاب وشرّاحهِ كلام واختلاف في شأن سؤال يوحنا هذا
يسوع بعضهم يقول ان يوحنا شكَّ في كونهِ هو الآتي ليخلّص اسرائيل
فارسل يسألهُ وبعضهم يقول ان يوحنا لم يشكَّ ولكن تلاميذهُ شكّوا فارسل
اثنين منهم ليروا ويسمعوا وينتفي شكُّهما وياتيا فينفيا شكَّ الآخرين. وفي
كلٍّ من القولين عدم التحام والتئام مع عبارات السؤال والجواب لانهُ
لا اشارة الى ان تلاميذ يوحنا شكّوا ولان نفي السيد القويّ ان يكون يوحنا
كقصبةٍ تحرّكها الريح يمنع منعاً كلياً القول بان يوحنا شكَّ وان جاز لمثلي ان
يبدي رأياً في مثل هذا المقام اقول انهُ وان كان ظاهر السؤال مع عدم
مراعاة الحال قد يلوح منهُ الشكُّ في نفس يوحنا او في تلاميذهِ لا شكَّ هناك
اصلاً لا في نفس يوحنا ولا في تلاميذهِ وانما طال الزمان على يوحنا في السجن
واشتدَّ كربهُ من ظلم هيرودوس وكان تلاميذهُ يأتون ويخبرونهُ بما يصنع يسوع
من الآيات الكثيرة والعظيمة معاً واجتماع الالوف المؤلَّفة اليهِ لاستماع
تعليمهِ ومشاهدة آياتهِ وهو اي يوحنا كان يعتقد كسائر اليهود ان المسيح

يكون ملكاً زمنياً عظيماً يردُّ الملك الى اسرائيل ويرفع أمتهم فوق سائر الامم وهذا الاعتقاد كان في تلاميذ المسيح انفسهم واستمرَّ فيهم الى يوم صعودهِ عنهم الى السماء وبهِ تقدَّم اليهِ ابنا زبدي وقالا لهُ اعطنا ان نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك في مجدك (مر ١٠:٣٧) وفي ما كان يودّعهم ويوصيهم في يوم صعودهِ سألوهُ قائلين يارب أفي هذا الوقت تردُّ الملك الى اسرائيل (اع ١:٦) وقداستبطأ يوحنا يسوعَ استبطاءً غريباً في كونه يصنع تلك الآيات العظيمة وتجتمع اليهِ تلك الالوف وهو لم يعلن ملكيتهُ ويشرع في طرد الرومانيين الذين كانوا قد اخضعوهم بالاحتيال وملكوا عليهم من عهد غير بعيد اي من نحو ستين سنة ولعلَّهُ كان يرجو ايضاً انهُ في طرد الرومانيين يبطل ملك هيرودوس لانهُ مالك من قبلهم ومن ثم يخلص هو من السجن فارسل يحرّضهُ هذا التحريض القويّ جدّاً علَى ان يعلن ملكيتهُ ويشرع في طرد الرومانيين ومعنى جواب المسيح لهُ انهُ ماشٍ في عملهِ وان من يظنُّ ان لهُ في ذلك العمل رأياً افضل من رأي المسيح يعثر فيهِ ولذلك قال في آخر جوابهِ طوبى لمن لا يعثر فيَّ ولم يقل يشكُّ

ونصوص القصة في كلٍّ من بشارتي متى ولوقا صريحة في ان تلميذي يوحنا خاطبا المسيح بسؤال يوحنا علناً بين جمهور الناس فعمل امامهما تلك الآيات العظيمة وقال لهما تلك الاقوال الفخيمة امام الجمهور ايضاً وذلك اثر ولا بدَّ كسفاً في اعتبار يوحنا عند الجمهور لما في ظاهرهِ من الشك والارتياب فلما ذهب تلميذا يوحنا قام الرب يسوع ينفي من عقول وقلوب الجمهور ما خامرها ويبيّن سموَّ شأن يوحنا ولم يفعل ذلك في وجود تلميذي يوحنا لئلا يخبراه بهِ فيزداد غمهُ

القسم الثاني

وهي في مت (١١: ٧—١٥ وفي لو٧: ٢٤—٣٠) (وبينما ذهب هذان (اي تلميذا يوحنا) ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا أقصبةً تحركها الريح لكن ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا · أإنساناً لابساً ثياباً ناعمةً هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيوت الملوك)

شرع السيد اولاً يذكّرهم باعتبارهم العظيم ليوحنا قبلُ حين كان في بريَّة الاردن وكانوا يخرجون اليهِ الوفاً الوفاً ليعتمدوا منهُ للتوبة و بدأ في ازالة ما وقع في نفوسهم من ان يوحنا مضطرب الفكر متقلب الرأي يتغير اعتقادهُ وقولهُ وفعلهُ مع الاحوال وحوادث الزمن فنفى عنهُ كل شبهة شكٍّ او اضطراب او تقلُّب بابلغ واوجز وابدع عبارة اى بقولهِ أقصبةً تحرّكها الريح اي هو ابعد واعظم واسمى جداً من ان يلمَّ بهِ شيءٌ من ذلك ثم ذكّرهم ما رأوهُ حينئذٍ من زهدهِ وتقشُّفهِ وتجرُّدهِ لخدمة الله في شعبهِ · وفي هذا الكلام من جعل السيد المسيح الزهدَ والتقشُّفَ والابتعادَ عن مجالي الترف والترفُّه من الصفات الدالَّة على طهارة الحياة وصلاح المعيشة والتجرُّد عن الدنيا بالانقطاع الى الله والاستغراق في عبادتهِ وخدمتهِ في شعبهِ ما ينافي مبادئ بعض الناس الذين لايمتدحون الأمايرتاً ون هم انفسهم لانفسهم موافقاً لانفسهم

(لكن ماذا خرجتم لتنظروا أنبياً نعم اقول لكم وافضل من نبيّ فان هذا الذي كُتب عنهُ ها انا ارسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك)

اي انتم خرجتم اذ ذاك لتنظروا نبياً وانا اقول لكم انهُ ليس نبياً فقط

بل افضل من نبيّ

وهنا يجب ان نتطلّب معرفة ما هو بهِ نبيّ وما هو بهِ افضل من نبيّ . والذي يبلغهُ ادراكنا من ذلك اما كونهُ نبيًّا فلانهُ منذ ميلادهِ أُنبئ عنه بانهُ يكون نبيًّا وسابقًا للمسيح بقول ابيهِ زكريا (وانت ايها الصبيّ نبيّ العليّ تُدعَى لانك تتقدَّم امام وجهِ الرب لتعدَّ طريقهُ لو١: ٧٦) وهو ايضًا قد تنبَّأ عن المسيح قبل ان يراهُ بما اوردهُ لهُ متى وهو قولهُ انا اعمّدكم بماء للتوبة ولكن الذي يأتي بعدي هو اقوى مني الذي لست اهلاً ان احمل حذاءهُ هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار (مت٣: ١١) ومرقس بقولهِ وكان يكرز قائلاً يأتي بعدي من هو اقوى منيّ الذي لست اهلاً ان انحني واحلّ سيور حذائهِ انا اعمّدكم بالماء واما هو فسيعمّدكم بالروح القدس(مر١: ٧و٨) ولوقا بقولهِ في ايَّام رئيس الكهنة حنَّان وقيافا كانت كلمة الله عَلَى يوحنا ابن زكريَّا في البريَّة فجاء الى جميع الكورة المحيطة بالاردنّ يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا كما هو مكتوب في سفر اشعيا النبي القائل صوت صارخ في البرية اعدُّوا طريق الرب اصنعوا سبلهُ مستقيمة كل وادٍ يمتلىء وكل جبل وأكمةٍ ينخفض وتصير المعوجَّات مستقيمة والشعاب طرقًا سهلة ويبصر كل بشر خلاص الله (لو٣: ٢—٦) و يوحنا بقولهِ اجابهم يوحنا قائلاً انا اعمّد بماء ولكن في وسطكم قائم الذي لست بمستحقٍ ان احلّ سيور حذائهِ (يو١: ٢٦و٢٧)

واما كونهُ افضل من نبيّ فلانهُ هو المعيَّن ان يكون سابق المسيح ومهيئًا طريقهُ قدامهُ كما نصَّ عَلَى ذلك السيد فهو اقرب الى المسيح من

سائر الانبياء واكمل منهم معرفةً بوقتهِ وكيفيةِ مجيئهِ وظهورهِ وبتعميدهِ اياهُ في الاردن ومشاهدتهِ انفتاح السماء لهُ ورؤيتهِ روح الله نازلاً مثل حمامةٍ وآتياً عليهِ وسماعهِ الصوت من السماوات القائل هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سررت (مت ٣: ١٣—١٧) وايضاً بشهادتهِ العيانية للمسيح كما كتب الانجيلي يوحنا بقولهِ (وفي الغد اي بعد ان عمَّد يوحنا المسيح رأى في اليوم الثاني) يسوع مقبلاً اليهِ فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطيةَ العالم هذا هو الذي قلت عنهُ يأتي بعدي رجل صار قدامي لانهُ كان قبلي وانا لم اكن اعرفهُ لكن ليظهر لاسرائيل ذلك جئتُ اعمّد بالماء وشهد يوحنا قائلاً اني قد رايت الروح نازلاً مثل حمامةٍ من السماء فاستقرَّ عليهِ وانا لم اكن اعرفهُ لكن الذي ارسلني لاعمّد بالماء ذلك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليهِ فهذا هو الذي يعمّد بالروح القدس وانا قد رأيت وشهدت ان هذا هو ابن الله (يو ١: ٢٩—٣٤)

والحاصل ان يوحنا نبيٌّ وسابق وصابغ ومشاهد عياني وشاهد فهو افضل من نبيٍّ بهذه الخصائص وقد اشار السيد لهُ المجد الى وجه افضليتهِ بقولهِ (فان هذا هو الذي كتب عنهُ ها انا ارسل امام وجهك ملاكي الذي يهيّئ طريقك قدامك) ومن المعلوم ان الذين اختارهم الله للمناداة بتعليمهِ في العهد القديم يسمون انبياء والذين اختارهم لذلك في العهد الجديد يسمون رُسلاً ومن ثم يكون يوحنا افضل من نبيٍّ من انبياء العهد القديم بزيادة معرفتهِ عن معرفة كلٍّ منهم عن المسيح اذ ان كلاً منهم عرف انهُ جاءٍ سيجيء ويوحنا عرف انهُ جاء وليس هو افضل من احد من رسل المسيح ولا من احد من عموم المسيحيين لان يوحنا عرف

انهُ جاء ولم يعرف كيف اتمَّ عملهُ ومات يوحنا وهو يعتقد ان المسيح يكون ملكاً زمنياً ومملكتهُ ارضية وكلَّ واحد من المسيحيين حتى اقلهم معرفةً في التعاليم الدينيَّة يعرف كيف اتمَّ المسيح عملهُ بالتألم والموت على الصليب والدفن والقيامة بعد ثلاثة ايام وانهُ ملكٌ ابديٌ ومملكتهُ سماوية فاصغر المسيحيين اكمل معرفةً من يوحنا بشأن المسيح ودينهِ كما سيأتي قريباً تصريح السيد المسيح بهذا المعنى

(الحق اقول لكم انهُ لم يقم بين المولودين من النساء اعظم من يوحنا المعمدان ولكن الاصغر في ملكوت السماوات اعظم منهُ ومن ايام يوحنا المعمدان الى الآن ملكوت السماوات يُغصَب والغاصبون يختطفونهُ لان جميع الانبياء والناموس الى يوحنا تنبأُوا وان اردتم ان تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع ان يأتي من لهُ اذنان للسمع فليسمع)

وهذا مزيد ايضاح وتأكيد لما قبلهُ والمقام يستدعي ان نتطلَّب معرفة عظمة يوحنا حتى انهُ لم يقم بين المولودين من النساء اعظم منهُ واذا نظرنا نجد ان يوحنا لم يعمل مثل اعمال ابراهيم من تركهِ وطنهُ وتغرُّبهِ في ارض لا يعرفها بين امم لا يعرفها ورفعهِ ابنهُ الوحيد ابن الموعِد اسحاق على المذبح ولا كاعمال موسى من تركهِ مجد وغنى وكرامة ورفاهَ بيت فرعون واختيارهِ ان يعيش بالمسكنة والمخاوف والاتعاب مع شعب الله جنسهِ الذليل المضطهَد حينئذٍ شديد الاضطهاد ومقاومتهِ فرعون وعظماء مصر واخراجهِ شعب الله منها وشقهِ البحر واجازتهِ الشعب على اليابسة وصومهِ اربعين يوماً ومخاطبتهِ الله وتناولهِ الشريعة منهُ ولا مثل اعمال يشوع في ايقافهِ جري ماء الاردن

واجازتهِ الشعبَ علَى اليابسة وايقافهِ الشمس عن مسيرها ولا مثل اعمال ايليا في اقامتهِ الميت ومنعهِ السماءَ ان تمطر وانزالهِ ناراً من السماء لمحرقتهِ وصعودهِ في مركبة نارية ولا مثل اعمال اليشع في اقامتهِ الميت واخيراً نقول ان السيد لهُ المجد في تجليهِ على جبل تابور احضر موسى وايلياً ولم يحضر يوحنا وفي مثل الغنى ولعازر علم بان الرياسة في دار النعيم لابراهيم حتى يفهم منهُ ان يوحنا يكون في جملة المتكئين في حضن ابراهيم وكلا الحادثتين اي تجلي المسيح ونطقهِ بمثل الغنى ولعازر كانت بعد وفات يوحنا وتحرير المعنى انهُ الى ذاك الوقت لم يقم اعظم من يوحنا معرفةً بشأن مجيء المسيح لانهم كلهم عرفوا انهُ سيأتي ولم يروهُ وهو عرف انهُ أتى ورآهُ ونبه الناس الى الايمان بهِ * والى وقتهِ انتهى حكم الناموس والانبياء. وانما عظَمَةُ يوحنا بانهُ اقرب من جميع انبياء العهد القديم الى المسيح وازيد معرفة منهم جميعاً بالمسيح لانهُ شاهدهُ وعمَّدهُ وشهد لهُ . وهذا هو الوجه في قول السيد (ولكن الاصغر في ملكوت السماوات اعظم منهُ) اي لان اصغر المسيحيين اي اقصرهم معرفة في التعاليم الدينية اكمل معرفةً من يوحنا لان يوحنا لم يعرف كيف اتمَّ المسيح عملهُ واصغر المسيحيين يعرف ذلك وهذا كلهُ بالنظر الى المعرفة في هذه الحياة الزمنية

ويجب ان يفهم ان الاصغر في المسيحيين اعظم من يوحنا لا من حيث القداسة ولا من حيث الفضيلة ولا من حيث الخدمة ولكن من حيث المعرفة كيف اتمَّ المسيح عملهُ وحرَّر تعليمه في عهدهِ الجديد

والبروتستاني مفسرّ الانجيل معترف بهذا حيث قال في تفسير (مت

١١:١١) (المولودين من النساء) كلام شائع يراد بهِ الجنس البشري (اعظم من يوحنا) اي لم يوجد انسان اعظم منهُ بين روساء الآباء الاولين ولا بين الانبياء ولا الكهنة ولا الملوك ولم تكن افضليتهُ في سجاياهُ وان باراً ولكن في انهُ سابق المسيح في الوظيفة واقرب اليهِ من كل الانبياء فعظمة الانسان تزيد كقربهِ من المسيح واذا كان سابق المسيح اعظم من جميع الناس فكم تكون عظمة المسيح نفسهِ (لينتبه المطالع ان المفسر في عبارتهِ هذه اي قولهِ جميع الناس قد تطوح وناقض نفسهُ ايضاً وذلك لان افضلية يوحنا واعظميتهُ بالنظر الى اهل العهد القديم اي الموسويين ولا تشملان احداً من اهل العهد الجديد اي المسيحيين) وقال بعدهُ (الاصغر في ملكوت السماوات) اي النظام الجديد وهو الكنيسة المسيحية والمعنى ان اصغر المسيحيين يكون لوفرة النور والمعرفة اعظم من افضل اليهود لان الناس كانوا قبل موت المسيح يسيرون عَلَى ضوء الفجر فقط ولكن لما علق المسيح عَلَى الصليب ومات وقام اشرق ضوء الشمس عَلَى العالم فساروا الى نهار كامل فلا يُظَنّ من ذلك ان اقل المسيحيين تقوى اقدس من يوحنا فالافضلية متوقفة عَلَى مجرَّد الوسائط فان يوحنا كان واقفاً عَلَى عتبة العهد الجديد اما المسيحيون بعدهُ فدخلوا الهيكل · انتهى النقل عن المفسّر البروتستاني

وهنا نقول للبروتستان اذا كان اصغر المسيحيين اعظم من يوحنا لانهُ اكمل من يوحنا معرفة بشأن المسيح فكم يكون اعظم من يوحنا كل واحد من رسل المسيح وقديسيهِ وشهدائهِ

واذا كانت العَظَمَةُ في هذا المقام بحسب القرب من المسيح فكم تكون المباركة مريم العذراء اعظم من رُسُل المسيح وقديسيه وشهدائه

واذا كان المسيح نفسهُ لهُ المجد قد مدح يوحنا ذلك المدح السامي جدًّا والعظيم جدًّا فايُّ مديح يحقُّ لمريم العذراء واي مديح نقدمهُ نحن لهايفي بما يجب فضلاً عن ان يكون خارجاً عن حدّ الادب الديني كما يقول البروتستان

والآن لا لانهُ قد بقي في المقام حاجة لاثبات كون المباركة في النساء والدة الالهِ الدائمة البتولية مريم العذراء افضل واطهر واقدس واسمى مقاماً واعظم اكراماً لدى الله سبحانهُ من سائر المخلوقات لان كلَّ ذلك قد ثبت وتأكَّد مما تقدَّم بكمال معناهُ ولا لتخجيل البروتستان وتبكيتهم على تهاونهم في حقها وتهوُّرهم بسماحهم لانفسهم ان يقولوا ويعلّموا في شأنها ما ينافي الادب ويخالف بل يناقض ما يقولهُ ويعلّمهُ الكتاب المقدَّس من اجلالها واعظامها وينتهي بهم الى الخصومة مع ابنها السيد يسوع المسيح لهُ المجد لان غايتنا انما هي تعليمهم ودعوتهم الى تكريمها ومديحها معنا لا تخجيلهم وتبكيتهم ونحن نظنُّ اننا قمنا بالواجب ولكن لاستيفاء حقّ التأليف بايراد موادّ الموضوع وللتبرُّك بخدمتها عليها اشرف السلام وللتلذُّذ بذكر مديحها من اعاظم الملايكة وابرار الناس نذكر ما يأتي وهو

(١) ان متى الانجيلي لما كتب جدول نسب يوسف خطيب مريم وهو ابن داوود وقد شهد لهُ بالهام الروح القدس انهُ كان بارًّا انما انتهى في نسبهِ الى ابراهيم حيث قال ابراهيم ولد اسحاق واسحاق ولد يعقوب (مت ١ : ٢) ولوقا الانجيلي لما كتب جدول نسب المباركة مريم العذراء فقد انتهى الى

آدم ولم يقف حتى قال ابن الله (لو٣:٣٨) وهما قد كتبا بالهام وارشاد الروح القدس وهذا يدلُّ عَلَى مـا لمريم العذراء لدى الله من الافضليَّة وزيادة الاكرام عن سائر الابرار

(٢) ان غاية ما جاء في الكتاب من مدح البشر غير مريم العذراء هو تشبيه الانسان بملاك الله في قول المرأة التقوعيَّة لداوود النبي والملك (لانهُ سيدي الملك انما هو كملاك الله لفهم الخير والشرّ) وقولها لهُ ايضاً (وسيدي حكيم كحكمة ملاك الله ليعلم كل ما في الارض) (٢ صم ١٤: ١٧و٢٠) وقول السيد المسيح في يوحنا (هذا هو الذي كتب من اجلهِ ها انا ارسل امام وجهك ملاكي الذي يهيّئُ طريقك قدامك (مت١١: ١٠) وامـا المباركة مريم العذراء فقد جاء فيهِ من مديحها تسميتها ام الربّ بقول اليصابات وهي ممتلئة من الروح القدس وصارخة بصوت عظيم (من اين لي هذا ان تأتي ام ربي اليَّ (لو١: ٤٣) . ولا يلتفت هنا الى محك بعض الجهلاء الوقحاء الذين يقولون بلا فهم ولا حياء ان معنى ربي هنا معلمي حتى يضحك العقلاء من تطوُّحهم هذا لان الذي لم يولد بعد لا يكون معلماً لابنة هارون المشهود لها من الله انها بارَّة امام الله سالكة في جميع وصايا الرب واحكامهِ بلا لوم وفوق ذلك هي اذ ذاك متقدّمة في ايامها (لو ١ : ٥—٧)

(٣) بالمقابلة بين كيفيَّة تبشير جبرائيل الملاك مريم العذراء وتبشيرهِ زكريَّا والد يوحنا فننقل كلام الانجيلي في ذلك بحروفهِ ثم ننظر في ما فيهِ من الفروق .

قال في الكلام عَلَى تبشير زكريَّا

كان في ايام هيرودوس ملك اليهودية كاهن اسمهُ زكريا من فرقة ابيا وامرأتهُ من بنات هارون واسمها اليصابات وكانا كلاهما بارَّين امام الله سالكين في جميع وصايا الرب واحكامهِ بلا لوم ولم يكن لهما ولد اذ كانت اليصابات عاقراً وكانا كلاهما متقدمين في اياما

فبينما هو يكهن في نوبة فرقتهِ امام الله حسب عادة الكهنوت اصابتهُ القرعة ان يدخل الى هيكل الرب ويبخر وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجاً وقت البخور فظهر لهُ ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور فلما رآهُ زكريا اضطرب ووقع عليهِ خوف فقال لهُ الملاك لا تخف يا زكريا لان طلبتك قد سُمعت وامراتك اليصابات ستلد لك ابناً وتسميهِ يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادتهِ لانهُ يكون عظيماً امام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب ومن بطن امهِ يمتلئ من الروح القدس ويردُّ كثيرين من بني اسرائيل الى الرب الههم ويتقدم امامهُ بروح ايليا وقوتهِ ليردَّ قلوب الآباء الى الابناء والعصاة الى فكر الابرار لكي يهيئ للرب شعباً مستعداً فقال زكريا للملاك كيف اعلم هذا لاني انا شيخ وامرأتي متقدمة في ايامها فاجاب الملاك وقال لهُ انا جبرائيل الواقف قدام الله وأُرسلت لاكلمك وابشرك بهذا وها انت تكون صامتاً ولا تقدر ان تتكلم الى اليوم الذي يكون فيهِ هذا لانك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقتهِ وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من ابطائهِ في الهيكل فلما خرج لم يستطع ان يكلمهم ففهموا انهُ قد رأى رؤيا في الهيكل فكان يومئ اليهم وبقي صامتاً (لو ١ : ٥ — ٢٢)

وقال في الكلام عَلَى تبشير مريم العذراء

وفي الشهر السادس (اي بعد تبشير زكريا بيوحنا) أُرسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داوود اسمهُ يوسف واسم العذراء مريم فدخل اليها الملاك وقال سلامٌ لكِ ايتها المُنْعَمُ عليها الربُّ معكِ مباركةٌ انتِ في النساء فلما رأتهُ اضطربت من كلامهِ وفكرت ما عسى ان تكون هذه التحيةُ فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لانك قد وجدتِ نعمةً عند الله وها انتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينهُ يسوعَ هذا يكون عظيماً وابن العليّ يُدعَى ويعطيهِ الرب الالهُ كرسيَّ داوود ابيهِ ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ نهايةٌ فقالت مريم لاملاك كيف يكون هذا وانا لست اعرف رجلاً فاجاب الملاك وقال لها الروح القدسُ يحلُّ عليكِ وقوَّة العليّ تظلّلكِ فلذلك ايضاً القدُّوس المولود منكِ يُدعَى ابن الله وهوذا اليصابات نسيبتكِ هي ايضاً حبلَى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوَّة عاقراً لانهُ ليس شيءٌ غير ممكن لدى الله فقالت مريم هوذا انا أمةُ الرب ليكن لي كقولك فمضى الملاك من عندها (لو ١ : ٢٦ — ٣٨)

وهذا ما نرى ذكرهُ هنا من الفروق في هاتين البشريين

(١) ان زكريا كان حين تبشيرهِ شيخاً متقدماً في ايامهِ واما مريم فكانت فتاةً في الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من سنها

(٢) ان زكريا كان كاهناً من نسل هارون وكان باراً امام الله سالكاً في جميع وصايا الرب واحكامهِ بلا لوم واما مريم فلم يذكر الكتاب سوى

كونها من نسل داوود وقد سكت عن تعداد صفاتها الادبية والتقوية وليس ذلك لعدم الالتفات الى تلك الصفات ولكن لان الشأن الذي اختارها الله لهُ من بين نساء اسرائيل وبالتالي من بين نساء العالمين يدل عَلَى سموّ صفاتها وكمالها اكثر مما يؤدّى بالتعداد

(٣) ان جبرائيل قد بشر ذكريا وهو محتفل في خدمتهِ ومترد بحلتهِ الكهنوتيَّة وقائم باكمل خشوع وورَع في هيكل الرب يبخر واما مريم العذراء فقد بشرها وهي في بيتها غير محتفلة ولا متجملة لاستقبال احد

(٤) ان جبرائيل انما ظهر لزكريا واقفاً عن يمين المذبح واما مريم فقد جاء اليها الى بيتها ودخل اليها دخول المبشّر

(٥) ان جبرائيل لم يبدأ زكريا بالسلام ولا جعل لبشراهُ لهُ مقدمة اصلاً واما مريم فدخل الى بيتها وبدأها بالسلام وجعل لبُشراهُ لها مقدّمة اطمئنان وتبجيل واعزاز واكرام بقولهِ لها سلامٌ لكِ ايتها المنعم عليها الربُّ معكِ مباركة انتِ في النساء

ويجب التنبه الى انهُ لم يقل لها يامريم او يا مريم المنعم عليها بل خاطبها بقولهِ ايتها المنعم عليها لما في هذه الصورة من المناداة من الاجلال والتعظيم ولا شكَّ ان في مخاطبتك زيداً مثلاً بقولك لهُ ايها الفاضل اجلالاً وتعظيماً لهُ ليسا في قولك يا زيد او يا زيد الفاضل وبما ان جبرائيل رسول الله المؤتمن عَلَى ابلاغ هذه البُشرى فلا يقول سوى ما هو مأمور بهِ من الله . اما ان قال قائل متساهلٌ ان جبرائيل فعل ذلك من عند نفسهِ فنقول لهُ فالاولى بك ان تتعلّم من جبرائيل وتقتدي بهِ

(٦) ان الانجيليّ يقول ان زكريا لما رأى الملاك اضطرب ووقع عليهِ خوف واما مريم العذراء فلا يقول انها لما سلَّم عليها خافت وانما يقول انها اضطربت من كلامهِ وفكرت ما عسى ان تكون هذه التحية ولا يقدَّر ان فتاةً بنت ١٤ او ١٥ سنة قد تربت في الهيكل وهي الآن فاقدة الاب والأُمّ اثبت واشجع قلب من رجل كاهن بارّ متقدّم في ايامهِ قائم في هيكل الههِ يبخر امام مذبحهِ وانما يقدَّر انهُ ظهر لزكريا بهيئةٍ فيها من الجلال والوقار ما انزل الخوف في قلبهِ وظهر لمريم بهيئةٍ فيها من الوداعة والانس ما لا يكون معهُ خوف لرائيهِ وذلك لمؤانستها وعدم اخافتها

(٧) انهُ لازالة ما اعترى كلاًّ منهما قال لزكريا لا تخف يا زكريا لان طلبتك قد سمعت واما لمريم العذراء فقال لا تخافي يا مريم لانك قد وجدت نعمةً عند الله والفرق بين العبارتين من حيث الاجلال والاعزاز وتسكين الرَّوع عظيم جدًّا كما لا يخفى على عاقل فاهم

(٨) انهُ لما قال لهُ زكريا كيف اعلم هذا لاني انا شيخ وامرأتي متقدمة في ايامها اجابهُ بقولهِ انا جبرائيل الواقف قدام الله وأُرسلتُ لاكلمك وابشرك بهذا وها انت تكون صامتاً ولا تقدر ان تتكلم الى اليوم الذي يكون فيهِ هذا لانك لم تصدق كلامي الذي سيتمُّ في وقتهِ . واما مريم فلما قالت لهُ كيف يكون هذا وانا لست اعرف رجلاً فمع ان استفهامها اشدُّ استبعاداً جدًّا قد اجابها بابهج وآنس واسرّ جواب اي بقولهِ الروح القدس يحلُّ عليكِ وقوَّة العلي تظللك فلذلك ايضاً القدُّوس المولود منكِ يُدعى ابن الله وهوذا اليصابات نسيبتكِ هي ايضاً حُبلى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس

لتلك المدعوَّة عاقراً لانهُ ليس شيءٌ غير ممكن لدى الله

وليعتبر هنا ليس علماء اللاهوت فقط بل علماء الآداب اللغوية ايضاً ما في هذا الجواب من الزيادة عن الفائدة الخاصة المطلوبة بالسؤَال اذ ان ذلك يتمُّ بقولهِ الروح القدس يحلُّ عليكِ وبعدُ قولهُ وقوَّة العلي تظللكِ من عطف جملة عَلَى جملة بمعناها للتأْكيد واما ما قالهُ بعد ذلك وخصوصاً خبرهُ عن اليصابات فكلُّهُ لبسط الكلام والمؤَانسة للدلالة عَلَى الاعظام والاكرام فاين جوابهُ لزكريا من جوابهِ هذا للمباركة مريم العذراء عليها سلام الله

(٩) معرفة مريم العذراء شأنها ومقامها في الحال واعلانها الخضوع وقبول النعمة وذلك بالالفاظ المتدفقة تقوى وحكمةً وتواضعاً وهي قولها (ها انا أَمةُ الرب ليكن لي كقولك) وهو منتهى الاذعان والايقان ومعرفة قدر النعمة ولم يكن لزكريا حظ بشيء من ذلك لما قضي عليهِ بالصمت

(١٠) قولهُ فمضى الملاك من عندها . هنا محل للتأمُّل والتروّي والتدبُّر في ما ارادهُ او ما عناهُ الانجيلي بل الروح القدس بكتابة هذه العبارة او ترى لو لم تكتب هذه العبارة لم نكن نفهم ان الملاك بعد ان ابلغ المباركة البشرى ذهب وان كان الخبر بكتابتها اكمل انما كان يكفي ان يقال فمضى الملاك ولكن . يجب ان نتذكر ان الانجيليَّ قال في اول الكلام عن هذه البشرى . أُرسل جبرائيل الملاك من الله الى الجليل الى عذراء اسمها مريم ومن ثمَّ قال في ختامهِ فمضى الملاك من عندها اي من عند العذراء مريم الى السماء الى الله وفيهِ من التنويه بسموّ مقامها ما لم يكن لبشر سواها اما زكريا فبعد ان زجرهُ الملاك وقاصهُ بالصمت فلم يكلمهُ بشيء . وكما لم يخبر الانجيلي كيف كان مجيئهُ

لبشرى زكريا لم يخبر كيف كان ذهابهُ فليعتبر ذوو الاعتبار

فايُّ مديح منا يكثر او يكبر او يعدُّ مبالغة خارجة عن حد الادب الديني للتي رأينا الانجيلي يقول ارسل جبرائيل الملاك من الله اليها في بيتها في الناصره وانهُ جاء ودخل اليها في بيتها وبدأها بالسلام وخاطبها بابتها المنعم عليها الربُّ معكِ مباركة انتِ في النساء وبقولهِ انكِ قدوجدتِ نعمةً عند الله وقولهِ الروح القدس يحلُّ عليكِ وقوَّة العلي تظللكِ وبعد ذلك تلطفهُ بخطابها وبسطهُ الكلام اليها اجلالاً ومؤانسةً على انَّ ابلغ ما نمدحها ونعظمها ونمجدها بهِ هو المدحة الآتية وهي

بواجب الاستحقاق حقاً نغبط والدة الاله الدائمة الطوبى والبريئة من كل عيبٍ ام الهنا . التي هي اكرم من الشاروبيم وارفع مجداً بغير قياس من السارافيم التي بغير فساد وَلدَت كلمة الله حقاً انكِ والدة الالهِ لكِ نعظم

وحقاً اننا لا نعلم ايّ عبارة من هذه المدحة ينكرها المنكرون او يقولون انها غير صوابيةِ المعنى او يرونها مبالغة عن الحقيقة فضلاً عن ان تكون خارجة عن حدّ الادب الديني

وليعلم المطالع ان عبارة (بغير فسادٍ) من سقم الترجمة الحرفيةِ ولكل لغة نهج في التعبيرات ويجب ان يقال في موضعها في العربيةِ (بغير معرفة رجل) ونحو ذلك من الكنايات التي تستعمل في مثل هذه الشؤُون في اللغة العربيةِ

ونحن لا ننكر ان في كتبنا الطقسيةِ عبارات سقيمة الترجمة حتى تجعل المعنى غير لايق بمحلهِ ولكنا نعذر المترجمين السابقين اذ لم يكن لهم من الوسائط ان يأتوا باحسن مما اتوا بهِ ونهتمُّ ونترقَّب الوقت الذي يمكننا فيهِ

ان نعيد النظر فيها وننقيها من تلك الشوايب

ومما جاء من المبالغات في ذمّ الاشرار قول يوحنا المعمدان للفريسيين والصدوقيين (يا اولاد الافاعي (مت ٣ : ٧) وقول السيد لهُ المجد (امضوا وقولوا لهذا الثعلب (يريد بهِ هيرودوس) لو ١٣ : ٣٢) وقولهُ ايضاً (اليس اني انا اخترتكم الاثني عشر وواحد منكم شيطان يو ٦ : ٧٠) وقول بولس (هذه الوصيةُ ايها الابن تيموثاوس استودعك اياها حسَبَ النبوات التي سبقت عليك لكي تحارب بها المحاربة الحسنة ولك ايمان وضمير صالح الذي اذ رفضهُ قوم (يريد اناساً قاموا ببدعة) انكسرت بهم السفينة من جهة الايمان ايضاً الذين منهم هيمينايس والاسكندر اللذان اسلمتهما الى الشيطان لكي يؤدَّبا حتى لا يجدّفا (اتي ١ : ٢٠)

وانما بالغ الكتاب في مدح الاخيار وذم الاشرار تبياناً لعظيم كرامة اتقياء الله عند الله وشدَّة مقت اعداء الله لدى الله

الفقرة الرابعة

قول البروتستان ان مديح مريم العذراء وتكريمها وتمجيدها وكذلك مديح وتكريم وتمجيد رسل المسيح وسائر قديسي الله كل ذلك مما يدان فاعلهُ عليهِ كمجرم لانهُ من قبيل اخذ ما هو حقٌ خاصٌ للمسيح واعطائهِ الى غيرهِ

ونحن نقول حقاً انا نعجب ثم نأسف من هولاء البروتستان اذ يطوحون انفسهم الى هذه الغاية من التهوُّر الفظيع بمثل هذه التخيلات التي هي من جهةٍ تنافي الآداب الانسانيةَ شديد المنافاة ومن جهة تناقض التعاليم الدينية ونصوص الاسفار الالهيةَ صريح المناقضة ولبيان ذلك نقسم الكلام في تفنيد

هذه الاوهام البروتستانية الى قسمين ادبيّ وديني هكذا

القسم الادبي

لا يخفى ان الزعم البروتستانيّ بان السيد المسيح لهُ المجد يستاء ممَّن يكرم او يمدح او يمجد أُمَّهُ وقديسيهِ حتى يدينهُ على ذلك كمجرم يتضمَّن طعناً وتقبيحاً وذماً بيسوع المسيح مما لم يجترئ عليهِ الدُّ اعدائهِ من اليهود والوثنيين ولا من الشياطين انفسهم لانهُ يشفُّ عن سوء اخلاق وطِباع ومعاشرةٍ ومعاملةٍ مما يقبح ان يوصف بهِ سَفَلَةُ الناس فضلاً عن ان يوصف بهِ اجلاء العالم فضلاً عن ان يوصف بهِ الرب يسوع المسيح وفضلاً عن ان يكون واصفوهُ بهِ الناس الذين يسمُّون انفسهم الانجيليين والمصلحين والمسيحيين حقاً ولا نظنُّ انهم يرضون ان يصف احدٌ احدهم بمثله

وكيف لا يكون القول بان يسوع المسيح يستاء من مديح واكرام امهِ وخدامهِ من اوجع الطعن وافظع الذمّ وهو يتضمَّن انهُ ينكر حقّ التي حملتهُ وولدتهُ وارضعتهُ وربتهُ وحملتهُ من اليهودية الى مصر على يديها هاربة حرصاً على سلامتهِ ثم حملتهُ على يديها آيبة من مصر الى الناصرة حيث كانت محلّ امن لاقامتهِ ونمو جسمهِ وكمال قامتهِ (انظر لو ٢: ٤٠و٥٢) وخدمتهُ ثلاثاً وثلاثين سنة ونصف سنة مدة حياتهِ وتبعتهُ حتى وقفت بقرب صليبهِ عند مماتهِ .

ويتضمَّن ايضاً انكار حقّ اختصاص رُسُلهِ وقديسيهِ وشهدائهِ وخدامهِ بهِ وانتسابهم اليهِ وهم قد تركوا لاجلهِ كل شيء حتى الآباء والامهات والاخوة والاخوات واتبعوهُ في حال الفقر والتعب والخوف

والنصب والجوع القاتل الذي اضطروا الى دفعهِ بفرك السنابل هذا وهو بينهم على الارض وبعد صعودهِ نادوا بهِ تحت انواع المخاطر كل يوم وحملوا بشرى قيامتهِ الى كل قوم شاهدين لهُ في كل حال وكل حين واخيراً بذلوا حياتهم في محبتهِ راضين فرحين

ولو كانت اخلاق السيد المسيح وصفاتهُ كزعم البروتستان هذا لكان البعد عنهُ خيراً من القرب اليهِ وأمٌّ بدويٌّ لدى ولدها اكرم من أمهِ لديهِ وخادمهُ لو خدم امير عرب او قائد جندٍ او وجهٍ مدينة لكان اعزلهُ مقاماً واجدى عليهِ . ولا شك ان وساوس الابتداع تستلزم نتائج تمجها الاسماع

القسم الديني

انا نستغرب قول البروتستان ان السيد المسيح يستاء من مديح واكرام وتمجيد والدتهِ وقديسيهِ حتى يدين فاعل ذلك كمجرم حاسباً ذلك عليه انهُ من قبيل اخذ ما هو حقٌ خاصٌ لهُ واعطائهِ لغيرهِ ولا نعلم من اين يأتون بهذا القول ولا على ايّ نصٍّ من الكتاب يستندون فيهِ ونحن محذَّرون من التعاليم الغريبة ومنهيون عن قبولها بقول الرسول (اني اتعجب انكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر ليس هو آخر غير انهُ يوجد قوم يزعجونكم ويريدون ان يحوّلوا انجيل المسيح ولكن ان بشرناكم نحن او ملاكٌ من السماء بغير ما بشرناكم فليكن اناثيما كما سبقنا فقلنا اقول الآن ايضاً ان كان احد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن اناثيما (غل ١:٦—٩)

واذ ذاك فليس انا نرفض ونشجب فقط هذه الاوهام البروتستانية بل نأسف ايضاً لوجودها وصدورها منهم وهم يحملون الاسفار في اسفارهم ويجعلون

النسبة الى الانجيل من شعارهم وان وجد احدهم بين أناس وان كان دون كل واحد منهم في كلّ قياس لا بدَّ لهُ من نخسهم ولو بعبارةٍ من الكلام تتضمَّن انهُ هو علَى الحقيقة وهم على الاوهام بدون نظر الى ما اذا كان لذلك محلٌّ في المقام او لامحلَّ لهُ في ذلك المقام ولا في حضرة اولئك الأنام وهذا من بعض واجباتهِ في التحمس للبدعة وان كانت نتيجتهُ لهُ ولها مزيد المقت والشنعة وهذا بعض النصوص التي تدحض ما يزعمون وتنادي بزيغ وبطلان ما يعلّمون

اما بخصوص اكرام المباركة في النساء مريم العذراء فلو لم يكن لنا سوى نصّ الوصيَّة الخامسة (اكرم اباك وامك (خر ٢٠: ١٢) لكان كافياً في الدلالة المؤكّدة علَى ان الرب يسوع المسيح كان في مدة ظهورهِ على الارض يكرمها ولا يزال وهو في السماء جالس عن يمين الآب يكرمها لان النصّ مطلق وهو جالس عن يمين الآب بجسدهِ الذي اتخذهُ من جسدها وهي عليها اشرف السلام كما كانت أمّهُ لهُ المجد وهو علَى الارض هي كذلك أمّهُ وهو في السماء وهل يتصوَّر عاقل خلاف ذلك وخصوصاً من يؤمن انهُ بهِ اعطيت الوصيَّة اذ (كل شيء بهِ كان وبغيرهِ لم يكن شيء مما كان يو ١: ٣) واذا كان الرب يسوع نفسهُ اكرمها علَى الارض وهو يكرمها في السماء افلا يحسن بنا بل يجب علينا ان نكرمها · واذ ذاك فبماذا يكون اكرامها الأبتمجيدها وتعظيمها وتمجيدها

ومن يستبعد ان يقول هنا بروتستاني ما ان قولهُ اكرم اباك وامك من قبيل القول ان الوصيَّة انما هي علَى الرعيَّة ومن ثمَّ لا تشمل الرب يسوع وهكذا لا يكون لكم فيها دليل اصلاً ولذلك ليس في اسفار العهد الجديد

قول ولا فعل ان المسيح كان وهو عَلَى الارض يكرم أُمَّهُ وبالقياس عَلَى ذلك لا يكون يكرمها في السماء ونحن لا نتكلَّف هنا ان نبيّن له خطأهُ وما يتضمنهُ قولهُ هذا من السوء في حقّ يسوع المسيح اكتفاء بما سبق لنا فيهِ ولكن نقول لهُ ان في اسفار العهد الجديد ما يدل عَلَى انهُ لم يكن يقتصر عَلَى اكرامها فقط بل كان يخضع لها وليوسف النجار الخطيب ايضاً ولا نريد هنا عملهُ بحسب ارادتها في عرس قانا الجليل اذ قد تقدَّم لنا الكلام في ذلك ولكن نريد نصّاً لوقاً في حادثة زيارة اورشليم في حين كان عمرهُ لهُ المجد اثنتي عشرة سنة وهو السنّ الذي يكون فيهِ البنون اكثر مما قبلهُ ومما بعدهُ بطراً وأشراً وعُراماً ومخالفةً لاوامر والديهم اذ يمنعهم عن ذلك قبل الثانية عشرة من سنهم الضعف وبعدها التعقل وقد بقي هناك وذهبت مريم ويوسف مسيرة يوم ثم رجعا وفتّشا عنهُ ثلاثة ايام حتى وجداه في الهيكل حيث يقول (ثم نزل معهما الى الناصرة وكان خاضعاً لهما لو ٢: ٥١) ومعنى الخضوع كما لا يخفى اقوى واعظم واوسع واشمل من معنى الاكرام ومن ارتاب في ذلك فليراجع ما في القاموس والنهاية وهو في مقامنا هذا منزّهٌ عن ان يكون اجبارياً او وقتياً او ريائياً او لعلّةٍ الجائية · ولكن في مثل هذا يظهر مصداق القول بوجود اناس لهم اعين ولا يبصرون ولهم آذان ولا يسمعون

أَوَ ليس لزجر كل جسور عن انّ يتفوّه بما يحطّ من شأن أُمومتها او يمسّ جانب عظَمَتها ولتعليم موءمني العالم اجمع واجب مديحها واكرامها قد الهم الروح القدس الانجيلي ليكتب قولهُ (وكان خاضعاً لهما) وفي ضمن ذلك تفنيد زعم البروتستان ونحن نعتقد انها بالهام الهيّ انطقت بقولها (هوذا منذ الآن تطوبني

جميع الاجيال لو ١ : ٤٨) المفيد انهُ ستمدحها وتعظّمها وتمجّدها جميع امم العالم في جميع الاقطار الى منتهى الازمان وانها تقبل ذلك بالرضى والسرور ولا نعلم ما اذا كان البروتستان يعدُّونهُ منها ادّعاء باطلاً وينتقدون على لوقا كتابتهُ لانهُ على زعمهم يستاء منهُ يسوع المسيح

واما النصوص بشأن رُسُل المسيح وقدِّيسيهِ والانبياء وسائر محبي الله ومختاريهِ فمنها

(١) قول السيد لهُ المجد (حينئذٍ يضيء الابرار كالشمس في ملكوت ابيهم من لهُ اذنان للسمع فليسمع مت ١٣ : ٤٣) أيستقيم في العقل السليم والفهم القويم ان يكون المسيح يستاء من مديحهم واكرامهم وتعظيمهم وهو نفسهُ يقول فيهم هذا القول الذي لم نقرظهم بمثلهِ ولا نستطيع ان نأتي بما يقرب منهُ . وقد سمعنا منهُ وتعلمنا او ترى لا اذان لمخالفينا او لهم آذان ليست للسمع

(٢) قولهُ لتلاميذهِ (من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي ارسلني من يقبل نبياً باسم نبيٍّ فأجر نبيٍّ يأخذ ومن يقبل باراً باسم بارٍّ فأجر بارٍّ يأخذ ومن سقى احد هولاء الصغار كأس ماء باردٍ فقط باسم تلميذٍ فالحقَّ اقول لكم انهُ لا يضيع اجرهُ مت ١٠ : ٤٠ — ٤٢ والذي يسمع منكم يسمع مني والذي يرذلكم يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي ارسلني لو ١٠ : ١٦) وفي هذه الآيات تعليم صريح بما يأتي وهو

اولاً ان كل اكرام لهم وكل فعلٍ حسنٍ نحوهم واصل اليهِ ثم الى الآب وكل إساءة اليهم وكل فعلٍ قبيحٍ نحوهم واصل اليهِ ثم الى الآب .

ومما لا ينازع فيهِ ان مديحهم وتعظيمهم وتمجيدهم و بناء الكنائس على اسمائهم والنذور على اسمائهم ليتناولها الذين يخدمون مقاماتهم وتعيين اياماً اعياداً لتذكاراتهم كل ذلك اكرامٌ لهم وافعالٌ حسنةٌ نحوهم فتكون واصلة الى الرب يسوع المسيح نفسهِ ثم الى الآب وان الازدراء بهم وتحقيرهم والطعن عليهم والحطّ من شأنهم كل ذلك اساءة اليهم وافعال قبيحة نحوهم وهو واصل الى الرب يسوع المسيح نفسهِ ثم الى الآب

ثانياً ان من يقبل (اي يضيف او يبيت او يأوي) نبياً لاجل كونهِ نبياً (اي معلّماً او مبشّراً او واعظاً في الدين المسيحي) يأخذ اجر نبيٍ ومن يقبل باراً (اي مسيحياً تقياً وهذا اللفظ وان كان للمذكَّر لا يختصُّ معناهُ بالمذكَّر بل يشمل الاناث ايضاً ثيّبات وابكاراً) يأخذ اجر بارٍ وهنا لا نعلم علَى ماذا يستند البروتستان ولا من اين يأتون بتعليمهم ان لا اجر للاعمال الصالحة وايُّ اجر ترى يكون اعظم من هذا الاجر

ثالثاً ان من يسقي احد المسيحيين الصغار (اي احد المؤمنين بهِ من الفقراء والخاملي الذكر والقاصري المعرفة ولا يصحُّ ان يشمل هذا القول تلاميذهُ ولا معلمي الدين ولا المشهورين بالمعرفة المسيحية والتقوى لانـهُ تقدَّم الكلام بشأنهم) كأس ماء باردٍ فقط (اي وان لم يطعمهم خبزاً ولا ياويهم الى بيتهِ ولا يكسوهم من عريٍ . وليس في جميع ضروب وانواع الاحسان اسهل وارخص واقل قيمة ومشقةً من سقي كأس ماء بارد) باسم تلميذ (باعتبار كونهِ تلميذاً اي تابعاً للمسيح لا باعتبار آخر) فالحقَّ اقول لكم (هذا اللفظ يأتي بهِ السيد المسيح لهُ المجد في صدر الكلام الذي يريد

تقويتهُ وتأكيدهُ زجراً عن التهاون بهِ فضلاً عن انكارهِ) انهُ لا يضيع اجرهُ

هذا والبروتستاني مفسّر الانجيل معترف بهذا كلهِ وان كان اقرارهُ وتقريرهُ لا يخلوان من الخبط فقد قال في تفسير قول السيّد (من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي ارسلني) بعد ان ذكر المسيح ما يلحق تلاميذهُ من المصائب عزَّاهم بان ذكر هنا مشاركتهُ لهم في كل شيء وان اكرامهم اكرامهُ وخدمتهم خدمتهُ وانهُ يجازي مكرمهم وخادمهم كمكرم وخادم للمسيح نفسهِ (من يقبلكم) اي باعتبار انكم رسلي وان رسالتكم حقٌ ويرحب بكم ويكرمكم ويحسن اليكم (يقبلني) اي يجازى كأنهُ فعل كلَّ ما ذكر لي وقبول الرسول كقبول رسالتهِ وقبول الرسالة كقبول الذي ارسلها كما ان اكرام السفير اكرام لملكهِ واهانتهُ اهانـة لذلك الملك وغاية هذا الكلام تشجيعهُ التلاميذ في مناداتهم بالانجيل وتعزيتهم حين يرفضون (من يقبل نبياً) باسم نبيٍ فاجر نبيّ يأخذ ومن يقبل باراً باسم بارٍ فأجرَ بارّ يأخذ) (من يقبل نبيا) قبول النبيّ باسم نبيّ ليس قبولهُ كمجرَّد شخص بل قبولهُ لانهُ نبيّ مع الاصغاء الى نبوءتهِ والطاعة لها واظهار كل الاكرام لهُ باعتبار انهُ رسول الله ومن فعل ذلك يشارك النبيّ في الثواب يوم الاثابة (من يقبل باراً) المراد بالبارّ هنا المسيحيّ بالحقّ وقبولهُ يظهر الشركة معهُ في الشعور والغاية حينئذٍ فيبين انهُ مستحقٌ ان يشاركهُ اخيراً في الجزاء فالذي يظهر بفعلهِ حبهُ للبرّ واهلهِ يظهر انهُ اهل للشركة في ملكوت البرّ وكل ما فيهِ من الآلاء (ومن سقى احد هولاء الصغار كأس ماء باردٍ فقط باسم تلميذ فالحقّ اقول لكم انهُ لا يضيع اجرهُ) (هولاء الصغار) اراد بهم تلاميذهُ

وسماهم صغاراً اشارةً الى تواضعهم في عيون انفسهم اذ لم يدَّعوا انهم كبار والى ضعفهم بالنسبة الى قوَّة اعدائهم وكما كانوا صغاراً في عيون انفسهم كانوا كذلك في عيون اهل العالم فان اهل العالم يحسبون الكبار الاغنياء والشرفاء والعلماء والاقوياء ويحتمل ان المسيح اراد بالصغار الذين اقلُّ معرفةً واعتباراً بين تلاميذهِ من سائر رُسلِهِ وافضل علماء دينهِ (كأس ماءٍ باردٍ) ارخص منعشات الانسان ولذلك يكنى بهِ عن اصغر هبةٍ يقدّمُها الانسان لغيرهِ واباءة تقديمِهِ لعطشان تعدُّ توحشاً (باسم تلميذٍ) اي باعتبار انهُ للمسيح وانهُ تلميذهُ فالذي يصنع هذا المعروف الزهيد لاحدٍ باعتبار انهُ مسيحيٌّ ولاظهار محبتهِ للمسيح كان كأنَّهُ صنع ذلك المعروف للمسيح نفسهِ ويجازى عَلَى ذلك (لا يضيع اجرهُ) لا تتوقف قيمة الهديَّة على كبرها او صغرها بل على قصد المهدي فيجب عَلَى المسيحي مهما كان فقيراً وضعيفاً ان لا ييأس من اخذ الأجر علَى شرطهِ (لو ٢١ : ١ — ٤) وذلك الاجر ليس اجرة حقيقيَّة بل هبة منحها الله اياهُ انتهى النقل عن البروتستاني

واذ ذاك فنعجب من قول البروتستان ان من يكرم مريم العذراء او الرُسُل والقديسين يدان من السيد يسوع المسيح عَلَى ذلك كمجرم

واقرب من السواد الى البياض ان ينتصب البروتستاني هنا ويقول ان مفسّر الانجيل هذا احد ايمتنا في الدين وقد اوردت انت قولهُ واعترافهُ بان اكرام رُسل المسيح واتباعهُ حسَن لدى المسيح وانــهُ يثيب فاعلهُ وذلك ينفي عنَّا ان نكون نقول ان المسيح يستاء ممن يكرم رُسلهُ وقديسيهِ

ونحن نجيب هذا البروتستاني بما يأتي وهو

اولاً ان البروتستاني لا معلم ولا مرشد ولا امام له في الدين على التحقيق وليس على البروتستاني حتم ولا حكم ولا التزام بان يقف في فهمهِ واعتقادهِ وعملهِ في الدين) عند حد قول معلم ولا مفسرٍ ولا امامٍ وهذا نص ايمة البروتستان انفسهم في ذلك ننقله هنا ايضاً وان كنا نقلناه قبلاً

ففي صفحة ٥٧٧ من تاريخ موسهيم المطبوع في بيروت بعناية ومناظرة الخواجا هنري جسب رئيس جماعة البروتستان فيها " ان الكنيسة التي ترغب في ان تسمى المصلحة او الكنيسة الانجيلية المصلحة وكان يسميها مقاوموها سابقاً الكنيسة الزونكلية او الكلفينية المصلحة تكاد تختلف عن جميع من سواها لان جميع الكنائس الاخرى ترتبط بنظام واحد من التعاليم والتهذيب وليست كذلك الكنائس المصلحة فانها لا تعتقد اعتقاداً واحداً لان عندها قوانين ايمان مختلفة عن بعضها كثيراً ولا تمارس طرقاً وطقوساً واحدة للعبادة ولم تكن في كل مكانٍ على ترتيب واحد وسياسة واحدة ومن المعلوم لا تطلب هذه الكنيسة من قسوسها ان يعتقدوا ويعلموا شيئاً واحداً بل تسمح بان يختلف في شرح وتفسير قضايا تعليمية كثيرة ليست بقليلة الاهمية بشرط ان تبقى مبادي الديانة والتقوى الاولى سالمة فيسوغ ان تسمى هذه الكنيسة جماعة كبيرة مؤلفة من كنائس عديدة يحفظها رفقها وتساهلها من الانشقاق الى احزاب متنوعة " اه

وفي صفحة ٧٨٧ من التاريخ المذكور " ان المبدأ الاصلي في الديانة الانجيلية هو ان لكل انسان حق الحكم من جهة الامور الدينية وحرية الضمير لجميع الناس من دون معارضة لكون الديانة بين الله وبين كل انسان

والتعليم الجوهري في هذه الكنيسة ان التبرير انما هو بالايمان بالمسيح وحده ·

ولا عجب من وجود مذاهب مختلفة كثيرة العدد في كنيسة كهذه مانحة الحرية للجميع · ولكن اهم الحقائق المتعلقة بهذه الكنيسة في هذا العصر هو زيادة الاتحاد بين الطوائف المختلفة ونمو الغيرة لاجل خلاص العالم والثقة بمواعيد الله الكثيرة الهاتفة ان كل الارض ستملأ من مجد الرب الذي لاسمه يقدم كل التسبيح والتمجيد في الكنيسة الى ابد الآبدين امين،،

انتهى النقل عن تاريخ موسهيم

ومن ثم يكون احتجاج البروتستاني بقول بروتستاني آخر او التزامه الوقوف عند حد قول بروتستاني آخر كمبدإ عام باعتبار انه قول امام له في الفهم والحكم والعمل في القضايا الدينية رفضاً للبروتستانية وتجرداً منها واذ ذاك فان كان هذا المعترض قد رفض البروتستانية وتجرد منها فيكون خالصاً من جريرة خطاء ذلك الزعم ولكنه لا يمكنه ان يدفع عن الاخرين ما داموا مصرين على البروتستانية

ثانياً انه وان كان المفسر البروتستاني قد اعترف بذلك ولعل ذلك منه اضطراراً اذ لم يستطع كعادته تحويل الكلام الى وجه آخر فليس هو ولا احد غيره من البروتستان يعمل بحسب اعترافه هذا بل الجواب حاضر في فم كل بروتستاني عند ما يذكر له رسول او قديس او نبي او بار (اعمل مثله فتصير مثله) كأن معنى اعمل مثله امر طفيف سهل يقدر عليه كل احد بدون ادنى مشقة

ثالثاً ان كنتم تنكرون ذلك الزعم الجهلي او ترجعون عنه وتعترفون كما بمبدإ عام بوجوب اكرام القديسين ومدحهم وتعظيمهم فنحن نسمع

ذلك منكم بسرور عظيم ونحط عنكم ما اوردناه عليكم عملاً بقاعدة الاستغناء عن العلاج عند عدم الاحتياج

(٣) قوله ايضاً له المجد بشأن المرأة التي سكبت الطيب على رأسهِ في بيت سمعان الابرص (الحق اقول لكم حيثما يكرز بهذا الانجيل في كل العالم يخبر بما فعلته هذه تذكاراً لها (انظر مت ٢٦ : ٦—١٣ و١٤ : ٣—٩)

فاننا نجد السيد يقول في هذه المرأة وهي انما سكبت قارورة طيب على رأسهِ انه حيثما يكرز بالانجيل في كل العالم يخبر بما فعلته تذكاراً لها ولا شك انه اراد تذكارها بمدح لا بذم واذ ذاك أفيدين الذين يمدحونها

واذا كانت هذه المرأة بمجرد انها سكبت على رأسهِ قارورة طيب استحقت عنده ان يخبر بفعلها في كل العالم لتمدح وامر بذلك امراً موكداً وفعلها ان طالت مدة اثرهِ فيوماً او يومين فكم يكون اولى واحق واوجب ما فعله رسله وقديسوه الذين صرفوا اعمارهم في خدمتهِ والتبشير بهِ والمناداة بانجيلهِ مع التعب والنصب والعري والجوع والعطش والمخاوف والاضطهادات والحبوس والشتم والضرب والرجم واخيراً بذلوا حياتهم شهادة له ومحبة بهِ

واذا ارتقينا في الفكر اكثر وتذكرنا ان العظمة والكرامة وسمو المقام والشأن بحسب التقرب او القرب من يسوع المسيح فكم يقدر مضاعفاً وجوب مديح واكرام وتمجيد المباركة في النساء مريم العذراء التي هي والدته ومرضعته ومربيته وخادمته الهاربة بهِ من اليهودية الى مصر في حال الخوف والخطر الراجعة بهِ من مصر الى الجليل مع التحوط والحذر الجادة في التفتيش عنه وهو في الهيكل بين المعلمين الواقفة بقرب صليبهِ

في احزن موقفٍ واخوف حين امام اليهود الجاحدين الشامتين و الجنود الرومانيين الكافرين الظالمين الغاشمين

والآن نقول للبروتستان ان كنتم تدينون بقول المسيح وهو لهُ المجد قال في شأن المرأة التي سكبت الطيب عَلَى رأسهِ وهو عمل صغير وقليل جداً بالنسبة الى عمل رُسلهِ وقديسيهِ وعمل هولاء ايضاً صغير وقليل بالنسبة الى عمل أُمهِ (الحق اقول لكم حيثما يكرز بهذا الانجيل في كل العالم يخبر بما فعلتهُ هذه تذكاراً لها) فهاتوا اروناي مدحةٍ او ترنيمةٍ او تذكارٍ او احتفالٍ او عيدٍ عندكم لمريم العذراء او لاحد رُسل المسيح وقديسيهِ وشهدائهِ او لاحد انبياء وابرار العهد القديم ومتى بنيتم كنيسة او مدرسة او مستشفى عَلَى اسم احد منهم. ومتى زرتم قبر او مقام احد قديسي المسيح وشهدائهِ تقرُّباً وتبرُّكاً او نذرتم نذراً اكراماً لاحد منهم يتناولهُ من يخدم ذلك المقام ليتعيش بهِ او ليس انكم فضلاً عن تعريكم من كل هذه الامور تنكرونها وتنقمونها علينا وبدون خوف من المسيح في مخالفتكم امرهُ الصريح وبدون حياء من الناس في مجاهرتكم بالوهم والوسواس تقولون في كتبكم الجهلية الضلالية التي منها (ريحانة النفوس) البروتستانية. انها امور وعوائد وثنية واننا نحن اتخذناها عن الوثنيين وانهُ بسببها صارت عبادتنا وثنية تقولون ذلك ولا تستحون بما تكذبون ولا تتورعون بما تفترون

(٣) قولهُ لهُ المجد لتلاميذهِ (الحقَّ الحقَّ اقول لكم انكم انتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الانسان على كرسيّ مجدهِ تجلسون انتم عَلَى اثني عشر كرسياً تدينون اسباط اسرائيل الاثني عشر (مت ١٩: ٢٧و٢٨)

الأ ابن الهلاك

حفظنا الله في الايمان القويم وتقبَّلنا بعفوهِ العظيم وفضلهِ العميم وجعلنا بين محبيهِ في دار النعيم مع المتكئين في حضن ابي الآباء ابراهيم بشفاعة المباركة في النساء والدة الاله الدائمة البتولية مريم العذراء وسائر القديسين والانبياء والابرار والملائكة الاطهار لنسبحهُ ونمجدهُ معهم الى ابد الآبدين امين

وقد اثبتنا بما لم يبق معهُ وجهٌ للمنكر ولا قولٌ للمكابر ان المباركة في النساء مريم العذراء اعزُّ واكرمُ وافضلُ خليقة الله لدي الله واسمى خليقتهِ تعالى مقاماً لديهِ وذلك ما قصدناهُ وعمدنا اليهِ في هذا التأليف والحمد لله والشكر لهُ على هدايتهِ ايانا في المبدإ وارشادهِ ايانا في العمل وتوفيقهِ ايانا الى التمام

وكان الفراغ من تبييضهِ في ١٧ ايار ش سنة ١٩١٢ بقلم مؤلفهِ
الفقير ظاهر ابن الياس ابن خيرالله عطايا صليبا
الشويري اللبناني والحمد لله اولاً وآخراً
وباطناً وظاهراً في كل حال
وفي كل آن

وسيليهِ ان شاء الله كتاب (المقال الدرّيّ في العشاء السرّيّ)
وهو لمؤلف كتاب الادلة الغراء هذا
ويليهِ هذا ايضاً ان شاء الله كتاب (تحقيق المقال ان الخلاص بالايمان والاعمال) وهو ايضاً لمؤلف كتاب الادلة الغراء ٠ والله الهادي
في الابتداء والموفق الى التمام

اصلاح غلط وقع في الطبع

صفحة	سطر	خطاء	صواب
٠٣٥	١٧	يتسهلون	يستسهلون
٠٣٦	١٦	والايمان	والايمان
٠٦٠	١٢	فتيها	فيها
٠٦١	١١	رءخر	يؤخر
٠٦٦	١٦	يذر	يذكر
٠٦٩	٢٠	جمع	جميع
٠٨٦	٠٧	هنباالميانوس	هنبااليانوس
٠٨٢	٠٤	نفس	النفس
٠٨٩	٠٨	ان	انهُ
١٠٢	١٩	عفرون مكررة	عقرون
١٠٣	١١	ست مرَّات	
١١٢	١٣	العرَبة	العرَبة
١١٧	٠٢	بريدس	برئيس
١٣٥	١٤	كراتهم	كراهتهم
١٣٨	٠٥	وعَلَى ان ليس	والنصُّ عَلَى ان ليس
١٤٠	١٢	بطنٌ	نظنُ
١٤٥	٠٦	النصَّ	النصُّ
١٥٠	٠٧	واتقا	واتقياء
١٦٧	١٧	قلائلاً	قائلاً
١٦٨	١٤	ليدرجوا	ليتدرجوا
١٧٤	١٥	يؤبوا	بؤوبوا
١٨٠	٠١	اوود	داوود

صفحة	سطر	خطاء	صواب
١٨١	١١	زجة كل	ترجمة كل
١٨٩	١٠	رَسلاً	رُسلاً
١٩٨	١٣	اخوانهُ	اخوانهُ
٢٠٠	١٩	لــا	لمّا
٢٠٤	٠٣	عــو	عيـسو
٢٠٤	٠٤	الاصدقاء	الاصدقاء
٢٠٥	٠٩	مأخوة	مأخوذة
٢١١	١١	بمزبة	بمزية
٢١٥	١٢	بترئته	بتبرئته
٢٣٢	١٠	صم	٢ صم
٢٣٥	٠٥	واخرحي	واخرجي
٢٣٦	٠٩	تصعد	تصعد
٢٣٧	١٢	الحادثين	الحادثين
٢٤٠	٠٨	للنعس	للنفس
٢٤٥	٠٧	كل	كل
٢٥٥	١٧	ينبرأ	يتبرأ
٢٧٠	٠٣	التعلم	التعليم
٢٧٨	١٧	واعتبياراً	واعتباراً
٣٠٥	٠٥	ذكريا	زكريا
٣٠٦	٠٤	تربه	تربث
٣٠٨	٠٥	المسعم	المنعم
٣٠٨	١٩	المعنى	المعنى

وقد بقي اغلاط أُخر طفيفة لا تخفى عَلَى القاريء فلم نعن بادراجها في هذا الجدول وانا نرغب الى المطالع ان يصلح اولاً هذه الاغلاط في مواضعها ثم يقرأه فيسلم من الارتباك في القراءة في تلك المواضع

ملحق . في دعوبين بروتستانيتين

جرت لنا محادثة مع بروتستاني دخيل عرفنا بها الدعو بين البروتستانيتين الآتيتين فرأينا ادراجها وما يقال فيها هنا وهما

الاولى ان البروتستان يشبهون من يتعلم في مدارسهم ولا يتبعهم في بدعتهم بغراب نوح حيث يقول الكتاب . وحدث ان نوحاً فتح طاقة الفلك التي كان عملها وارسل الغراب فخرج متردّداً حتى نشفت المياهُ عن وجه الارض (تك ٨ : ٦ و٧) يعنون بذلك انهُ كما ان الغراب بعد ان سلم من الهلاك بالطوفان بواسطة نوح والفلك لما ارسلهُ نوح من الفلك ليستعلم بهِ انكشاف وجه الارض من ماء الطوفان ذهب ولم يرجع وان الذي يتعلم عندهم ولا يتبعهم بعد ان يكونوا كشفوا لهُ عن الديانة الحقيقية البروتستانية ونوّروهُ يتركهم كما ترك الغراب نوحاً * ويشبهون من يتعلم في مدارسهم ويتبعهم في بدعتهم بحمامة نوح حيث يقول الكتاب ثم ارسل الحمامة من عندهِ ليرى هل قلت المياهُ عن وجه الارض فلم تجد الحمامة مقرًّا لرجلها فرجعت اليهِ الى الفلك ... فلبث ايضاً سبعة ايام أُخر وعاد فارسل الحمامة من الفلك فاتت اليهِ الحمامة عند المساء واذا ورقةُ زيتون خضراء في فمها فعلم نوح ان المياه قد قلت عن الارض (تك ٨ : ٨ — ١١)

قلت وفي هذه الدعوى الملاحظات الآتية وهي

اولاً انها دعوى بروتستانية جارية عَلَى المبدا البروتستاني من النظر في الحوادث الى سطوحها والاقتصار من الاعتبار عَلَى قشورها وذلك ان الغراب كان محبوساً في الفلك فلما اطلق وجد الفرج واقام في السعة وان الحمامة انما رجعت لانها لم تكن مثل الغراب في الاقتيات من الجيف الطافية عَلَى وجهِ المياه والوقوف والمبيت عليها وقد نص الكتاب عَلَى ان رجوعها انما كان لانها لم تجد مقرًّا لرجلها وفي المرة الثانية لم ترجع الأ عند المساء مما يدلُّ عَلَى انها تردّدت طول النهار فلم تجد لها مقرًّا ولكنها وجدت ورق زيتون ظاهراً من الماء فاخذت منهُ ورقة ولكنهم بحسب مبدئهم لم ينظروا الى تمام القصة حيث يقول

فلبث ايضاً سبعة ايام أُخر وارسل الحمامة فلم تعد ترجع اليهِ ايضاً (تك ٨ : ١٢) ي انها لما وجدت مقرًّا لم تعد ترجع ومن ثم يكون التشبيه غير صحيح والمعنى غير

يستقيم وان الغراب والحمامة ينتهيان الى حكم واحد وصفة واحدة وهو ان طبيعة الحيّ تكرهُ الاقامة في السجن وتحب الحياة في السعة ولكن المبدا البروتستاني قائم ببتر الآيات والاستناد الى قشور الحوادث

وثانياً انها ضرب من التمويه الذي لا يحتمل وقع النظر مما يدلُّ على قلة تروي وتعقل من يقول بها والاَّ فما الذي اخطر في بالهم واحضر الى اذهانهم غراب نوح واذهلهم عن موسى قائد شعب الله فانهُ تعلم عند المصريين (اع ٧: ٢٢) ولم يترك تعليم آبائه وهو الحقُّ ويتبع المصريين فليتأمل في هذا الدُخلاء في البروتستانية من ابناء بلادنا وغيرهم

وايضاً ماذا ترى يذهلهم عن بولس الرسول وهو تلميذ غمالائيل (اع ٢٢: ٣) ولما ظهر لهُ النور المسيحي ترك اليهودية واعتنق الايمان المسيحي وبلغ من غيرتهِ ما هو معلوم لكل ذي علم · فليتأمل في هذا البروتستان مولداً وبلاداً

هذا واذا كان الذي يتعلم في مدارس المبتدعة ولا يصير مبتدعاً يشبهُ بالغراب فالذي يخرج من كنيسة ذات تعليم ثابت ونظام ثابت وسياسة طائفية دينية ثابتة وهي كنيستهُ وكنيسة آبائهِ واجدادهِ الى بدعةٍ لا شيء فيها ثابتٌ وقد جمعت مقالة كل بدعة سبقتها تقريباً بماذا يشبهُ فليعتبر هذا ذوو الاعتبار

الثانيــة انهم بدلاً من ان يخجلوا يفتخرون بانهم ولاسيما في القرن الاخير اي التاسع عشر قد غيروا فكر امم العالم جميعها لا المسيحيين فقط من حيث الوثوق بالدين والتمسك التام بهِ خضوعاً وطاعةً وتعبداً وتورعاً بحيث كما يزعمون جعلوا كل انسان من اي طبقة كان من طبقات الناس ومن حيث الاستعداد الطبيعي والاكتسابي والعلم والذكا والتعقل ينظر الى الدين نظر الفاحص الممحص الحاكم في ما يقبل وما يرفض ·

ونحن لا ننكر انهُ ظهر لدعاة البروتستانية ولاسيما في القرن التاسع عشر تأثير في الامم التي انتشروا بينها ولكننا نسألهم هم انفسهم عن ذلك التأثير أهو مزيد ايقان في الايمان ومزيد تعبد وتورع وتقوى وجدٍ في الاعمال الصالحة أم هو جعل كل أمر ديني تحت الشك والريب وتنزيلهِ للفحص الشخصي الفردي حتى يرى رأيهُ فيهِ من حيث القبول والرفض على ان المشاهدات شاهدات في سوء ذلك بل افظع السوء واقل ما يقال فيهِ انهُ سعيٌ الى العدم وعاقبتهُ تأسفٌ وندم وانما سألنا البروتستان خاصةً لكي ينتبهوا الى سوء تاثيرهم ثم الى سوء مصيرهم متذكرين قول السيد لهُ المجد (من اعثر احد هولاء الصغار المؤمنين بي فخيرٌ لهُ ان يعلق في عنقهِ حجر الرحى ويغرق في لجة البحر (مت ١٨: ٦)

